مجلة رواق الحكمة

مجلة علمية فكرية محكمة نصف سنوية - تصدر عن أقسام الفلسفة بجامعة الزاوية

العدد الخامس- السنة الثالثة- يونيو 2019

- الحاجة إلى فلسفة أخلاقيات المهنة.
- أخلاقيات العمل الوظيفي في الإسلام.
- الخطيئة والعقاب في الفكر الرافدي القديم.
- ومضات روحية عن القيمة الزهدية لزهد عند الحسن البصري.
- أزمة الخطاب السوسيولوجي العربي.
- دور الحقائب التعليمية في تطوير التعليم الجامعي.
- المواطن الليبي ومساهمته في النشاط السياسي.
- الإصلاح الديني لعلماء ليبيا في لاقرنين التاسع والعاشر الهجريين.
- واقع الإرشاد السياحي في ليبيا

رقم الإيداع القانوني 368/2017 بدار الكتب الوطنية ببنغازي

رؤية للطباعة والدعاية والإعلان
VISION
شارع عبد المنعم رياض - 0925031603

مجلة رواق الحكمة

مجلة علمية دورية محكَّمة نصف سنوية

تصدر عن أقسام الفلسفة بجامعة الزاوية

العدد الخامس – السنة الثالثة – يونيو 2019م

رئيس التحرير– أ.د. سامي الكامل بركة

منسق التحريـــر – د. عبدالباسط محمد الأمير

المراجع اللغـــوي – د. قـــدري محمد القنوني

هيأة التحرير

د. مريم الصادق المحجـــوب د. إبراهيـــم محمـــد الفقيـــه

د. ناجـــي صالـــح أبوزريبه. د. حوريـــة خليفة الطرمال.

أ. المبروك علي الفتحلـــــي أ. عبدالسلام أحمد أبوحميدة

المراسلات والاشتراك:

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير مجلة رواق الحكمة بجامعة الزاوية

هاتف: 0914153880– 0919230308

البريد الالكتروني: Sami.boraka@y.com

السعر: 5 دولار أو مايعادلها

تمت الطباعة والإخراج الفني والمونتاج بدار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان
الزاوية - ليبيا - 0925031603

اللجنة الاستشارية

1ــ أ.د. أبوبكر إبراهيم التلــوع	جامعة الزاوية
2ــ أ.د. المهدي أحمد جحيـــدر	جامعة طرابلس
3ــ أ.د. محمد السوداني عبد الله	جامعة بني وليد
4ــ د.عبد الله الطاهر مسعـــود	جامعة الزاوية
5ــ د. محمد حسين المحجــوب	جامعة بنغازي
6ــ د. جمال محمد الـــــزوي	جامعة اجدابيا
7ــ د. البهلول محمد حسيـــن	جامعة الزيتونة
8ــ د. علي محمد ديهـــــوم	الجامعة الأسمرية
9ــ د. فوزية محمــد مـــــراد	جامعة المرقب
10ــ د. عمـــــر فــرج نصــر	جامعة مصراته
11ــ د. يوسف موسى أبوعليقة	جامعة الجبل الغربي
12ــ د. برنيـــة طــروم علـــي	جامعة صبراته
13ــ د. الفيتوري ضو مفــتاح	جامعة الجفارة
14ــ د. رجب علـــي العقيلـــي	جامعة البيضاء
15ــ أ. عبد الله علـــي سالـــم	جامعة الزنتان

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العظيم

قواعد للنشر:

- تنشر المجلة الأبحاث الأصلية والمبتكرة والتي تتسم بالجدية والمنهجية، ولم يسبق نشرها في أي مطبوعة أخرى، وغير مستلة من أي أطروحة علمية.
- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى التقييم العلمي بشكل سري من قبل متخصصين تختارهم هيأة التحرير، وتحدد صلاحيتها للنشر بناء على رأي لجنة التحكيم.
- يجب أن يتقيد الباحث بالمنهجية وأصول البحث العلمي، وأن يشار إلى الهوامش والمراجع في المتن بأرقام وترد قائمتها في نهاية البحث لا في أسفل الصفحة.
- يجب أن يقدم البحث مطبوعاً بالحاسوب مع قرص CD يتضمن البحث المطلوب نشره.
- اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمجلة، ونرحب بالبحوث المكتوبة باللغة الأجنبية، على أن ترفق بملخص واف باللغة العربية.
- تنشر البحوث بأسبقية وصولها للمجلة، ويشترط استيفائها للشروط السابقة الذكر.
- الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط.
- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أي مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة رواق الحكمة.

- يجب أن يكتب الباحث اسمه وعنوانه ومكان عمله ودرجته العلمية ورقم هاتفه في ورقة مستقلة، ويعاد كتابة عنوان البحث فقط على الصفحة الأولى للبحث.
- يجب ألا يزيد البحث عن (20) عشرون صفحة، وإذا زاد عن ذلك تدفع (5) خمس دينار عن كل صفحة.
- لهيئة التحرير الحق في عدم نشر أي بحث يتعارض مع هذه الشروط دون إبداء الأسباب.

كلمة العدد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

هاهي مجلة رواق الحكمة التي تصدر عن أقسام الفلسفة بجامعة الزاوية تقدم لكم العدد الخامس خلال هذه السنة 2019م وهي تمثل حلقة لنخبة من الأساتذة في مختلف المجالات العلمية تصبو إلى الارتقاء بالبحث العلمي من خلال إسهامات متنوعة في حقول المعرفة.

إن نجاح هذا العمل يتوقف على جديته ودقته، وهي جدية حرصنا على تواجدها في كل البحوث الواردة للمجلة، وقد تضافرت جهود هيئة التحرير ليرى هذا العدد النور في حلة جديدة متميزة، شاكرين كل الأساتذة المحترمين الذين أسهموا في إثراء المجلة ببحوثهم المتميزة في مختلف مجالات المعرفة.

نرجو أن تكون هذه المجلة مساهمة في تطوير مجالات العلم والمعرفة التي أضحت الميدان الأساسي الذي يعول عليه من أجل القيام بوثبة نحو التقدم العلمي، وأن تبقى هذه المجلة فضاءً علمياً للباحثين وأساتذة الجامعات من داخل ليبيا وخارجها.

نسأل الله التوفيق

د. سامي الكامل بركة

رئيس التحرير

تنويه

إن تقديم البحوث المنشورة في هذه المجلة أو تأخيرها في ترتيب الصفحات لا يعني المفاضلة، لكن متطلبات التنسيق الفني هي التي تتحكم في الترتيب.

المحتويات

قواعد النشر	
كلمة العدد	
الحاجة إلى فلسفة أخلاقيات المهنة	**1**
د. سامي الكامل محمد بركة	
أخلاقيات العمل الوظيفي في الإسلام	**20**
د.مريم الصادق محمد المحجوب	
الخطيئة والعقاب في الفكر الرافدي القديم	**41**
د.نجاح أبوالقاسم زايد	
ومضات روحية عن القيمة الزهدية للزهد عند الحسن البصري	**59**
د.هاجر الطيب الطاهر عمران	
إيثار تعلم العلم وفضائل تعليمه في الإسلام	**74**
د.سليمان حندي صالح	
أزمة الخطاب السوسيولوجي العربي	**110**
د.أبوحرارة محمد عبدالسلام	
دور الحقائب التعليمية في تطوير التعليم الجامعي	**127**
د.سعاد مصطفى فرحات	
أسلوبية الصورة البيانية للأمر والنهي في سورتي البقرة وآل عمران	**155**
د.محمد محمد الكامل العكروت	

المواطن الليبي ومساهمته في النشاط السياسي	178
د.محمد عبدالرحمن الحنين	
الإصلاح الديني لعلماء ليبيا في القرنين التاسع والعاشر الهجريين	195
د.سعاد أبو العيد علي بن عطيوة	
أثر مساهمة الشمول المالي في تحقيق النجاح الاستراتيجي	224
د. أبوعجيلة أبوبنينه عثمان د.أبوبكر محمد الرباع	
واقع المسئولية الاجتماعية في الشركات والمؤسسات العاملة في قطاع النفط	238
أ. محمود عبدالله علي أبوشعالة د.عبدالله الفيتوري المرابط	
واقع الإرشاد السياحي في ليبيا	276
أ.أبوعجيلة الهدار المقطف أ.ليلى عبدالسلام الواعر	
دور ثقافة الحوار في حل الأزمة الليبية (تجربة جنوب أفريقيا أنموذجاً)	305
د.أمحمد الكوت	
دراسة مدى أنتشار داء المقوسة القندية عند مرضى الفشل الكلوي المترددين على مركز أمراض الكلى بمدينة الزاوية	332
أ.حنان محمد كشيم أ.مريم أبوبكر فنير	

الحاجة إلى فلسفة أخلاقيات المهنة

د.سامي الكامل محمد بركة
كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدمة:

لقد هيمنت العديد من التيارات الفلسفية كالعقلانية والتجريبية والوجودية والبنيوية وغيرها على الساحة الفكرية في القرن الماضي، لكنَّها بدأت بالتراجع بشكل تدريجي حيث خمد بريق العديد من الرموز الفلسفية التي تركت بصمات واضحة على الفكر الفلسفي خلال القرن العشرين، مثل فتجنشتاين وباشلار وياسبرز وأدورنو وسارتر وغيرهم، ولم يتمكَّن فلاسفة آخرون من ملئ الفراغ الذي تركه هؤلاء الفلاسفة، وظهرت حقبة جديدة أفسحت المجال للبحث والتفكير الجماعي في ظل التكامل بين مجالات المعرفة والتخصُّصات المختلفة، وفي هذه الأثناء تقدَّمت العلوم، وتطورت التكنولوجيا بشكل سريع، وأصبحت الاكتشافات العلمية تستحوذ على اهتمام الفلاسفة والمفكرين لدرجة أصبح الفيلسوف لا يستطيع التفكير بعيداً عن الاكتشافات العلمية، وهذا ما جعل المهتمين بالفلسفة يعتقدون أنَّ تجديد الفكر سيأتي من خلال نافذة فلسفة أخلاقيات المهنة، هذا المجال الجديد الذي فتح الباب على مصراعيه للتفكير الجماعي وللدراسات التي يقوم بها عدة باحثين ينتمون إلى تخصُّصات مختلفة، لذلك بدأ الاهتمام بأبرز مجالات الفلسفة العملية كالاهتمام بفلسفة السياسة، وفلسفة الطب، وفلسفة البيئة، وفلسفة حقوق الإنسان وغيرها ممَّا يعرف بالأخلاق التطبيقية.

إنَّ وجهة النظر السائدة اليوم بين الكثير من الناس أنَّ الفلسفة منذ نشأتها تمثِّل دراسة نظرية تنطوي على أفكار وأراء خيالية بعيدة عن التطبيق، لكن في هذا العصر الذي نعيشه تغير الحال، وبدأ التركيز على الفلسفة التطبيقية التي أصبحت تتجاوز النظرة المطلقة لمستقبل الإنسان بعيداً عن التفاؤل والتشاؤم، وهذا جاء تلبية لحاجة الإنسان لتعميق بحثه حول

القضايا التي ترتبط بوجوده، وسط العديد من المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، لذلك حظيت فلسفة أخلاقيات المهنة باهتمام كبير في السنوات الأخيرة، وازداد الاهتمام بطرح الكثير من الموضوعات، وبخاصة التي تتعلَّق بمكافحة الفساد المالي والإداري والشفافية وغيرها، وحاولت الدول أنْ تطور السلوك الأخلاقي والمهني لدى العاملين بها؛ لتعزز مفهوم أخلاقيات المهنة في العمل، وتقلِّل من الظواهر السلبية، لذلك لم تعد فلسفة أخلاقيات المهنة مقتصرة على مهن بذاتها، وإنَّما أصبحت في الوقت الحاضر تشمل جميع المجالات، وأصبحت التزاماً أخلاقياً واجتماعياً تجاه المؤسسة التي يعمل بها الفرد وزملاء العمل، ولهذا صار ما شغل الفلاسفة والمفكرين هو تحسين الاهتمام بفلسفة أخلاقيات المهنة من خلال دعم الجمعيات والنقابات المهنية التي تسهم بشكل فاعل في تطوير مؤسسات المجتمع، وهو ما ذهبت إليه الكثير من الدول التي وضعت دساتير وقوانين تضمَّنت قواعد أخلاقيات المهنة، وذلك من خلال وصف السلوك المتوقَّع من الفرد عند قيامه بمهامه الإدارية، فأفسحت المجال لنظريات الحقوق والواجبات والحلال والحرام والعدالة، وأصبح الهاجس الذي يشغل الجميع هو التمييز بين ما هو صواب، وما هو خطأ، وما هو فضيلة وما هو رذيلة، فاختيار ما هو فاضل أصبح يمثِّل اللغز المحير،لأنَّه مرتبط بوجود قدر من الأخلاق، ولهذا فالحديث عن فلسفة أخلاقيات المهنة أصبح يدور في كل المجتمعات تقريباً، وهو نتاج تطور المجتمع الذي جعل من هذه الأخلاقيات المهنية تنتقل من أخلاق سائدة تمثل الأعراف والتقاليد إلى أخلاقيات تجعل الفرد يلتزم بها.

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما مفهوم فلسفة أخلاقيات المهنة؟ وما العوامل التي أسهمت في نشأتها؟ لماذا الاهتمام بفلسفة أخلاقيات المهنة؟ وما دورها في تطور المجتمع؟ وما العلاقة بين الأخلاق والقيم؟ وما أثر القيم في تكوين فلسفة أخلاقيات المهنة؟ وهل نحن بحاجة إلى وضع ميثاق لأخلاقيات المهنة؟

سنحاول خلال بحثنا الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال منهج تحليلي مبني على

رؤى فلسفية في تحليل الأفكار والآراء التي سنتعرض لها خلال النقاط الآتية:

أولاً- مفهوم المهنة:

للمهنة العديد من المفاهيم والتعريفات منها:

1- كل عمل يقوم به الفرد بعد أنْ يدرسه دراسة نظرية، ويتلقَّى تدريباً عملياً في المدارس والجامعات والمراكز التدريبية، وهي تتطلَّب قواعد ومعارف ومهارات وإجراءات تتم طبيعة العمل في إطارها، وتنظم كيفية ممارسته[1].

2- الحرفة التي تشتمل على مجموعة من المعارف العقلية، وبعض الممارسات والتطبيقات التي تضم الأنشطة والخدمات المفيدة، وتوفر قدر من المهارات الفنية المتخصِّصة والإنتاج الفكري المتخصِّص، وقواعد أخلاقية وسلوكية تنظِّم العمل بين المهنيين وزملائهم[2].

ثانياً- مفهوم الأخلاق: لفظة الأخلاق جمع لكلمة خلق التي تعني العادة والتكرار لفعل معيَّن، فالإنسان الذي على خلق، ما يتصف بسلوك ثابت في حياته اليومية، ولذلك فكلمة خلق مأخوذة من الخلاقة التي تعني المران على الشيء حتى يصبح عادة لمن يزاوله[3].

توجد تعريفات كثيرة للأخلاق، بأنْ قام العديد من الفلاسفة بتعريف الأخلاق، نذكر منها:

أ ــ عرّفها جميل صليبا بأنَّها: ملكة تصدر الأفعال عن النفس من غير تقدم، وروية وفكر وتكلُّف[4].

ب ــ وعرّفها مسكويه بأنَّها: حال النفس داعية لها أفعالها من غير فكر ولا روية، وقد قسَّم هذه الحال إلى قسمين: الأول: طبيعي، ويمثل المزاج من غير فكر، والثاني: يكتسب بالعادة والتدريب، ويستمر إلى أنْ يصبح ملكة أو خلقاً[5].

ج. يعرّفها لالاند بأنَّها: مجموعة قواعد السلوك مأخوذة من حيث هي غير مشروطة، كما تعني نظرية في الخير والشر تتجه نحو نتائج معيارية[6].

د. تعرَف أيضاً بأنَّها ممارسة عملية مستمرة للفضائل والقيم السامية بمقتضى مبادئ ومعايير عقلية عامة، كما أنَّها علم عملي تطبيقي يهدف إلى

تنظيم الحياة الإنسانية في عالم ما هو كائن، ويفتح المجال لتحقيق الهدف الأخلاقي للإنسان[7].

ثالثاً- مفهوم أخلاقيات المهنة: تعد الأخلاق القاعدة الأولى التي يقوم عليها أساس مهنة العاملين، فأخلاقيات المهنة تسهم في ممارسة الواجب وفقاً لأسس متفق عليها، فالقيام بالواجبات نحو الجار مثلاً هو: أمر تفرضه الأخلاق المدنية، لكن السمو الأخلاقي للإنسان لا يقتصر على مجرَّد أداء الواجبات، ولا ينبغي أنْ تستمد الأخلاق السامية مصدرها دائماً من أداء الواجب، وإنَّما من تلقاء ذاتية الفرد[8]، لذلك فحين نتحدث عن أخلاقيات المهنة لابد أنْ يقودنا الحديث إلى التفكير في الواجبات التي تفرضها ممارسة المهنة على المهنيين، فلكل مهنة أخلاقيات مهنية تنظِّمها، وتضع دستوراً يحدد واجبات الأعضاء، ولذا فأخلاقيات المهنة ترتبط بالممارسة العملية للمهنة، وتفرض واجبات ومسئوليات على المهني، ترتبط في كثير من الأحيان بدساتير تستلزم الاحترام والتطبيق سواء كان ذاتياً، أو بتدخُّل جهة متخصِّصة.

ويمكن تعريف أخلاقيات المهنة بأنَّها:

1- المبادئ والمعايير التي تمثل أساساً لسلوك أفراد المهنة المستحسن، التي يتعهد زملاء المهنة بالتزامها، ولذلك فالمسئولية الأخلاقية للمهنة تمثِّل التزاماً أخلاقياً خارج دائرة القانون[9].

2- نظام من المبادئ الأخلاقية التي تحدِّد السلوك الصحيح والسلوك الخاطئ بالنسبة لأعضاء المهنة الواحدة[10].

3- مجموعة القواعد المتعلقة بالسلوك المهني، التي وضعتها مهنة منظمة لكل أعضائها، فتحدِّد هذه القواعد، وتراقب تطبيقها، وهي أخلاق وآداب جماعية وواجبات معوِّضة للتشريع وتطبيقاته من قبل القضاة[11].

4ـ الالتزامات الأساسية التي يجب أنْ يتحلَّى بها كل فرد، والتي تتمثل في الصدق وتحقيق الصالح العام واحترام القانون[12].

وعلى ذلك ففلسفة أخلاقيات المهنة يجب أنْ تنصبّ على الأسلوب الذي نؤدي به العمل، ونحكم من خلاله على صحة الأداء، وبالتالي يمكن أنْ نقيس عليها

غاياتنا ونحكم على إجراءات العمل كما ينبغي أنْ تكون، فالأخلاقيات تمثِّل مجموعة القيم والقواعد التي تعد صواباً بين أصحاب مهنة معيَّنة، وهي تعني وثيقة تحدِّد المعايير الأخلاقية والسلوكية التي يجب أنْ يتبعها أفراد مهنة معيَّنة.

رابعاً- أهمية فلسفة أخلاقيات المهنة: تتضح مدى أهمية فلسفة أخلاقيات المهنة في ترسيخ الممارسات الأخلاقية التي ينبغي أنْ تنعكس إيجابياً في العلاقات الاجتماعية والتربوية في الوسط الاجتماعي وتكوين اتجاهات ايجابية لدى العاملين، حيث تعرفه بالتزاماته الأخلاقية وبأبعاد المسئولية التي يجب أنْ يتحمَّلها تجاه الفرد والمجتمع، كما تدربه على أسلوب التعامل والتواصل مع مختلف مكونات المجتمع، ومعرفته لمبادئ الالتزام الأخلاقي، والتحلي بالضمير المهني؛ من أجل تحقيق الوعي بأهمية البعد الأخلاقي والقيمي، وإرساء ثقافة تقوم على أساس احترام مواثيق حقوق الإنسان، وتنمية روح التواصل والتعاون بين أفراد المجتمع[13].

ويعتقد البعض أنَّه ليس هناك علاقة بين المهنة والأخلاق، وأنَّ الحديث عن الأخلاقيات في مجال المهنة هو نوع من السذاجة، وأنَّ الأخلاق لا علاقة لها بالعمل والتجارة وغيرها، ولكن الأسئلة التي يجب طرحها على هؤلاء هي: إذا لم تكن الأخلاق مرتبطة بالمهنة فبماذا ترتبط إذن؟ هل يجب علينا الالتزام بالأخلاق عند دخولنا للمسجد فقط؟ وإذا لم يكن الإنسان أميناً ومخلصاً في عمله فأين يمكن أنْ تكون الأمانة والإخلاص؟ هل نقول إنَّ فلاناً صادقاً في بيته وكاذباً في عمله؟

كل هذه الأسئلة تفرض نفسها على الذين يرون أنْ لا علاقة بين الأخلاق والمهنة.

إنَّ فلسفة أخلاقيات المهنة تعبِّر عن معايير للسلوك تطبَّق على الذين يشغلون مهنة معيَّنة، فالفرد الذي يدخل مهنة ما يُطلب منه الالتزام بأخلاقيات هذه المهنة؛ لأنَّ المجتمع يجعله موضع ثقة في أنْ يقدِّم خدمات ذات قيمة، ولا يمكن أنْ تتوافر هذه الخدمات ما لم يكن سلوكه متعلِّقاً بمعايير معيَّنة، لذا فالمهتمون الذين يفشلون في أنْ يدينوا بالتزاماتهم الأخلاقية ينتهكون هذه الثقة، فمثلاً: الأطباء يلتزمون بواجب أخلاقي يتمثَّل في معالجة مرضاهم ومداواة

جرحاهم، وتخفيف الألم عنهم، والاحتفاظ بأسرارهم، وهو واجب يتجاوز الخلق العام الذي يتعلَّق باحترام الخصوصيات، ولو أنَّ طبيباً أفشى الأسرار فسوف يخون بذلك ثقة الناس، ومن ثم ثقة المجتمع، وعلى ذلك من المهم أنْ نميِّز بين الأخلاقيات والعادات والأعراف الاجتماعية الأخرى، مثل القانون والسياسة والدين، بالإضافة إلى ذلك هناك العديد من الأسباب التي تنفي أنْ تكون الأخلاقيات قانوناً، فمثلاً: هناك بعض الأفعال غير قانونية، لكن ربما تكون منتمية إلى الأخلاق، كالسرعة فهي ليست قانونية، لكن أحياناً نجد أحد الأفراد يرى أنَّ لديه التزاماً أخلاقياً بتجاوز السرعة المحدَّدة من أجل نقل مريض في حالة خطرة إلى المستشفى لإسعافه[14].

وهناك بعض الأفعال غير أخلاقية من منظورنا الفلسفي، وربما غير قانونية فمثلاً: أغلب الناس يتفقون على أنَّ الكذب غير أخلاقي، لكن الكذب يكون غير قانوني عند السؤال عن الدخل تمهيداً لفرض الضرائب فقط. وكثيراً ما ينتهك الناس معايير الأخلاق من أجل مكسب شخصي، أو منفعة شخصية، فمثلاً: الشخص الذي يمكن أنْ يكسب مبلغاً من المال عن طريق الكذب بشأن مباراة رياضية في لعبة ما، سوف يواجه صراعاً بين اهتمامه بجمع المال، والالتزام بقول الصدق، ومثل هذه الأفعال تصنَّف بأنَّها أنانية وغير أخلاقية، كما أنَّنا لا نحبذ هذا السلوك.

خامساً- نشأة فلسفة أخلاقيات المهنة: تعد الأخلاق من أهم المقومات الحضارية في الحياة الإنسانية، فهي تتمثَّل في مجموعة المبادئ والقيم التي تحرِّك الأفراد والدول، كالعدل والمساواة والحرية، بحيث تصبح مرجعيتها ثقافية تكون أساساً قانونياً تستمد منه الدول قوانينها، لهذا بدأ الاهتمام بفلسفة أخلاقيات المهنة يزداد في الستينات من القرن الماضي تقريباً، حيث ازدادت حاجة الإنسان إلى وضع مبادئ ومعايير أخلاقية من أجل الحد من التجاوزات والمخالفات التي تزايدت بشكل كبير وملفت للنظر في المهن، ولذلك فمجال العمل أصبح بحاجة ملحَّة إلى وضع قواعد تضبطه، وتنظِّم التعامل بين العاملين حتى لا تزداد المشاكل والأخطاء القانونية والفوضى بينهم، ممَّا يؤدي إلى تعرُّض المؤسسات الكبرى إلى خسائر فادحة، وبالتالي فمن المهم أنْ

تحرص المؤسسات على تطبيق المبادئ والمعايير الأخلاقية في إدارتها من أجل الحفاظ على ثقة عملائها[15].

وعلى ذلك فالأخلاق من الأسس المهمة في حياة الشعوب، فهي تنظِّم العلاقة بين الأفراد، وتحكم سلوكهم بالخير أو الشر، وتقدِّر سعادة الأفراد بقدر ما لديهم من قيم أخلاقية فاضلة، فالأخلاق قاسم مشترك بين المهن، فلا توجد مهنة تخلو من الضوابط الأخلاقية التي تحكم سلوك أفرادها أخلاقياً، فالمهنة كعمل تتطلَّب من العاملين فيها سلوكاً موافقاً للقواعد الأخلاقية المتفق عليها في المهنة، لذلك ففلسفة أخلاقيات المهنة تتمثَّل في سلوكيات أصحاب المهن في مجالات تعاملهم مع الآخرين، سواء في المجتمع المحلي أو في المهنة ذاتها، كما أنَّ هذه الأخلاقيات تتطور حتى تصبح قواعد للعمل[16].

سادساً- العوامل التي أسهمت في نشأة فلسفة أخلاقيات المهنة:

من أهم العوامل التي أدَّت إلى ظهور فلسفة أخلاقيات المهنة ما يلي:

1- ظهور الكثير من الفضائح والمشاكل والانحرافات الأخلاقية في عدد من المؤسسات والشركات الكبرى في أمريكا وأوربا.

2- وجود الكثير من الممارسات التي تتعلَّق بالأعمال التجارية، وأدت إلى الإضرار بالمال العام، وبالمصلحة العامة للدولة.

3- شعور المؤسسات الاقتصادية الكبرى والشركات الصناعية، بأنَّها لا يمكن أنْ تكسب ولاء العاملين فيها إلا من خلال قيم أخلاقية محدَّدة.

4- ظهور العديد من الحالات والقضايا القانونية التي يصعب التعامل معها والحكم فيها.

5- ظهور دعوات كثيرة جادة للاهتمام بالقيم الأخلاقية في المجتمعات الصناعية الكبرى[17].

وعلى ذلك فقد أفرزت فلسفة أخلاقيات المهنة الكثير من الفروع التي نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر:

أ- أخلاقيات الطب: تتمثَّل في الجدل القائم حول الإجهاض والقتل الرحيم، حيث وجدت هذه القضايا اهتماماً كبيراً، وجدلاً بين الفقهاء والفلاسفة والأطباء، وتعدَّدت الآراء حول فلسفة الموت، ففي سنة

2003م صدر أول قانون في العالم يعد الموت الرحيم عملاً مشروعاً في هولندا، وقد برَّروا ذلك لدوافع إنسانية، وتخليص المريض من وضع ميئوس من شفائه، حيث أطلق بعض الممرضين على أنفسهم اسم ملاك الموت[18].

أمَّا الإجهاض فقد دار الجدل حوله من خلال موقف الفرد من المسائل الأخلاقية والعملية بمنظومة القيم الخاصة به، فهناك من يؤيد الإجهاض، ويرى أنَّ للمرأة الحق في اختيار مواصلة الحمل من عدمه، وهناك من يرفض ذلك، ويرى أنَّ الجنين إنسان له الحق في الحياة، والإجهاض هو قتل لهذا الجنين، ولا يزال التساؤل يشغل بال الفلاسفة والمفكرين: هل يسمح بالإجهاض من الناحية القانونية بغض النظر عما تقوله الأخلاق؟ وأثارت هذه المشكلة معها مشكلات قانونية إلى جانب مشكلات الأخلاق، وتتميز هذه المسألة في بعض دول أمريكا اللاتينية بالسهولة والمرونة، بينما في العالم الإسلامي فهذه المسألة مرفوضة جملةً وتفصيلاً؛ لأسباب دينية خالصة،لأنَّ ذلك يعد نوعاً من القتل،اللهم إلا في حالات ضيقة جداً، تتعلق بتشوه الجنين، أو خطورة الحمل على حياة الأم[19].

وعلى ذلك فأخلاقيات الطب تثير بعض التساؤلات التي منها: هل يمكن اعتبارها معايير ثابتة قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان؟ وقد تعرَّضت اللوائح الطبية لبعض الانتقادات، فبالرغم من أنَّ هذه اللوائح تحرِّم الإجهاض، إلا أنَّه يمارس في الوقت الحاضر على نطاق واسع، بل أنَّ بعض الأطباء رأوا أنَّ تحريمه يعد انتهاكاً لحرية المرأة، ولذلك فالمواثيق الطبية تكون ذات فائدة عندما تساعدنا بشكل فاعل على التعبير عن المبادئ والقوانين الأخلاقية عن طريق العلاقات الطبية، التي تتحكَّم بها وبالتالي ينبغي تنظيم الأفكار الفلسفية والنظريات المختلفة من أجل بناء فكري منظَّم لأخلاقيات الطب، وهذا ما يفتح الباب على مصراعيه للفلاسفة؛ كي يدلوا بدلوهم في هذه المشكلات المعاصرة.

ب. أخلاقيات العمل والتجارة: اهتمت هذه الأخلاقيات بالقضايا المتعلقة بعمالة الأطفال، والعلاقة بين أصحاب العمل والموظفين من حيث الحقوق والواجبات، وقضايا التمييز على أساس العمر والجنس

والعرق واللون والدين، والقضايا التي تمس الحياة الخاصة للموظف كالمراقبة في مكان العمل، واختبار المخدرات، وقضايا السلامة الصحية، وتداولات العاملين في السوق، والسمسرة والمتاجرة، والتلاعب في الأسواق المالية، والرشاوى والتجسُّس الصناعي.

ج. الأخلاقيات الحيوية: اهتمت بقضايا الاستنساخ والهندسة الوراثية، وقد انقسم الجدل في هذه القضايا إلى قسمين:

القسم الأول: إمَّا أنْ يكون الاستنساخ لغرض استخدامه في البحوث أو العلاج.

القسم الثاني: إمَّا أنْ يكون استنساخ تناسلي، وهو ما يعرف بالاستنساخ الكامل.

وتثير عملية الاستنساخ العديد من المخاوف المرتبطة بقضايا أخلاقية تمس الوجود البشري، إذ يمكن أنْ تؤثر سلباً على عدَّة قيم إنسانية منها:

مفهوم العائلة: يؤدي الاستنساخ إلى إلغاء مفهوم العائلة إلغاءً تاماً، ففي ظل هذه التطور نصبح لسنا في حاجة إلى وجود الأب أو الأم، وإنَّما بحاجة إلى مؤسسة كبيرة ترعى النسخ التي تم إنتاجها صناعياً من خلال الأجهزة، وليس من المتوقَّع أنْ تكون هذه النسخ في حاجة إلى وسط عائلي لتعيش فيه، ممَّا يعني القضاء على معنى العائلة.

مفهوم العاطفة: أصبح الإنسان مجرَّد رقم في مجموعة، وهو شبيه للآلة، فلا يمكنه الاختلاط بمن يشاء، ولا يستطيع أنْ يكوِّن أسرة كما يريد، فكل هذه الأمور تقوم بها الدولة، وهذا يذكِّرنا بجمهورية أفلاطون التي رأت أنَّ الدولة تراقب العلاقات بين الأفراد وتوجههم إلى ما تراه مناسباً، فالأب والأم هي الدولة، لذلك أصبح ولاء الناس للدولة فقط، لأنَّها سبب وجودهم.

وفي عالمنا المعاصر يشعر الإنسان بالحزن عند فقدانه حبيباً أو عزيزاً، فكيف يا ترى يكون الأمر إذا لم يكن هناك محبوباً يمكن أنْ نفقده، أو تمت الاستعاضة عن المحبوب بآخر يشبهه في الصفات والتركيبة الوراثية؟

إنَّ الاستنساخ يمكن أنْ يوصلنا إلى هذه النقطة، وهذا يعني أنْ يفقد الإنسان أحد خواصه الأساسية، وهي العاطفة[20].

وعلى ذلك فحين نحصل على أطفالنا من خلال الأجهزة، فلا شكَّ أنَّهم سيفقدون الأحاسيس والمشاعر والعواطف التي يمكن

أنْ يكتسبها في مراحل الحمل الطبيعي والرضاعة الطبيعية، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: هل هناك طريقة يمكن خلالها توصيل تلك المشاعر والعواطف إلى هذه الأجنة صناعياً؟ نحن بلا شك أمام عالم غريب الأطوار في تعامله مع الإنسان تقاس فيه الأشياء بقدر ما توصلنا إليه من نتائج فيها مصلحة عامة، لذلك فهذه التطورات تمثل تطبيق لمذهب المنفعة بطريقة فيها شيء من التطرُّف، أي منفعة المجتمع فقط، دون مراعاة لمنفعة الفرد.

والجدير بالذكر أنَّ أمريكا قد فرضت حظراً على استنساخ البشر في عهد الرئيس السابق كلينتون، وشكَّلت لجنة استشارية لأخلاقيات البيولوجيا لوضع خطة تشمل الاستجابة القانونية والسياسية للاستنساخ، بعد أنْ تأخذ في الحسبان الهواجس الأخلاقية والدينية التي أثيرت حول ممارسته، وقد أوصت اللجنة بوقف أي دعم لمحاولة الاستنساخ، وطالبت كل الشركات والجمعيات غير الممولة فيدرالياً بأنْ تستجيب لأهداف وقف التمويل الفيدرالي، وأنَّ أي محاولة للاستنساخ تعد عملاً غير أخلاقي وغير مهني[21].

د- أخلاقيات البيئة: تتمثل في الجدل القائم حول التلوث البيئي والاحتباس الحراري، حيث أصبح التلوث من القضايا المهمة منذ الخمسينات من القرن الماضي، وقد صدرت العديد من القوانين في أمريكا حول هذا الموضوع، منها قانون مكافحة الضوضاء، قانون الهواء النظيف، قانون الماء النظيف، وغيرها، وقد تنوَّع التلوث إلى تلوث بيئي، وإشعاعي، وبيولوجي، وكيميائي، ومن أشكال التلوث: تلوث الهواء، الماء، التربة، التلوث الإشعاعي، الضوضائي، الضوئي، الحراري، وتعد قضية الاحتباس الحراري من الظواهر التي تتسبَّب في ارتفاع درجات حرارة الأرض، وحدّة العواصف الاستوائية، وذوبان الجليد وارتفاع منسوب مياه المحيطات.

هـ- أخلاقيات إدارة المعرفة: تتعلَّق بالجدل حول تسريب المعرفة والمعلومات المتعلقة بالوثائق السرية عبر ويكليكس للمشاهير، وبخاصة رؤساء الحكومات، والوزراء والمسئولين في معظم دول العالم، إذ يقدَّر أنَّه تم تسريب أكثر من مليون وثيقة سرية حول العالم عبر

الانترنت، التي على أثرها تم اعتقال جوليان سانج مؤسس موقع ويكليلكس.

و- أخلاقيات رياضية: تتعلق بالجدل الدائر حول العلاقة بين اللاعبين والجمهور، والأهداف التي سجَّلها اللاعبون باليد في مباريات حاسمة، ونالوا على أثرها نتيجة المباراة أو الفوز بالبطولة.

ز- أخلاقيات استخدام التقنية الحديثة: تتعلق بالجدل حول النظام الذي يمكن أنْ يضبط السلوك الإنساني، وفلسفة التعامل مع الآخر، وذلك من خلال عدم التجنِّي على الآخر بسبب الدين أو العرق أو اللون، أو المستوى الاجتماعي، فالتقنية سلاح ذو حدين، يمكن استخدامها في البناء والهدم، فعلى سبيل المثال: استخدام الطائرة يمكن استخدامها في نقل الناس وتسهيل سفرهم، ويمكن استعمالها بشكل سيء يضر بالناس ويؤذي حياتهم[22].

سابعاً- القيم وأثرها في تكوين فلسفة أخلاقيات المهنة: تمثِّل القيم جزءاً لا يتجزأ من معتقدات الناس وأفكارهم التي اكتسبوها خلال تبنيهم مجموعة من القيم، والتخلِّي عن مجموعة أخرى، فالقيم تحدد معالم شخصية الموظف وقيمه وتوجه تصرفاته، وتحفِّزه باتجاه سلوكيات تبني نسق قيمي يختار من خلاله سلوكيات تحقِّق هذه القيم حسب أهميتها، ولذلك فعندما نتساءل عن علاقة القيم بأخلاقيات المهنة، فأنَّنا نجد أنَّها علاقة تتضح معالمها من حيث مستوى الإنتاجية، فمثلاً: عندما أجرى أدم سميث دراسة عن الأسباب التي أدَّت إلى ازدهار ثروات الأمم، فقد توصَّل إلى أنَّ سبب التفاوت في معدَّلات الإنتاج يعود إلى وضع العاملين بين حالتي الإلزام والالتزام، فالذي يعمل بدافع الالتزام يكون أكثر إنتاجية من الذي يعمل بدافع الإلزام[23]، وعلى ذلك يتضح أهمية المنظومة الأخلاقية في المجتمع الإنساني، وارتباطه بكافة المجالات، وتظهر الضرورة الحتمية لتعزيز القيم والأخلاق، ويمكن أنْ نضرب مثالاً من خلال ما يحدث الآن في عالمنا المعاصر، حيث تعد الأزمة المالية الأخيرة التي حدثت في العديد من دول العالم حديث الساعة، والتي تسبَّبت في انهيار مؤسسات عالمية مالية عملاقة، وأعلنت إفلاسها ولازال مسلسل الانهيارات مستمر في كثير من الشركات العالمية الكبرى، فهذه الآثار

المدمِّرة تثبت أهمية مفاهيم الصدق والوضوح والشفافية.

ولمَّا كان العالم يسير في تطور تكنولوجي سريع، وطغت العولمة على كل المجالات، فهذا يفرض على الحكومات أنْ تضع نصب عينيها بنية أساسية، وبرامج عمل تسهم في وضع فلسفة لأخلاقيات المهنة، تعمل على تطوير عقلية وتفكير ومهارات العاملين في أجهزة الدولة، لأنَّ موظفي الدولة هم جزء من السلطة العامة التي تمنحها الحكومة، الأمر الذي يمكن من خلاله تطبيق فلسفة أخلاقيات المهنة[24].

وعلى ذلك فالقيم تلعب دوراً هاماً في تأكيد فلسفة أخلاقيات المهنة من ثلاثة جوانب هي:

1ــ قاعدة التحريم: وتتمثل في حضر سلوكيات معيَّنة، ومعاقبة لكل من يخالف ذلك.

2ــ قاعد الإقرار: وتتمثل في التشجيع على السلوكيات الجيدة والمجازاة عنها.

3ــ قاعدة التسامي: وتتمثل في الإبقاء والتشجيع على السلوك القيمي الجيد[25].

عليه فترسيخ الالتزام بالقيم الأخلاقية والاعتبارات القانونية يعد من الفلسفات التي ينبغي وضعها بحيث تسير في فلكها بقية الفلسفات الأخرى، التي تحفِّز على تحسين الإنتاجية، وتزيد من الرفاهية الإنسانية.

ثامناً- العلاقة بين القيم والأخلاق: إنَّ اهتمام الفلسفة بمجال الأخلاق التطبيقية اتسع ليشمل معالجة المشكلات الأخلاقية التي أفرزتها الممارسات المهنية المعاصرة، التي أصبحت بحاجة إلى ضوابط أخلاقية توجِّه مسارها، ومن هذا التوجُّه نشأت فلسفة أخلاقيات المهنة التي أصبحت تشتمل على علوم وتخصصات معرفية كثيرة تندرج تحتها.

وفي الوقت الذي يرى فيه البعض أنَّ أخلاقيات المهنة ضرورية للتقدُّم المادي، فالبعض الآخر يرى أنَّ الأخلاق وما تنطوي عليه من قيم ومبادئ أخلاقية فاضلة ضرورة للرقي الإنساني، فالحياة الإنسانية لا يمكن أنْ تكون منظَّمة إلا من خلال اكتساب الإنسان قيم ومعايير أخلاقية،لأنَّ الأخلاق تهدف إلى وضع الحلول المناسبة للمشكلات الأخلاقية، ولذلك فقد أكد أرسطو أنَّ الفعل الأخلاقي خاص بالإنسان،لأنَّه يهدف إلى تحقيق

شخصيته العاقلة من خلال السلوك الهادف، وقد أثبت من خلال سلوكه أنَّه يسعى نحو الأفضل، وهو تحقيق ماهيته عن طريق الممارسة العملية للقيم والمبادئ الأخلاقية، لذلك فقد حدَّد أرسطو من خلال نظريته الأخلاقية أهمية الوسط الذهبي، وأكَّد على أنَّ الهدف من الأخلاق تحسين الحياة العملية، كما عبّر المفكر الفرنسي جارودي عن أهمية الأخلاق بقوله: لا يمكن الخروج من الفوضى الموجودة في الحضارة المدنية إلا بالتمسُّك بالقيم الأخلاقية والروحية، في حين أكد برجسون أنَّ التقدم التكنولوجي السريع هو: تقدم زائف، وأنَّ المجتمعات الاستهلاكية هدفها استعباد الإنسان من خلال الآلة، ولا يمكن الخروج من هذا الوضع إلا بالرجوع إلى القيم التي تنظِّم سلوك الإنسان[26].

وعلى ذلك فالعلوم المادية والتطبيقية التي يقال أنَّها مستقلة عن الأخلاق لا يمكن أنْ تسهم في تحقيق سعادة الإنسان إذا لم تلتزم بالقيم الأخلاقية السامية، وتبتعد عن الغش والتزوير والكذب؛ لأنَّ الأخلاق تفرض على الإنسان التحلِّي بالصدق والأمانة، ولذلك نشأ في وقتنا الحاضر ما يعرف بأخلاقيات المهنة التي تشتمل على السياسة والطب والاقتصاد وغيرها، وكل علم من هذه العلوم لا ترجى منه فائدة إذا لم يقم على القيم والمبادئ الأخلاقية، ولذلك فقد شبَّه ديكارت علاقة العلوم ببعضها البعض بشجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزياء وفروعها الكيمياء، والفلك والطب وثمارها الأخلاق[27]، وبالتالي فالالتزام الأخلاقي من أهم صفات الأعمال المهنية، فلا بد من وجود معايير أخلاقية وسلوكية تتبع من خصائص وأهداف المهنة يجب أنْ يلتزم بها جميع الممارسين للمهنة أثناء أداء أعمالهم، فالإنسان يدرك القيم من خلال تعامله واكتسابه لخبرات انفعالية وعاطفية، وكنتيجة لذلك يتشكَّل ضمير الإنسان، حيث يحدَّد له ما الصواب، وما الخطأ، فالقيم تدل على معنى إنساني عميق لا يتحقق إلا بالقدرة على العمل والعطاء، فالقيمة لا تتحقق إلا بالقدرة والإرادة[28].

ولمَّا كان الناس يصدرون أحكامهم على التصرفات الأخلاقية التي تحدث في الحياة اليومية، فالقضية التي ينبغي أنْ يبحثها الفلاسفة هي معرفة المبادئ التي تصدر عنها الأحكام، وإرجاعها إلى مبدأ واحد،

ولذلك يرى كانط أنَّ الفضيلة الحقيقية تقوم على مبادئ، وهذه المبادئ كلما كانت عامة كانت الفضيلة أكثر نبلاً وسمواً، وهذه الفكرة ترتبط بفكرته الأساسية التي تتعلَّق بتحديد العلاقة بين السلوك والقانون[29]، حيث يميز كانط بين الفعل الأخلاقي والفعل الذي تحكمه القوانين والتشريعات، فرأى أنَّه من الممكن أنْ يتصرَّف الإنسان طبقاً للقانون، لكنه ليس تصرفاً أخلاقياً، فمثلاً: الذي يأمرنا بعدم السرقة، فما دام الفرد لا يسرق، ولا يعتدي على أملاك غيره، فهو يعمل بمقتضى القانون، ولكن الذي يمتنع عن السرقة قد يكون خائفاً من العقاب، أو من تأنيب الضمير، أو من الله، أو متعاطفاً مع المعتدى عليه، ففي هذه الحالات لا يعد الامتناع عن السرقة فعلاً أخلاقياً، أمَّا الذي يمتنع عن السرقة احتراماً للواجب الذي يقتضي منه ألا يسرق، فهو يقوم بفعل أخلاقي، وفي هذا يرى كانط أنَّ الواجب هو أداء الفعل احتراماً للقانون[30]، فالواجب لا يطلب من أجل منفعة، وإنَّما يطلب لذاته، لذلك فالأخلاق ليست هي المذهب الذي يعلِّمنا كيف نكون سعداء، بل هي المذهب الذي يعلمنا كيف نكون جديرين بالسعادة.

ويؤكد بعض علماء التحليل النفسي أنَّ المشكلات النفسية والسلوكية والعصبية ترجع في أساسها إلى المشكلات الأخلاقية التي يعاني منها الأفراد، فالجندي الذي أصيب بصدمة في ساحة القتال أدَّت إلى انهياره، فمرضه نشأ نتيجة الصراع الداخلي بين إحساسه بالواجب والمحافظة على ذاته، ولذلك فالطبيب الذي يعالج هذه الأمراض لابد له من مواجهة المشكلات الأخلاقية التي تكمن وراء تلك الأمراض[31]، ولذلك فالقانون الأخلاقي الذي يمنع القتل يكون نابعاً من أساس المحافظة على الإنسان، أكثر من أنْ يكون مرجعه إلى مبادئ وظروف معيَّنة خاصة بمجتمع معيَّن، وكذلك يؤكد الفلاسفة المثاليون على أنَّ المبدأ الأسمى يكون عاماً، وأنَّ الخلاف على الفعل يكون في تطبيقات المبدأ الكلي على بعض الحالات الجزئية، لذلك فالصدق مثلاً مبدأ إنساني عام، لكن الخلاف قد ينشأ في حالات تطبيقه، فمثلاً: هل يكون الطبيب صادقاً مع مريضه الذي أشرف على الموت حين

يسأله عن حالته؟ وكذلك إذا لجأ رجل إلى بيتي هرباً من مجرم يريد قتله، ثم سألني المجرم عنه، فهل أكون صادقاً معه؟ في مثل هذه الحالات يمكن أنْ يكون الناس على خلاف، لكنهم في نفس الوقت متفقون على أنَّ الصدق هو مبدأ إنساني يجب الالتزام به في كل زمان ومكان[32].

تاسعاً- مدى حاجتنا إلى ميثاق لأخلاقيات المهنة: إنَّ فلسفة أخلاقيات المهنة ضرورية للرقي بالمهن المختلفة، ولابد أنْ تقوم على الالتزام والرقابة الذاتية، لذلك فهي تحتاج إلى تضافر الجهود من قبل المهتمين والأكاديميين على حد سواء؛ لوضع ميثاق لأخلاق المهنة يمكن تطبيقه وفق متطلَّبات العصر الحاضر، وحماية المهنة من الدخلاء، وهذا حسب اعتقادي يمثِّل أول خطوة نحو إرساء ميثاق أخلاقي للمهنة، بأنْ يشتمل هذا الميثاق على الأسس والمبادئ التي ترشدنا إلى ممارسة مهنة معيَّنة للارتقاء بها وتدعيمها، ولذلك فنحن لا نستطيع الحكم على مهنة معيَّنة إلا من خلال سلوك أعضاء هذه المهنة، ومدى محافظتهـــم على القيم وكفاءتهم، ومن الأسس التي يبنى عليها الميثاق الأخلاقي: الوضوح والشمول والإيجابية، فالميثاق الأخلاقي يساعد المهنيين على وضع قراراتهم الأخلاقية، ولذلك نجد الكثير من الجمعيات المهنية في الدول الغربية تهتم بوضع المواثيق الأخلاقية التي تحدِّد فيها الحقوق والواجبات والسلوكيات المتعلقة بالمهنة، وذلك من أجل تحقيق أداء مهني جيد، بينما الدول العربية لازالت في طور التفكير والإنشاء للقوانين والقواعد الأساسية للمهنة،لأنَّ هناك من يعتقد أنَّه لا داع لوجود ميثاق أخلاقي للمهنة، وأنَّ الأخلاق مسألة شخصية يجب أنْ تكون نابعة من الصفات الفردية للفرد، ولا تحتاج إلى تعميم على الجميع. وهنا ينبغي أنْ نقول: إنَّ من يعتقد بهذا الرأي غفل أنْ يضع في اعتباره بعض حالات غياب الضمير المهني، والمواقف المتغيرة بتغير المصالح، ولكن ونظراً للتطور السريع وبخاصة في المواثيق الأخلاقية المتعلقة بأخلاقيات المهنية في الدول الغربية، فقد أصبح لزاماً على الدول العربية وضع مواثيق أخلاقية للمهنة، تتضمَّن تصورات لصياغة دستور أخلاقي للمهنة يشتمل على مواد وأهداف تتعلق بتحديد المهنة وأبعادها.

وفي اعتقادي أنَّ الميثاق الأخلاقي للمهنة يجب أنْ يتميز بالآتي: الاختصار والسهولة والوضوح، والقبول والتطبيق العملي، والشمول والإيجابية، كما يجب أنْ يحقِّق أهداف أساسية أهمها:

أ ــ توعية العاملين بأهمية دورهم في بناء مستقبل الوطن.

ب ــ الإسهام في تعزيز مكانة العاملين العلمية والاجتماعية والاقتصادية.

ج ــ تحفيز العاملين على أنْ يتمثلوا قيم مهنتهم وأخلاقها سلوكاً عملياً في حياتهم، من خلال تدريبهم وتأهيلهم وحفظ حقوقهم.

الخاتمة:

من خلال ما تقدَّم نخلص إلى أنَّ فلسفة أخلاقيات المهنة تلعب دوراً رئيسياً في الإعداد المهني للفرد وإضفاء صفة المهنية على أي عمل، ولذلك فالإعداد الجيد للفرد يتطلَّب التعريف بالقواعد التي ينبغي أنْ تحكم سلوك الأفراد في المؤسسات المختلفة،لأنَّ ذلك سيساعدهم على تنمية قدراتهم التطبيقية، وتتيح لهم سرعة التكيف مع المشكلات التي تعترضهم في وظيفتهم.

وعلى الرغم من أهمية فلسفة أخلاقيات المهنة إلا أنَّها لم تحظ باهتمام كبير من قبل الباحثين وافتقرت إلى الدراسات المتعدِّدة، ولذلك فالأمر يدعو إلى مزيد من الاهتمام بأخلاقيات المهنة وتدريسها وتعليمها وفق أسس علمية محدَّدة، وتحديد القيم الأخلاقية التي يجب تنميتها لدى الطلاب،لأنَّ تعليم الطلاب هذه القيم والمعايير يعد من أهم الغايات التعليمية التي يجب الاهتمام بها، فذلك سيؤدي إلى تطور أسلوب الأداء في المستقبل القريب، وبالتالي على المسئولين في المجالات المختلفة أنْ يولوا فلسفة أخلاقيات المهنة قدراً كبيراً من الأهمية.

إنَّ فلسفة أخلاقيات المهنة أصبحت حاجة ملحَّة من أجل القضاء على الفساد المالي والإداري في المجتمع، فأخلاقيات المهنة من أهم الأسس التي يرتكز عليها العمل والتعامل الإنساني كالصدق والوفاء والإخلاص والولاء وغيرها من القيم الأخلاقية التي قامت عليها الأخلاق الإنسانية، لذلك ينبغي على الجميع أنْ يعملوا من أجل إيقاظ القيم الموجودة داخل الإنسان ليتمكَّن كل فرد من المساهمة في إيجاد حلول للمشاكل التي يعاني منها

المجتمع، لذلك فأننا في أمس الحاجة اليوم لأخلاقيات المهنة أكثر من أي وقت مضى،لأنَّنا نعيش مرحلة جديدة وصعبة تحتاج إلى القيم الأخلاقية والرؤية الفلسفية الثاقبة التي تستشرف المستقبل، وتسهم في تطوير المجتمع، وبخاصة من الأفراد الذين يتولون مسئوليات ويشغلون مناصب حيوية في المجتمع، والذين يجب أنْ يكونوا قدوة حسنة للآخرين من خلال ما يتمتعوا به من قيم أخلاقية تجعلهم موضع احترام وتقدير من الجميع.

عليه فأنَّنا نسعى إلى أنْ تتحوَّل قيمنا وأخلاقنا إلى سلوك يومي في حياتنا العملية ابتداءً من البيت إلى المدرسة فالجامعة وبقية مؤسسات المجتمع الأخرى، حتى تصبح الأخلاق هي السمة السائدة في المجتمع.

وعلى ذلك فأنَّني نوصي بالآتي:

1- الدعوة إلى إعداد ميثاق أخلاقي يخدم المجتمع، ولا يتعارض مع توجهاته وقيمه وأخلاقه.

2- دعوة النقابات المهنية إلى وضع معيار للممارسة المهنية يراعي معايير التخصص والكفاءة كأساس للتعيين في الوظائف العامة.

3- تشجيع البحث والدراسة في فلسفة أخلاقيات المهنة.

4- وضع سياسة شاملة للاهتمام بتدريس فلسفة أخلاقيات المهنة في مختلف الكليات الجامعية لما لها من فائدة تعود على خريجي الكليات وعلى المجتمع بشكل عام.

5- تبنِّي برامج لتدريب العاملين وتوعيتهم بأهمية أخلاقيات المهنة ودورها في تقدم المجتمع.

هوامش البحث ومراجعه:

1ــ طاهر محسن، صالح مهدي،المسئولية الاجتماعية وأخلاقيات الأعمال، دار وائل، عمان، ط1 ،2005م، ص167.

2ــ أبوبكر الهوش، التقنية الحديثة في المعلومات والمكتبات، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص13.

3ــ أبوبكر ذكرى، مدخل إلى فلسفة الأخلاق، مطبعة دار التأليف، مصر، 1968، ص5.

4 جميل صليبا،المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبنانـــي، بيـــــروت، 1981، ص539،540.

5 مسكويه، تهذيب الأخلاق، تحقيق ابن الخطيب، المطبعة المصرية، القاهرة، ص13.

6ــ لالاند، موسوعة لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، مج2، منشورات عويدات، بيروت، 1996، ص839.

7ــ أبوبكر التلوع، الأسس النظرية للسلوك الأخلاقـــــي، منشورات قاريونس، بنغازي، 1995، ص20.

8ــ أميرة حلمي، مقالات فلسفية حول القيم والحضارة، مكتبة مدبولي،القاهرة، ص50.

9ــ طاهر محسن، صالح مهدي، مرجع سبق ذكره، ص168.

10ــ أحمد بدر،الأخلاقيات المهنية في المكتبات، مجلة الاتجاهات الحديثة، مج5، العدد 10، 1998، ص14.

11ــ عبد اللطيف حمزة، أزمة الضمير الخلقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1996، ص170.

12ــ سعيد مقدم، أخلاقيـــات الوظيفة العموميـــة، دار الأمة للطباعة، الجزائر، ط1، 1997، ص51.

13ــ بن عيسى احسينات، المجال التربوي وأخلاقيات المهنة، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2267، بتاريخ 2008/4/30.
www.ahewar.org

14ــ ديفيد رزنيك، أخلاقيات العلم، ترجمة عبد النـــــور عبد المنعم، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، يناير1978، ص35، 36.

15ــ عيسى الملا، أخلاقيات المهنة مناعة طبيعيـــــة ضد الفشل المهني، 2011/10/6
www.kenan online,com،

16ــ إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية، دار وائل، الأردن، ط1، 2006، ص303، 304.

17ــ خالـــد المجريســـي، أخلاقـــيات المهنة،
akhlagyat.blogspot.com

18ــ محمد جمال، القتل الرحيم ومشكلات الخوف والألم،

www.C3,ort.org.net

19ــ ناهده البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1993، ص49.

20ــ المرجع السابق، ص238، 239.

21ــ مارتسي بسيومر، كاس سانشتين، استنساخ الإنسان، ترجمة مصطفى إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،2003، ص279.

22ــ غادة الشامي، أخلاقيات التقني المسلم، www.alukah.net

23ــ فؤاد عبد الله، أخلاق العمل وسلوك العاملين، البنك الإسلامي للبحوث والتنمية، جدة، ط1، 1999، ص79.

24ــ شعبان عبده، اقتصاديات الأخلاق، دار النهضة العربية، القاهرة، 2012، ص13، 14.

25ــ فؤاد عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص79.

26ــ أبوبكر التلوع، مرجع سبق ذكره، ص23، 24.

27ــ ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة، القاهرة، 1959، ص43.

28ــ أمل مبروك، مشكلة الإنسان في الفكر المعاصر، دار قباء للطباعة، القاهرة، ص220.

29ــ السيد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص92ــ95.

30ــ محمد مهران، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة، القاهرة، 1998، ص162.

31ــ أبوبكر التلوع، مرجع سبق ذكره، ص25.

32ــ توفيق الطويل، قضايا من رحاب الفلسفة والعلم، دار النهضة العربية، القاهرة، ص40.

أخلاقيات العمل الوظيفي في الإسلام

د. مريم الصادق محمد المحجوب
كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدمة:

تعد أخلاقيات العمل الوظيفي فرع مستحدث من فروع علم الإدارة العامة، يتناول المبادئ والمفاهيم السلوكية التي ينبغي على كل موظف أنْ ينتهجها أثناء أدائه واجبات عمله، وأنْ يحافظ على سمعة الوظيفة أو المنظَّمة التي يعمل فيها، ويصون كرامة الدولة باعتبارها العقل المخطِّط والمنفِّذ للمشروعات العامة، مع الحرص والمحافظة على أموال جهة العمل العامة والخاصة وكتمان أسرارها.

وموضوع أخلاقيات مهنة العمل الوظيفي اكتسب أهمية بالغة في كافة الدول بسبب تردِّي مستوى أداء الموظف، وتفشِّي صور الفساد أو الانحراف الإداري في معظم الأنظمة الشرقية والغربية، وقد اتخذ الفساد الإداري في الدول النامية عموماً، والدول العربية على وجه الخصوص صورة مخيفة، ودبَّ هذا الفساد وتغذَّى من الفساد السياسي[1].

إنَّ تحلِّي الموظف بسلوك نظيف، وإيمان صادق في النظام الأخلاقي والقيمي للمجتمع، وإخلاصه للأهداف العامة أصبح من الأسس التي بتوافرها يتاح لمرافق الدولة أنْ تؤدي وظائفها وواجباتها وخدماتها على أكمل وجه نحو المجتمع، ومن الأهمية بمكان أنْ يتقيَّد الموظف بأخلاقيات الوظيفة تقيداً عن قناعة ورضاً، وليس عن قسر وخوف. لذلك يتعيَّن تهيئة الظروف والعوامل الملائمة له في كافة المجالات، ولتوضيح الأفكار المتعلقة بهذا الموضوع اعتمدنا منهجاً تاريخياً بالإضافة إلى المنهج التحليلي.

ويقوم هذا البحث على المحاور التالية:

أولاً- ماهية الأخلاق:

أ- الأخلاق في اللغة.

الأخلاق في اللغة جمع خُلْقُ، وهو العادة والسجية والطبع والمروءة والدين.

وعند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم وروية وفكر وتكلُّف، فغير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقاً كغضب الحكيم، وكذلك الراسخ الذي تصدر عنه الأفعال بعسر وتأمل كالبخيل إذا حاول الكرم[2].

وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة، فنقول فلان كريم الأخلاق أو سيء الأخلاق، وإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقط دلَ على الأدب؛ لأنَّ الأدب لا يطلق إلا على المحمود من الخصال، فإذا قلت: أدب القاضي أردت به ما ينبغي للقاضي أنْ يفعله[3].

ب- الأخلاق في الاصطلاح:

يسمَّى علم الأخلاق بعلم السلوك أو تهذيب الأخلاق، أو فلسفة الأخلاق أو الحكمة العملية، أو الحكمة الخلقية، والمقصود به معرفة الفضائل، وكيفية اقتنائها لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزه عنها النفس[4].

والأخلاق هي شكل من أشكال الوعي الإنساني يقوم على ضبط وتنظيم سلوك الإنسان في كافة مجالات الحياة الاجتماعية، دون استثناء في المنزل مع الأسرة وفي التعامل مع الناس، وفي العمل وفي السياسة في العلم وفي الأمكنة العامة، وضع الدين أساساً لتنظيم حياة الإنسان وعلاقته مع نفسه، ومن جملة هذه العلاقات تتكوَّن الأخلاق والقيم[5].

وكلمة أخلاق Ethic مستخلصة من الجذر اليوناني Ethos التي تعني خلق، وتكون الأخلاق Ethic طقماً من المعتقدات أو المثاليات الموجَّهة، التي تتخلَّل الفرد أو مجموعة من الناس في المجتمع، وباللغة الأجنبية فيختلف لفظ Ethic عن لفظ Deontologie،حيث تم اشتقاق هذا الأخير من الجذر اليوناني Deontos الذي يعني ما يجب فعله، و Logos التي تعني العلم، وتعني اللفظتان معاً العلم الذي يدرس الواجبات، كما تعرف "La Deontologie "أنَّها مرادف للأخلاق المهنية لمهنة معيَّنة[6].

ج- الأخلاق في الفلسفة:

هناك من يعرِّف الأخلاق بأنَّها "علم الخير والشر" على أساس أنَّ أهم ما يستفاد منه هو تحديد معنى كل من الخير والشر، والتفرقة بينهما. وثمَّة تعريف آخر للأخلاق

بأنَّها القواعد التي ينبغي أنْ يسير عليها الإنسان لبلوغ كامل إنسانيته في ضوء مثل أعلى يصبو إليه، ومعنى ذلك أنَّ علم الأخلاق علم معياري لا يبحث في حياة الإنسان الواقعية، ويصف ما هو كائن بالفعل، بل هو علم يضع ما ينبغي أنْ يكون[7].

وهذا التعريف الأخير يقترب في معناه من التعريف التقليدي للأخلاق الذي يرى أنَّ وظيفة الأخلاق وضع قوانين السلوك الإنساني بما هو كذلك، ومقاييس التميز بين الخير والشر مجرَّدين عن الزمان والمكان، وذهب أصحاب هذا التصور التقليدي للأخلاق إلى أنَّ المبدأ الخلقي يجب أنْ تتوافر فيه عدَّة خصائص أساسية، أهمها:

1- يجب أن يكون عاماً ومطلقاً يتخطى الزمان والمكان ولا يختلف باختلاف الظروف والأحوال

2- يجب أنْ يكون ضرورياً أولياً يستقى من الواقع والتجربة، وبدونه لا يستقيم تعقل الأشياء وفهمها.

3- أنْ يكون واضحاً بذاته لا يقبل برهاناً؛ لأنَّه يحمل في باطنه الشاهد على صدقه، بحيث يكون مجرَّد فهمه كافياً للتسليم بصوابه.

4- لا يقبل شكَّاً ولا جدلاً ولا يحتمل نقيضاً، بمعنى أنَّه يستحيل التسليم بصدق نقيضه، أو جعل هذا النقيض قاعدة للسلوك الإنساني[8].

وكلمة أخلاقيات تعني: وثيقة تحدد المعايير الأخلاقية والسلوكية المهنية المطلوب أنْ يتبعها أفراد جمعية مهنية، وتعرف بأنَّها بيان المعايير المثالية لمهنة من المهن تتبناه جماعة مهنية، أو مؤسسة لتوجيه أعضائها لتحمُّل مسؤولياتهم المهنية، ولكل مهنة أخلاقيات وآداب عامة حدَّدتها القوانين واللوائح الخاصة، ويقصد بآداب وأخلاقيات المهنة مجموعة من القواعد والأصول المتعارف عليها عند أصحاب المهنة الواحدة، حيث تكون مراعاتها محافظة على المهنة وشرفها[9].

وتختلف المسؤولية القانونية عن المسؤولية الأخلاقية باختلاف أبعادها، فالمسؤولية القانونية تتحدَّد بتشريعات تكون أمام شخص أو قانون، لكنَّ المسؤولية الأخلاقية فهي أوسع وأشمل من دائرة القانون، لأنَّها تتعلَّق بدائرة الإنسان بخالقه

وبنفسه وبغيره، فهي مسؤولية ذاتية أمام الله والضمير، أمَّا دائرة القانون فمقصورة على سلوك الإنسان نحو غيره، وتتغير حسب القانون المعمول به في المجتمع، وتنفِّذها سلطة خارجية من قضاة ورجال أمن ونيابة وسجون، أمَّا المسؤولية الأخلاقية فهي ثابتة ولا تتغير، وتمارسها قوة ذاتية تتعلَّق بضمير الإنسان الذي هو سلطته الأولى. هنا يمكن القول الأخلاق بقوتها الذاتية لا تكون بديلاً عن القانون، ولكن كلاً من المسؤولية الأخلاقية والمسؤولية القانونية متكاملتان، ولا يمكن الفصل بينهما في أي مهنة مهما كانت[10].

وقد يتبادر إلى الذهن التساؤل التالي. ما الفرق بين فلسفة الأخلاق بوصفها فرعاً من فروع الفلسفة، وبين الفضائل العامة أو ما يسمى بالآداب العامة؟.

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إنَّ لكلمة الأخلاق ثلاثة معان رئيسية هي:

المعنى الأول: تعني كلمة الأخلاق منهجاً معيَّناً في الحياة، أو أسلوباً يسير عليه الإنسان، وهذا المعنى أقرب إلى الأخلاق الدينية، فهي سلوك عملي، يخص أسلوب تعامل الإنسان من الصدق وحفظ الأمانة والتعفف عن الأفعال التي من شأنها أنْ تنقص من شخصيته، والتعاون مع غيره في ود ومحبة، فالدين معاملة.

المعنى الثاني: هذا المعنى يخص مفهوم التنشئة، وهو مجموعة من القواعد والنصائح الأخلاقية بما تشتمل عليه من أوامر ونواه كالتي يربَّى عليها النشء في المجتمع الذي يعيشون فيه، سواء كان عن طريق المؤسسات التعليمية، أو النوادي الاجتماعية أو الأسر الممتدة، لكنَّها لا تدخل ضمن فلسفة الأخلاق بمعناها الفلسفي المحدَّد.

المعنى الثالث: هذا المعنى هو أحد فروع الفلسفة، هو لا يسعى إلى وصف الفضائل الأخلاقية في مجتمع معيَّن أو زمن معيَّن، ولا يقدِّم لنا النصح والإرشاد، بل تنحصر مهمة هذا المعنى في دراسة الفضائل الأخلاقية دراسة عقلية خالصة، ولهذا يوصف هذا المعنى أحياناً لما وراء الأخلاق، أو شرح وتفسير للأسس والمبرِّرات التي تقوم عليها الفضائل.

أمَّا مسألة الأوامر التي يلقيها الأب لأبنه على هيئة نصح وإرشاد، أو داعية في مسجد يعظ الناس بضروب مختلفة من

الفضائل، فهذه المسائل أو المواقف لا علاقة لها بفلسفة الأخلاق، فالفلسفة مهمتها البحث وراء الفضائل، أي أنَّها تحاول أنْ تصل إلى معرفة الحقيقة التي ترتكز عليها هذه الفضائل الأخلاقية، أو هي محاولة إظهار المبرِّرات العقلية للفضيلة والرذيلة؛ ولتوضيح ذلك: فإذا افترضنا السرقة رذيلة يعاقب عليها القانون، يكون الاعتماد في الحكم هنا على الفضائل الأخلاقية إلى المجتمع وقانون الدولة[11].

وإذا ما قلنا أنَّ السرقة رذيلة يعاقب عليها الله في الآخرة، ففي هذه الحالة نرد الأساس الأخلاقي إلى الدين، وإذا قلنا السرقة رذيلة لأنَّ ضميرك سوف يؤنبك على هذا الفعل، والعقل الذي يجبرك على احترام نفسك كإنسان، يحتِّم عليك أنْ تكون أميناً، بالتالي يكون الحكم الأخلاقي أو مرد الفعل الأخلاقي إلى الواجب العقلي كما يقول كانط (1724-1804)(12).

فالتجربة الأخلاقية تتجلَّى في وقائع قد يشار إليها باسم الآداب العامة أو التقاليد أو الأعراف، والأدب بالمعنى الأخلاقي هو: مجموعة من القواعد التي يجد الناس أنفسهم ملزمين بأتباعها في وقت معيَّن وعصر معيَّن، وهي تسود علاقتهم الاجتماعية، وترجع صعوبة تحديدها لتغيرها الدائم في الزمان والمكان، تبعاً للمذاهب والفلسفات والأديان، أمَّا العرف فهو اطراد سلوك الأفراد في مسألة معيَّنة على نحو معيَّن اطراداً مصحوباً بالاعتقاد بضرورة التزام هذا السلوك، أو هو طراز العمل الذي يقرره الاستعمال لدى شعب أو جماعة اجتماعية، والعادات الأخلاقية عادات تتصل بممارسة الخير والشر، وفيها يتجلَّى طراز السلوك الفردي بالإضافة إلى طراز السلوك الأخلاقي الذي يجيزه المجتمع أو يفرضه فرضاً[13].

والواقع أنَّ التصور التقليدي يثير أكثر من مشكلة تتعلَّق بطبيعة الأخلاق والأحكام والمبادئ الأخلاقية، ويكفي هنا أنْ نقف قليلاً عند مسألتين هامتين تفرض كل منهما نفسها عادةً أثناء البحث في موضوع الأخلاق، ألا وهما: هل الأخلاق علم نظري؟ أم أنَّها ذات طابع عملي؟.

د- الأخلاق النظرية والأخلاق العملية:

إنَّ كثيراً من فلاسفة الأخلاق حين يتحدثون عن "علم الأخلاق" فهم يعنون به مجرَّد الدراسة النظرية الصرفة، مادام

الغرض الذي يهدف إليه هو فهم طبيعة الحياة الأخلاقية، كما لو كان علم الأخلاق يمثِّل صورة من صور البحث عن الحقيقة، ويدفع إليه دافع عقلي هو الرغبة في "المعرفة " فهو يهدف إلى التعرُّف على الصواب والخطأ في السلوك الإنساني[14].

ومعنى ذلك أنَّ علم الأخلاق علم نظري بحث، فهو حين يبحث ما يبحثه فأنَّه لا يكون بصدد تطبيق أو "عمل"، بل بصدد "بحث" و"نظر" فلا شأن للأخلاق بالسلوك الذي يقوم به الشخص، ولا مجال للحديث عن أثر ما تقوله الأخلاق في مثل هذا السلوك، فالسلوك شيء وعلم الأخلاق شيء آخر، فكذلك المرء يمكنه أنْ يحيا حياة خيِّرة، دون أنْ يدرس "علم الأخلاق".

وقد دافع عن هذا الموقف كثير من الفلاسفة قديمهم وحديثهم، ونكتفي هنا بالإشارة إلى فيلسوف محدث وهو شوبنهاور (1788–1860) كممثِّل لهذا الاتجاه، فقد أعلن شوبنهاور أنَّ الأخلاق مبحث فلسفي نظري لا يتسم مطلقاً بأي طابع عملي أو تطبيقي، مثله في ذلك مثل علم المنطق وما بعد الطبيعة، فليس في وسع الأخلاق أنْ تأمرنا أو أنْ تفرض علينا أي شيء إنْ لم نقل بأنَّها تعجز عن التعرُّض لدراسة أوامر السلوك[15].

إنَّ حياة الإنسان– فيما يقول شوبنهاور– تمضي في سبيلها دون أنْ تعير الأخلاق كبير اهتمام، فليس في وسع الأخلاق أنْ تبتكر لنا ما ينبغي أنْ يكون، بل ليس في وسعها حتى أنْ تكتشفه، وتعلِّمنا إياه.

وهكذا ينفي شوبنهاور عن الأخلاق كل طابع معياري، لكي يحيلها إلى مجرَّد دراسة نظرية أو تأملية بحته[16].

إلا أنَّ هذا الموقف قد رفضه كثير من الفلاسفة المعاصرين؛ لأنَّ القول بأنَّ الأخلاق تهتم أولاً بالذات، بالكشف عن حقيقة المعايير في مجال السلوك لا يمنع من أنْ يتعرَّض الفيلسوف لنقد المعايير الخلقية القائمة، وبالتالي لابد للأخلاق أنْ تصطبغ بصبغة عملية، ولا شك في أنَّ معرفة الأخلاق قد تقدم للشخص بعض المعونة في بحثه عن الخير، ومن يعرف الأخلاق يكون أقرب إلى تطبيق قواعدها على الحالات الجزئية من شخص يكون لديه إلمام بظروف الموقف دون أنْ تكون لديه معرفة بأصول علم الأخلاق، لذلك فالفائدة الأساسية لعلم الأخلاق تتمثَّل في

تنميته لسعة أفقنا ومقصدنا حين نعرض للمسائل الخلقية بوجه عام[17].

والواقع أنَّ الفلسفة الخلقية هي منذ البداية فلسفة عملية تهدف إلى الإجابة عن السؤال: ما الذي ينبغي علي أنْ أقوم به في الواقع العملي؟.وليس: ما الذي يمكنني أنْ أعرفه؟ لأنَّ هذا السؤال يقتضي أنْ يكون موضوع المعرفة مستقلاً عما نتوجَّه إليه في عالم التجربة لكي ندركه، أمَّا السؤال الأول فأننا نكون بإزاء شيء متحقِّق في التجربة والواقع، وليس له وجود سابق، بل يكتسب وجوده من خلال عملنا الذي نقوم به، وبذلك يتحقق هذا الطابع العملي من خلال نشاطنا العملي نحوه، ولهذا تكتسب الأخلاق هذا الطابع العملي الواضح[18].

ويبدو أنَّ الخلاف حول كون الأخلاق "نظرية "أم "عملية " خلاف يصعب إزالته بين فلاسفة الأخلاق، لأنَّ الأخلاق هي في حقيقة الأمر تجمع بين الجانب النظري والجانب العملي، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى التمييز فيها بين نوعين: الأخلاق النظرية، والأخلاق العملية.

ويكون الهدف من الأخلاق النظرية تحديد طبيعة القيم والمبادئ والمعايير التي تحكم السلوك البشري، والبرهنة على صدق وصحة هذه القضايا، في حين أنَّ الأخلاق العملية ترمي إلى الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بفعل الخير والفضيلة، وتأدية الواجب نحو الآخرين على ما ينبغي أنْ يكون[19].

وهكذا تجمع الأخلاق بين "النظر" و"العمل"، أو هي "علم" و"فن" في آن واحد؛ لأنَّها تنطوي على الجانب النظري والجانب العملي، وبذلك لا تكون العلاقة بين الجانبين علاقة تعارض وتنافٍ، بل تصبح علاقة تفاعل وتداخل[20].

ثانياً: قيمة أخلاقيات العمل الوظيفي:

لكلمة الأخلاق استخدامات مختلفة...فقد تعنى كلمة الأخلاق طريقة أو أسلوباً معيَّناً في الحياة، وهذا المعنى أقرب إلى الأخلاق الدينية التي تسعى إلى تأكيد القيم الأخلاقية بأسلوب ديني في حياة الإنسان وطريقة تعامله، وقد تعني مجموعة من قواعد السلوك، وهذا المعنى يشير إلى مجموعة القواعد والنصائح الأخلاقية التي يربَّى عليها النشء، وهي تعني أيضاً البحث في طريقة الحياة وقواعد السلوك، والمعنى يشير إلى أنَّه فرع من فروع الفلسفة التي

لا تسعى إلى الوصف: أي وصف الفضائل والرذائل. بل هي دراسة عقلية خالصة أو دراسة ما يجب أنْ تكون عليه القيم[21].

وتدل كلمة قيم من الناحية اللغوية على الاعتدال والاستواء وبلوغ الغاية، فهي مشتقة أصلاً من الفعل "قام" بمعنى وقف واعتدل وبلغ واستوى كقولنا: استقام الأمر، أي اعتدل، وباللغة الانجليزية Value، وبالفرنسية Valeus وهي تعني أيضاً قيمة الشيء أي ثمنه[22]، وتعني أيضاً قيمة الشيء "قدره"، وقيمة المتاع ثمنه، وتستعمل كلمة قيمة أيضاً في علم الاقتصاد، فهناك قيمة استعمال، وقيمة التبادل، ويميزون أحياناً بين القيمة والسعر على أساس أنَّ قيمة الشيء حقيقية، بينما السعر اعتباري؛ ولهذا فالقيمة تكون أحياناً أكبر من السعر، وأحياناً تكون أقل منه[23]. وبالتالي فالقيمة الأخلاقية شأنها شأن سائر القيم، هي دائماً في الأفق، وهي مطلب قريب وبعيد، نحبه ونسعى إليه ونحقق منه ما نحقق، ولكنَّنا لا نبلغه بأسره أبداً، وهو متجدِّد على الدوام[24].

فالميثاق الأخلاقي لأي مهنة يضم القواعد المرشدة لممارسة مهنة ما للارتقاء بمثالياتها، وتدعيم رسالتها، ورغم أهميته في تحديد الممارسات والأولويات داخل مهنة معيَّنة إلا أنَّنا لا يمكن أنْ نفرضه بالإكراه ولكن بالالتزام، وأنَّ الطريقة الوحيدة للحكم على مهنة معيَّنة هو سلوك أعضاء تلك المهنة إزاءها، والحفاظ على قيم الثقة والاحترام والكفاءة والكرامة، ولذلك يجب أنْ يتميَّز الميثاق الأخلاقي للمهنة بالاختصار والسهولة والوضوح والقبول والمعقولية والشمولية والايجابية. هذه الميزات توضح جميع الالتزامات المهنية أمام زملاء المهنة الواحدة المهنة نفسها والمؤسسات التابعين لها، المستفيدين منها الدولة المجتمع[25].

أمَّا العمل فهو الفعل والمهنة والصنعة، تقول: عمل عملاً ، فعل فعلاً عن قصد، والفرق بين العمل والفعل هو أنَّ العمل أخص والفعل أعم؛ لأنَّ الفعل قد ينسب إلى القوى المادية، كما في قولنا: فعل الطبيعة وفعل الحرارة، أمَّا العمل فلا يطلق إلا على الفعل الذي يكون من العاقل يفكِّر برويه وقصد، وهو يحتاج إلى امتداد الزمان، أمَّا الفعل فقد يتم دفعه من غير بطء، ولهذا قرن العمل بالعلم،

حتى قال بعضهم إنَّه مقلوب عنه تنبيهاً إلى أنَّه من مقتضاه[26].

وقد يراد بالعمل الفعل المهني أو الصناعي كقول ابن خلدون: "الأعمال أصل المكاسب... والعمران وفوره ونفاق أسواقه، إنَّما هو بالأعمال وسعى الناس في المصالح والمكاسب...المكاسب إنَّما هي قيم الأعمال، فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمتها... فلابد في الرزق من سعي وعمل، ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه[27].

إنَّ بيان مفهوم العمل يفرض تميزه عن الأنشطة المتماثلة أو المتقاربة، وإيضاح تطوره وتحديد طبعتيه، هل هو سلعة أم وظيفة إنسانية؟.

ويطلق العمل في علم الأخلاق على كل فعل يهدف إلى غاية، ويصدر عن إرادة، وفي علم الاقتصاد على كل جهد يبذله الإنسان لتحصيل منفعة، وفي علم النفس على نشاط تلقائي، أو مكتسب ذهني أو جسمي[28].

إذن العمل هو الذي يعد جزءاً من العملية الإنتاجية إلى الجانب الإنساني (البشري) من الإنتاج، وبعبارة أخرى العمل الهادف للمنفعة الاقتصادية، أو إنتاج الغذاء أو العمل الذهني كالتأليف (عمل فكري) أو التوجيه والقيادة(عمل إداري)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساعدة المحتاج (عمل أخلاقي)[29].

أما النشاط فهو: ممارسة إنسانية لا علاقة لها بالإنتاج، كالنفخ في البوق، أو المشي، أو تناول الطعام. إذن النشاط: كل عملية عقلية أو بيولوجية (حياتية) متوقفة على طاقة الكائن الحي، وكل عملية عقلية، أو حركية تمتاز بالتلقائية أكثر منها استجابة، وسميُ أيضاً فاعلية[30].

والوظيفة مهنة لها واجبات والتزامات، وهذه الوظيفة تحتاج إلى مجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية، التي تسهِّل توظيف المهنة للإنسان، لأنَّ المهنة مهما كانت (عامل، فلاح، طبيب، محامي). هي أولاً وأخيراً لمصلحة وخدمة الإنسان، لكن المهنة أحياناً تنحرف تحت دافع الطمع أو المصلحة الخاصة ذاتها، كأن تنعزل هذه المهنة عن الإنسان، وتصبح كأنَّما هي أداة تسلُّط على الإنسان، فأخلاقيات المهنة أو (الموظف العام) هي عبارة عن سلوك له نزعة أخلاقية، وهذا السلوك يهدف إلى توظيف واجبات المهنة والتزاماتها وتقديمها

للمستفيد من المهنة، وأخلاقيات المهنة تستمد أساساً من قيم وأخلاقيات المجتمع، ولكل مجتمع أخلاقياته، ولكل مهنة أخلاقياتها وأحياناً تكون المهنة مصلحية مثلاً (التجارة)، والتجارة تقتضي الثقة والائتمان[31].

والإدارة العامة عبارة عن منظَّمة عامة تابعة للدولة، والموظف هو العنصر البشري في الإدارة، وهذا الموظف كل أعماله عبارة عن تحقيق حاجات المجتمع، والجمهور هم المستفيدون من هذه الحاجات، فكلما كان الموظف سلوكه سليماً ينعكس ذلك على الدولة، والعكس بالعكس[32]. ويعرّفها أيضاً د/ مصطفى أبوخشيم هي: "تنسيق الجهود البشرية لتحقيق أهداف عامة أو أي نشاطات تقوم بها الدولة عن طريق منظَّماتها العامة"[33].

فالموظف استخدم من قبل سلطة الإدارة كي يقدم خدمات مرافق الدولة ومنافعها إلى كل من يطلبها من أفراد المجتمع، فهو مكلَّف بمهام محدَّدة، ومن ثم فهو لا يقدم معروفاً أو إحساناً للغير، وهو يقوم بجهود يتقاضى أجراً عليها فامتيازات السلطة وخصائص القانون العام مقرران للصالح العام، وليس أداة لاستعباد الأفراد وإذلال المستفيدين من خدمات الدولة لشعبها[34].

ثالثاً- اقتران الإيمان بأخلاقيات العمل:

ليس أدل على قيمة أخلاقيات العمل في ميزان الدين من أنَّ الآيات التي تتحدث عن الإيمان والمؤمنين تقرن الإيمان دائماً بالعمل، ومن ذلك قوله تعالى:(إنَ الَذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً)[35]. وقوله تعالي: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إن لا نضيع أجر من أحسن عملاً)[36]. وقوله تعالى: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)[37].

الإيمان لابد أنْ يقترن بالعمل، لأنَّ العمل ثمرة الإيمان وبرهانه، وليس الإيمان بالتمنِّي كما يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلَّم- ما وقر في القلب وصدقه العمل، أي أنَّ الإيمان من العمل؛ لأنَّ الإيمان إقرارُ القلب؛ والإقرار نوع من العمل، وقد قال قوم فرطوا فيما يجب عليهم: نحن نحسن الظن بالله، فقال عنهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- : كذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل[38].

ذلك أنَّ العمل غاية إنسانية وواجب اجتماعي في الحياة، وهو في الوقت نفسه من القيم الدينية التي تصل إلى مستوى العبادة، لأنَّه يحقِّق الحكمة من خلق الإنسان، ووجوده في هذه الحياة[39].

فالعبادة تلتقي والعمل في معنى واحد؛ لأنَّ الإنسان خلق في هذه الأرض ليعمل، منحه الله الحواس والمواهب ليستخدمها في ذلك، فإنْ هو لم يفعل فقد عطَّل حكمة الله في خلقه، وعصى أمره إذ يقول تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[40].

ونحن إذا رجعنا إلى الصورة التطبيقية في حياة الأنبياء والرسل، وهم الذين يعطون القدوة والمثل، نجد الدليل الواضح على قيمة العمل في الإسلام. فقد كانت حياتهم كلها عملاً وجهاداً ليس في ميدان الفكر والدعوة فحسب، ولكن في مجال العمل اليدوي وغيره من الأعمال.

ألم يعمل سيدنا نوح –عليه السلام– في بناء السفينة وداود عليه السلام في صناعة الحديد وإبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– في بناء البيت العتيق، وكان المهر الذي تزوج به موسى –عليه السلام– ابنة شعيب –عليه السلام– أنْ يعمل أجيراً عنده عشر سنوات؟. وكذلك كان محمد " يتقدَّم المسلمين في بناء مسجد قباء ومسجد المدينة، ويحمل الأحجار إلى مكان البناء، فإذا اعترضه أحدهم يريد أنْ يحمل عنه ردَّه قائلاً: اذهب فاحمل غيرها، فلست أفقر إلى الله منى.

وفي حديث الرسول "إلى جانب عمله ما يؤكد هذا المعنى وكان يبشِّر من أمسى متعباً من عمل يده بالمغفرة، و يقول: "لأنْ يأخذ أحدُكم حبْلُه، ثم يغدُو، أحسبُه قال: إلى الجبل فيحْتطب فيبيع فيأكُل ويتصدّق خير له من أنْ يسأل الناس أعطوه أو منعوه"[41]، وكان يكرم العامل الذي خشنت يده من العمل فيقول: (هذه يد يحبها الله ورسوله)[42].

وصدق رسول الله " لأنَّ الإنسان إذا استغنى عن الناس ولو بهذه المهنة التي لا يقوم بها إلا الفقراء، فهو خير له من أنْ يسأل الناس أعطوه أو ردُّوه، وذلك لاستغنائه بما أعطاه الله – تعالى– من القوة عن غير الله .

وفي ذم البطالة أيضاً، وما تؤدي إليه من الفقر وذل السؤال يقول رسول الله ﷺ:

"ما يزال الرجل يسأل الناس حتّى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعُة لحْم"[43].

أي بمعنى كما أذل وجهه في الدنيا عوقب بمثل ذلك، نزع اللحم الذي به جمال الوجه، وبهاء الوجه نزع منه والعياذ بالله .

ويقول رسول الله: "إنْ قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع إلا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك أجر"[44].

وفي هذا الحديث الشريف تتمثَّل قيمة العمل، وأهميته في هذه الحياة حتى في اللحظات الأخيرة التي يودع فيها الإنسان، وتودع الدنيا كلها الحياة.

ولو قال رسول الله ﷺ: "إنَّ واجب الإنسان حين يرى القيامة قد أقبلت بأهوالها، وهو في هذا الموقف هو أنْ ينفض يده من شئون الدنيا، وأنْ يسارع في اللحظات الباقية إلى الاستغفار والتوبة والإقبال على الله، لكان هذا القول متفقاً مع طبيعة الإنسان وطبيعة الموقف. ولكن رسول الله ﷺ قال: إنْ كانت بيد أحدكم فسيلة وقد قامت القيامة فاستطاع أنْ يغرسها قبل أنْ تدهمه القيامة فليفعل. ولو أنَّ الإنسان تدبَّر المعنى الذي تضمَّنه الحديث الخاص بالفسيلة وغرسها على أبواب القيامة، وحاول تطبيق هذا المعنى في حياته، لطالعتنا صور كثيرة من صور التغير في سلوك كثير من الناس[45].

ونضرب لذلك مثلاً هذا الموظف الذي بقى على اعتزاله الخدمة عاماً أو بعض عام، فنراه فترت همته وفقد حماسه للعمل، وأصبح غير حريص على أداء الواجب أو التفكير في مشروع جديد، يفيد العمل ويرفع من مستوى الأداء والإنتاج، تاركاً ذلك في أدائه إلى من يشغل وظيفته من بعده، ولو تدبَّر هذا الموظف المعنى العميق الذي تضمنه حديث الرسول –صلى الله عليه وسلَّم– لظل يعمل وينتج إلى آخر لحظة في حياته الوظيفية.

وهناك حقيقة أخرى تتوارد على الخاطر بهذه المناسبة، إنَّ الشعور السلبي للموظف أو العامل الذي تفتر همته، ويخبو حماسه للعمل قرب اعتزاله الخدمة، وينعكس على حياته بصورة ضارة، فما أنْ يترك العمل حتى يجد نفسه في عزلة عن الحياة، لا يشد إليه جهد ولا هدف، بذلك تثقل عليه أيامه وتطول عليه لياليه، ويقضي بقية حياته تحت وطأة العلة والفراغ[46].

فلو أنَّ مثل هذا الموظف أو العامل أدَّى عمله إلى آخر لحظة بروح متفتحة وهمة متجدِّدة، وأمل في المستقبل غير محدود لترك الوظيفة موفور الطاقة، قادراً على استئناف الجهد في ميادين أخرى، يفيد بها نفسه ومجتمعه الصغير والكبير.

وفي هذا الحديث الشريف توجيه إلى معنى آخر هو الربط بين الدنيا والآخرة في الفكر والعمل، فلا انفصالية بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وإنَّما هو طريق واحد، أوله هنا وأخره هناك[47]، يقول تبارك وتعالى: (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا)[48].

ويقول جلَّ شأنه:(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)[49].

وهذا المعنى هو الذي يجعل الإنسان متصلاً بالله في كل ما يعمل، يبني للدنيا وهو يبتغي الآخرة، يجاهد في سبيل الله؛ ليعلي كلمة الحق، ويحمي حوزة الوطن، ويصون عرضه وماله، وقد يبذل في ذلك روحه لأنَّ وراء هذه الدنيا حياة أخرى، يطيب فيها الجزاء والبقاء[50].

رابعاً- أهمية الأخلاق الوظيفية:

لماذا ينبغي أنْ نهتم بأخلاق مهنة العمل الوظيفي؟ وما هي أهدافها؟.

إنَّ الالتزام بأخلاق العمل يسهم في تحسين المجتمع بصفة عامه، حيث تقل الممارسات غير العادلة، ويتمتع الناس بتكافؤ الفرص، ويجني كل امرئ ثمرة جهده، أو يلقى جزاء تقصيره، وتسند الأعمال للأكثر كفاءة وعلماً، وتوجَّه الموارد لما هو أنفع، وتضيق الخناق على المحتالين والانتهازيين، وتوسع الفرص أمام المجتهدين. كل هذا وغيره يتحقق إذا التزم الجميع بالأخلاق؛ كما أنَّها تؤدي إلى دعم الرضا والاستقرار الاجتماعيين بين غالبية الناس، حيث يحصل كل ذي حق على حقه، ويسود العدل في التعاملات والعقود والإسناد وتوزيع الثروة... وكل ذلك يجعل غالبية الناس في حالة رضا واستقرار، وتوفر بيئة مواتية لروح الفريق وزيادة الإنتاجية، وهو ما يعود بالفائدة على الجميع، زيادة ثقة الفرد بنفسه وثقته بالمنظَّمة والمجتمع، ويقلِّل القلق والتوتر بين الأفراد، ويقلِّل تعريض المؤسسات

للخطـــر؛ لأنَّ المخالفـــات والجـــرائم والمنازعات تقل، حيث

يتمسَّك الجميع بالقانون الذي هـو أولاً وأخيـراً قيمة أخلاقية، وبالتـالي تـنجح الممارسات الجيِّدة في طـرد الممارسـات السيئة، ويشجِّع الالتزام أخلاقيـاً بمواثيـق أخلاقية صارمة على اللجوء في التعامـل إلى الجهات الملتزمة.

إنَّ وجود مواثيق أخلاقية معلنة يـوفر المرجع الذي يحتكم إليه الناس؛ ليقـرِّروا السلوك الواجب، أو ليحكموا على السـلوك الذي وقع فعلاً[51] .

أمَّا أهداف أخلاقيات الوظيفة العامة فتتمثل في الآتي:

1ــ أنْ نجعـل الموظـف لا يرتكـب أي جريمة من جرائم القـانون العـام، مثـل المسـاس بـأموال الدولـة (الاخـتلاس، السرقة).

2- عدم التسبُّب في هدر المـال والوقـت والجهد.

3- هناك فجوة بين قدرات الموظف وأدائه .أي أنَّ قدرته لإنجاز 100 وحدة، أو 100 معاملة، لكن أداءه هو 50 أو أقل، فالفجوة ما بين قدرات أو طاقات الموظَّف، وبـين أدائه الفعلي الذي يشجِّع الموظـف علـى أخذ مرتبه سواء أنجز أم لم ينجز عملـه، وتعالج هذه الفجوة بنظام الحوافز بصـورة إيجابية أو بالمعاقبة (الانضباط أو التأديب)، وهذه المعالجة سلبية لهذه الفجوة، إضافة لبث الوعي الأخلاقي، ولذلك تعد الأخـلاق أعم من القانون، ولكن هـذا القـانون ذو فعَّالية أكبر لأنَّه يرتبط بعقوبة مادية تفرض من قبل سلطة الدولة عند الإخـلال بـأي قاعدة من قواعده، بينما الجزاء أو العقوبة المرتبطة بالأخلاق جزاء أو عقوبة معنوية (أدبية) تتمثَّل في اسـتنكار الآخـرين، أو اسـتهجان الـرأي العـام، أو غضـب المعارضين على مقترفها[52].

خامساً- مصادر ومظـاهر الانحرافـات الأخلاقية للموظفين:

لأخلاقيات مهنة العمل مظاهر تتمثَّـل في الآتي:

1ــ مظاهر تدخل ضمن جـرائم القـانون العام (السرقة، الاختـلاس، الرشـوة، إضرار الموظفين).

2ــ مظاهر إضرار بـأفراد المجتمـع، أو الزملاء (تأخير أعمال الأفـراد منهـا البيروقراطية، التنافس غير الشـريف مـع

الزملاء، إيصال المعلومات الخاطئة بسوء نية إلى المدير العام)[53].

قد يتساءل البعض هل هناك مصادر أخرى تتدرج منها القيم الأخلاقية للموظفين؟.

ممَّا لاشك فيه هناك قيم أخرى تتمثَّل في الدين، والقانون، والقيم الاجتماعية، والنظام الاقتصادي، والنظام السياسي، وثقافات المجتمع.

وبعد أنْ عرفنا مصادر القيم الأخلاقية بقي علينا أنْ نتساءل ما الهدف من وضع أخلاقيات للخدمة أو الوظيفة العامة في محاربة الفساد الإداري؟.

سادساً- مفهوم الفساد الإداري:

إنَّ المنظَّمات العامة هي فروع للدولة مستخدمة كوسيلة لإشباع الحاجات العامة، ولغرض تسهيل أمر هذه المنظَّمات لتحقيق أهدافها فأنَّها تزوِّد بمجموعة من السلطات والامتيازات التي يفترض أنْ تستعمل في الأغراض القانونية الموضوعة من أجلها. أمَّا إذا استخدمت خلاف الغرض وخصوصاً عند استخدامها لمآرب شخصية، سواء لكبار أو صغار الموظفين، فهذا ما يطلق عليه بالانحراف الإداري أو الفساد الإداري .

إذن فالفساد الإداري هو المتاجرة بالوظيفة واستغلال النفوذ لغير الأغراض القانونية الموجود من أجلها، فالوظيفة العامة هي أداة الدولة لتحقيق هدف عام فهي جزء من الدولة، والموظف يعيّن نظير أجر أو راتب لغرض القيام بمهام الوظيفة، وهي مهام تشكِّل مجموعة من واجبات الدولة[54]، ولكن هل هناك اختلاف بين الوظيفة والموظف في الجهاز الإداري للدولة؟.

هناك فارق واضح بين الوظيفة والموظف، فالوظيفة عبارة عن مجموعة من السلطات والمسؤوليات، وقد تكون مشغولة أو غير مشغولة، وهي باقية لا تنتهي بوفاة شاغلها أو استقالته، أو فصله أو إحالته إلى المعاش. أمَّا الموظف فهو الشخص الذي يشغل الوظيفة، على أساس ما لها من حقوق، وما عليها من واجبات لفترة معيَّنة من الزمن – تطول أو تقصر – ولكنه في النهاية يتركها إلى موظف آخر[55].

إنَّ الموظف العام عند استخدامه لواجبات وسلطات وظيفته مقيَّد بمجموعتين واضحتين من القيود هما:
الأولى: التشريعات المتعلقة بالدولة، سواء أكان منها قانون المنظَّمة، أو المرفق الذي يعمل فيه الموظف أو قانون الخدمة الإدارية، أو أنظمة وتعليمات السلطة الرئاسية، وغير ذلك من التنظيم التشريعي.
الثانية: هي أخلاقيات الوظيفة أي ما يمليه الضمير الأخلاقي الحي في وجوه الميل نحو العدالة والخير و الحق، و ما الفارق بين هاتين المجموعتين؟.

الفارق بين هاتين المجموعتين: أنَّ القيود الأولى تنظِّم السلوك الخارجي للموظفين، والثانية تنظِّم النوايا والبواعث والدوافع بحيث تحقق رقابة ذاتية على سلوك الفرد.

فأي نوع من هذين النوعين من القيود يتعلَّق بالفساد الإداري؟.

إنَّ النوع الأول من القيود التشريعية بصفة عامة هي التي تدخل لحظر (منع) أي صورة من صور الفساد الإداري، لذلك فالقانون التأديبي (الانضباطي) يمنع كل صورة من صور استغلال النفوذ، أو شراء أو استئجار عقارات الدولة التي تقع ضمن عقارات المرفق العام[56]. فالفساد الإداري لما له من آثار سلبية وسيئة، يمس هيئة الدولة ويفقد الثقة بموظفيها، كما أنَّ له آثار اجتماعية متمثلة في اختلاف نظام القيم الاجتماعية والأخلاقية كرد فعل لتفشِّي الفساد في منظمات عامة، يفترض أنَّها أمينة على الصالح العام.

ومن ذلك يتضح أنَّ الفساد الإداري هو استغلال الوظيفة العامة لغرض الحصول على منافع شخصية بطرق غير مشروعة، والسبب في ذلك الخلل الأخلاقي والتربوي، وعدم تحصين الشباب ضد الانحراف ممَّا يدل على هبوط القيم الروحية، وزيادة القيم المادية بطريقة غير عقلانية.

وقد يتساءل البعض ما العلامة التي تدل على الفساد الإداري؟

علامات الفساد الإداري:

1- رفع الشعارات الإدارية الجوفاء في البلدان النامية التي تشير إلى إنجازات كبيرة، وأرباح متصاعدة والبدء في تنفيذ أهداف جديدة إلى غير ذلك من الوعود التي تخدِّر أعصاب الناس وعقولها، وتؤملها بالتغير القريب والإصلاح

الجذري، والهدف من هذه الوعود هو التستُّر على تفشِّي ظاهرة الفساد.

2- فتح أبواب التوظيف على مصرعيها، فيدخل الوظيفة كل أُميّ جاهل أو فرد فاقد الضمير، أو متقاعس هازل ذكراً كان أو أنثى، والنتيجة استلام رواتب وأجور دون إنتاج حقيقي أو مخرجات جادة، فلم يربط الأجر (الراتب) بالإنتاج (العمل)، وأصبحت الوظيفة دار العاجزين ومأوى المنحرفين، الذين وجدوا الطريق ممهَّداً للمتاجرة بالوظيفة دون رادع من ضمير أو رادع من وجدان.

3- ازدياد الذين لا يعملون ولا يريدون أنْ يعمل الناس، فهؤلاء يحولون المنظَّمة أو المرفق العام إلى حلبة صراع شخصي، تتاح لهم فيه المغانم والامتيازات، ولغيرهم التراوح بين الفئات والجمود الوظيفي.

للفساد الإداري نتائج وآثار بالغة السوء منها:

1ــ فقدان الثقة والاطمئنان بالحكومة، وزوال هيبة الحكم في نفوس الناس، وزرع القنوط واليأس لدى الرأي العام، وقد يفقد الإنسان ثقته بنفسه تأسيساً بأنَّ الموظفين هم من أبناء الشعب، فمن أين نستورد نفوساً صالحة حتى نضمن صلاح الأمور؟

2ــ على مستوى الموظف الذي نزل إلى حماة الفساد، تراه يزداد ثراءً ما كان يحصل له لولا استغلال نفوذه، وإعلاء صالحه الخاص على الصالح العام.

3ــ وعلى مستوى المنظَّمة العامة والمرفق العام يسوء العمل الإداري التنظيمي والقيادي والتنفيذي إذا شاع الفساد الإداري على مستوى مجموعة من المديرين في المستويات العليا والوسطى، إذ يكون غرض هؤلاء تجنيد المنظَّمة وسلطاتها وامتيازاتها لإشباع حاجات فردية غير مشروعة.

4ــ هب أموال الدولة التي هي أموال الشعب، ويصبح الجهاز الإداري جهازاً مقاداً من قبل المنحرفين ذوي الأطماع غير الأخلاقية.

5ــ عندما يصبح الاختلاس والرشوة والتزوير سمة من سمات النشاط الوظيفي الحكومي، فمن الصعب بقاء سيادة القيم الأخلاقية والاجتماعية، ومن المستحيل ألا تهتز المثل العليا للشعب.

6ــ إنَّ الفساد الإداري هو غض السلطة السياسية نظرها عن انتهاكات القانون والشرعية، فأي حديث عن سيادة القانون، أو مبادئ المشروعية سيقابل بخليط من الاستخفاف والإعراض، بينما سيفتح الباب أكثر لمخاطر الانحرافات والفوضى[57].

سابعاً: التنمية الأخلاقية للموظف العام:

تقوم التنمية الأخلاقية للموظف العام على جملة أركان بعضها بمثابة عوامل تؤدي إلى ازدهار هذا النمط من التنمية، وهذه الأركان تتمثل في الآتي:

1ــ وضع نظام مالي يكفل العيش الكريم للموظف عن طريق توفير راتب يكفي لنفقاته الشخصية والاجتماعية ولأسرته.

2ــ إشراك الموظفين بسياسة صناعة واتخاذ القرارات الإدارية.

3ــ وضع نظام فعَّال للحوافز الوظيفية المتمثلة في الحوافز المادية والمعنوية.

4ــ وضع نظام تأديبي فعَّال، وهو النظام القادر على تحقيق الأهداف التي وضع من أجلها.

5ــ الاستخدام العقلاني للجزاء التأديبي، أي يفرض من قبل السلطة التأديبية المختصة رئيساً، أو لجنة أو مجلس تأديبي مقابل مخالفة تأديبية ارتكبها موظف مذنب، فلا جزاء بدون مخالفة، ويمكن معالجة المخالفة بجزاء مناسب، أو بعفو الرئيس الإداري، أو يغلق التحقيق بسبب حسن نية المخالف، أو حداثة عهده بالوظيفة، أو لضآلة الفعل المرتكب، أو لأي سبب أخر يقدِّره الرئيس الإداري حق قدره، فلا يلجأ إلى العقاب[58].

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج والاقتراحات التي تهدف إلى تعزيز وتنمية النظام الأخلاقي في العمل الوظيفي العام بالدولة، وفيما يأتي بيان ذلك .

1ــ لقيت أخلاقيات العمل الوظيفي في الإسلام عناية بالغة، واهتماماً واضحاً في العمل الوظيفي الإسلامي عبر العصور.

2- أنَّ الموظفين يصدرون آراءهم حول أخلاقيات مهنة الوظيفة غالباً من مصدر واحد، ذلك هو النص الشرعي قرآناً وسنة، وأنَّهم يستلهمون في تدوينهم لهذه الآداب شمائل الرسول -صلى الله عليه وسلَّم- وأخلاقه بصفته هو المعلِّم الفذ،

والأسوة الحسنة، والنموذج الكامل في عمله وتعليمه لجيل الصحابة.

3- هناك جملة من الأخلاقيات حظيت باتفاق عام من قبل الموظفين، وفي الوقت نفسه انفرد البعض منهم بالتركيز على آداب لم يتطرَّق لها غيره، وإنْ كان ذلك الغير نحا منحى مشابهاً في الانفراد بذكر آداب أخرى؛ ومن الصفات والأخلاق التي حظيت باتفاق عام استحضار النية الطيبة في العمل والعدل في التعامل مع جميع الموظفين، والرفق والعمل بالعلم.

4- لا تهدف أخلاقيات الوظيفة إلى إبعاد الموظف عن جرائم القانون العامة، وكل صور الإخلال أو التقصير، أو الخطأ مهما كان عادياً أو تافها فحسب، وإنَّما تهدف أيضاً إلى خلق ضمير إنساني مهني حي يتجه إلى التطوير والإبداع.

التوصيات:

أن يستوعب الموظفون والموظفات عموماً هذه الأخلاقيات، ومحاولة تطبيقها في أداء مهنهم وفي معاملتهم مع بعضهم البعض، وتمثلها بشكل عملي في واقعهم سيكون له –بإذن الله – انعكاس طيب تجاه المهنة، وعلى نظرة رؤسائهم تجاههم، وعلى سير الوظيفة العامة بشكل عام .

أن يضع القائمون على شؤون الوظائف العامة والخاصة ومراكز التدريب والمؤسسات هذه الأخلاقيات والقيم في برامجهم.

أنْ يدخل القائمون على شؤون الإشراف المهني والمدراء أخلاقيات المهنة ضمن معايير تقويم الأداء المهني لمهنة العمل الوظيفي بعد التوعية الشاملة بها.

ضرورة معالجة ظاهرة الفساد الإداري والتحري عن الموظفين الذين يتعاطون الرشوة بتوفير رواتب ملائمة لكرامة الموظف، ونفقاته الشخصية والأسرية، إضافة إلى توفير عوامل الاستقرار النفسي والأسري، ويكون ذلك بتطبيق أخلاقيات المهنة في وظائفهم.

هوامش البحث ومصادره:

(1) عبد القادر الشيخلي، أخلاقيات الوظيفة العامة، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 1999، ص5.

(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1971، ص 49 .

(3) المرجع السابق، الصفحة السابقة.
(4) المرجع السابق، ص 49، 50.
(5) مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص 40 .
(6) المرجع السابق، ص 41 .
(7) محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء، القاهرة، 1998، ص 20، 21
(8) المرجع السابق ص 22 ،23 .
(9) مصطفى حسيبة، مرجع سابق، ص 41 .
(10) المرجع السابق، ص 41، 42 .
(11) المهدي جحيدر، القيم الخلقية بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ط1، 2009، ص 80 .
(12) المرجع السابق، ص80، 81 .
(13) معن زيادة، الموسوعة العربية الفلسفية، المجلد الأول، معهد الإنماء العربي، ط1، 1986، ص 39.
(14) محمد مهران، مرجع سابق، ص 25،26 .
(15) المرجع السابق، ص27 .
(16) المرجع السابق، ص 28.
(17) أبوبكر التلوع، الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1995، ص13
(18) محمد مهران، مرجع سابق، ص28.
(19) المرجع السابق، 29 .
(20) المرجع السابق، والصفحة نفسها.
(21) المهدي جحيدر، مرجع سابق، ص20 .
(22) صلاح الدين بسيوني، القيم في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 8.
(23) المرجع السابق، ص 9.
(24) المرجع السابق، والصفحة السابقة.
(25) مصطفي حسيبة، مرجع سابق، ص42 .
(26) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994م، ص104 .
(27) ابن خلدون، المقدمة، ج1، دار العودة، بيروت، 1981، ص 32 .
(28) جميل صليبا، مرجع سابق، ص 104 .
(29) عبد القادر الشيخلي، مرجع سابق، ص47.
(30) المرجع السابق، ص 48.
(31) المرجع السابق، ص15.
(32) المرجع السابق، ص 16.
(33) مصطفي أبو خشيم، موسوعة علم السياسة، دار الجماهيرية، طرابلس، ط1، (بدون تاريخ)، ص37
(34) عبد القادر الشيخلي، مرجع سابق، ص16.
(35) سورة الكهف، الآية107.

(36) سورة الكهف، الآية 30.
(37) سورة الرعد، الآية 29.
(38) محمد بن صالح العثيمين، شرح صحيح البخاري، المجلد الأول، دار المحدثين، مصر، ط1 ،(26)، ص 66.
(39) محمد كامل حته، القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف، القاهرة، 1911، ص 62 .
(40) سورة التوبة، الآية 105.
(41) محمد بن صالح العثيمين، شرح صحيح البخاري، المجلد الثالث،(1480)، مصدر سابق، ص 492 .
(42) محمد كامل حته، مرجع سابق، ص63 .
(43) محمد بن صالح العثيمين، مصدر سابق،(1474)، ص 489 .
(44) محمد كامل حته، مرجع سابق، ص64، 65 .
(45) المرجع السابق، ص67 .
(46) المرجع السابق، ص68 ، 69 .
(47) المرجع السابق، ص 69 .
(48) سورة القصص، الآية 77 .
(49) سورة الأعراف، الآية 32 .
(50) محمد كامل حته، مرجع سابق، ص69 .
(51) ماجد بن ناصر المحروقي، مقالة (أخلاقيات المهنة)، مدير مكتب الإشراف التربوي بشمائل، شبكة نث. ديسمبر، 2009م.
(52) عبد القادر الشيخلي، أخلاقيات الوظيفة العامة، مرجع سابق، ص21 .
(53) المرجع السابق، ص19.
(54) المرجع السابق، ص73،72.
(55) عادل حسن، الإدارة العامة، دار النهضة العربية، بيروت،1978، ص57 .
(56) عبد القادر الشيخلي، مرجع سابق، ص 75،74 .
(57) المرجع السابق ، ص 76 ، 77 .
(58) المرجع السابق، ص79.

الخطيئة والعقاب في الفكر الرافدي القديم

د. نجاح بلقاسم زايد
كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدِّمة:

عادة ما تنحصر العلاقات بين الآلهة والبشر، في الفكر العراقي القديم، في ثنائيات (الطاعة/ الثواب)، (الخطيئة/ العقاب) وهو ما يعني الفعل ورد الفعل في سياق تلك العلاقات، فالآلهة تكافئ من يطيع أوامرها، وتعاقب من يخالفها، من هنا كان على الرافدي القديم أنْ يحافظ على علاقته بالآلهة، بإتباع أوامرها، واجتناب ما يثير عقابها.

يطرح هذا الموضوع في هذه الورقة البحثية لأهميته، ولأنَّه من المرتكزات الأساسية للفكر الديني في العراق القديم، وإذا كان الرافدي القديم يفسِّر كل ما يصيبه من أمراض وابتلاءات بإرجاعها إلى غضب الآلهة. فما هو المعنى الفلسفي للخطيئة والعقاب؟ وهل ينحصر مفهوم الخطيئة في انتهاك النواميس الإلهية، فيكون العقاب بالتالي محدداً بتحديد نـــوع الإثم أو الخطيئة؟ وفي المقابل هل يتخطَّى العقاب الإلهي مبدأ العدالة؛ ليصبح مجرَّد إجراء عنيف وظالم؟ أو بعبارة أدق هل هناك توافق بين الخطيئة والعقاب؟

أولاً: مفهوم الخطيئة وأنواعها:

اعتقد العراقيون القدامى أنَّ استمرار الكون والعيش بسلام وهدوء، يشترط رضا الآلهة، وإذا ما غضبت هذه الأخيرة فالانتقام سيحل لا محالة[1]حيث كانت العلاقة السائدة بين الآلهة والبشر عن طريق القرابين، وبناء المعابد للآلهة، وتطورت فيما بعد، فاندفع الإنسان للمحافظة على نقاء قلبه مرضاة للآلهة، ولأنَّ الأخيرة تريد ذلك حتى تكافئ من اتبع فرائضها، وتعاقب من خالفها، فأصبح الإله قاضياً وراعياً لهم، يقوم على إقامة العدل الإلهي بينهم، بينما استقر في قلوب البشر الرهبة والخوف من انتقام الآلهة،

وتتجسَّد هذه العلاقة في كثير من النصوص، نذكر منها على سبيل المثال النص التالي:

"اعبد إلهك كل يوم
وقدِّم له القرابين والصلوات
التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور
قدِّم قربانك طائعاً لإلهك
لأنَّ ذلك يتناسب مع الآلهة
قدِّم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم
وسوف تتاب على ما تفعل
عندئذ سيكون بينك وبين الآلهة اتصال كامل.
إنَّ التبجيل يولد الخطوة
والقربان يطيل العمر
والصلاة تكفِّر الذنب"[2].

تعرف الخطيئة بأنَّها اختراق، أو خرق أو انتهاك للقانون الإلهي أو المقدَّس، وما يهمنا في الخطيئة هو إرادة الخاطئ، وقصده وسبب الخطيئة، فالآكديون والبابليون كانوا يرون أنَّ ما يهم في الخطيئة "ليست إرادة فعل الشر، ولا فعل الشرير، ولكن النتائج الشريرة أو الأليمة لذلك العمل الشرير، ومن هنا اعتبرت الخطيئة نوعاً من أنواع الفساد والأذى، وأنَّها تعيش في العمل الشرير الذي سببها، لهذا لم يكن سهلاً فصلها عن أسباب الشر[3].

تسمى الخطيئة بالسومرية (نك.كك Nig.gig) وبالأكدية (اكبو Ikki-bu) أي كبوة، وكذلك (أنزالو Anzallu) أي النازلة كما يستعمل المصطلح السومري كلمة (SE.BA.DA) والتي ترادفها بالأكدية (خطو K.hitu) و(خطيتو Khit-tu) وهي الخطيئة[4].

وبحسب المعتقدات الرافدية القديمة، فالخطيئة قديمة وجدت مع وجود الإنسان، وأنَّه معرَّض دائماً لارتكابها كما ورد في أحد النصوص السومرية.

"لقد قال الحكماء كلمة صادقة ومعبِّرة:
لم يولد لأم ولد بلا خطيئة
ومن القدم لم يكن فتى بلا خطيئة"[5].

يفهم من هذا النص أنَّ الإنسان ولد وولدت معه الخطيئة، فهي ملازمة له منذ أنْ خلقته الآلهة، سواء كانت هذه الخطيئة متمثلة في عصيان أوامر الآلهة أو مخالفة التعاليم الطقسية، وعلى الرغم من أنَّ معصية الوصايا والتعاليم تعد من أكبر الخطايا[6] إلا أنَّ انتهاك المحرم (التابو)

بقصد كان أم بغير قصد هو أيضاً من الخطايا الكبيرة. و(التابو) في حضارة بلاد الرافدين هو منع غير مبيَّنة دوافعه، وهو لا صلة له بالجانب الأخلاقي مهما كان دافعه إلزامياً، ومن خصائص التابو أنَّه ديني في جوهره، ويقدَّم للناس ككابح وضابط، لأنَّ النصوص الدينية جميعها هي صلوات وتضرُّعات تعبِّر عن الحاجة البدائية لتجنُّب الخطيئة، وهنا تدخل فكرة المحرَّم أو الممنوع، حيث يأتي التحريم كأمر صارم سلبي، يتضمَّن دائماً منعاً لتعليمات أو أوامر، وأنَّ هذا المنع يفترض مفهوماً مسبقاً، أو اعتقاداً مسبقاً بما هو مقدَّس، أو بخس ينزل بمن ينتهكه الموت أو المرض أو غير ذلك، وتظهر قوة التحريم في المقام الأول من خلال وجوب تجنُّب انتهاكها، إنَّه الشعور بالمنع الذي يُعرِّفه التحريم[7].

وتحفل النصوص السورية والبابلية بالكثير من التوصيات بعدم انتهاك التابو أو المحرَّمات، ولعل انتهاك المحرَّمات خلال (يوم السبت البابلي) هي التي أوجبت تدوين الأوامر التي يجب احترامها خلاله في هذا النص.

"لا يأكل اللحم المطبوخ على الفحم والمدخن
لا يغيِّر ثوبه ويلبس ثياباً نظيفة
لا يشرب خمراً ولا يركب الملك في عربته
لا يتكلم بزهو وخيلاء
ولا يضع الطبيب يده على المريض
لا يلعن ...
في الليل يقدِّم الملك قرابينه إلى الآلهة العظام"[8].

يمتاز التابو بصرامته وسلبيته، وبأنَّه لا يتضمَّن تعليمات وأوامر، بل منعاً صارماً وعقاباً مباشراً، أي أنَّه يتكوَّن من ثلاثة عناصر: هي معرفة الطابع المقدَّس أو النجس للشخص أو الشيء، والمنع الذي يترتَّب على ذلك، ثم العقاب الذي يكون صارماً ومباشراً[9].

يقودنا هذا للحديث عن أنواع الخطايا، إذ يمكن تصنيف الخطيئة إلى أنواع عدَّة على النحو التالي:

1- الخطيئة المنسوبة إلى البشر قسراً. حيث تكون الآلهة -حسب تصور سكان بلاد الرافدين- كالبشر، تحمل صفات البشر الروحية والمادية، ومن

هذه الصفات الغضب لأسباب مختلفة[10] ولهذا فغضبها ينعكس على البشر بشكل خطايا وذنوب، وبهذا المعنى يعد الإنسان غير مسئول عن الخطايا والذنوب التي يرتكبها، لأنَّ ما ارتكبه كان بفعل الإرادة الإلهية، وأنَّ مسئوليتها تقع على عاتق الآلهة، وعليه فأنَّ الآلهة التي سبَّبت مثل هذه الخطايا، سوف تحاسب أمام مجلس الآلهة[11].

2- الخطيئة المنسوبة إلى الإنسان نفسه، ويأتي ذلك من طبيعة السلوك الإنساني، وتوجهاته بين ما يريد فعله، وما يجب أنْ يمتنع عنه، ويتضح هذا النوع من الخطايا في نصائح من حكيم إلى تلميذه ضمن نص بابلي يقول:

"لا تنتهر قليل العقل، بل اشفق عليه
لا تزدرِ الذين هم عرضة لتجربة
لا تتوجَّه إليهم بغطرسة
لأنَّه من أجل ذلك يهجرك إلهك الشخصي الذي يحميك.
وهذا أيضاً مكروه لدى شمش ويعاقب عليه"[12].

3- الخطيئة المنسوبة لطبيعة الخلق الإنساني، فالاعتقاد الذي كان سائداً لدى سكان بلاد الرافدين، أنَّ الإنسان خلق عن دم الإله الخاطئ:

"كينغو* وحده
هو الذي حرض على القتال
ودفع تيامت إلى الثورة
ونظم المعركة
عند ذلك عمد على تقييده
وأتى به أمام أيا
ومن ثم ولكي يتلقى عقابه
تمت إسالة دمه
وبدمه أنتج أيا البشر"[13].

4- الخطيئة الجماعية والمنسوبة للفعل الجماعي، كالشرك وانتهاك المقدَّسات الإلهية، وقد حفل أدب المراثي السومري والبابلي بالكثير من شواهد تدمير المدن مثل: أورو وأكاد وغيرهما، فعندما ترتكب الخطيئة من قبل مدينة بأكملها، فالآلهة ستتخلَّى عن المدينة، وتسلَّط عليها الكوارث والويلات[14].

تعد الخطايا الجماعية من أكثر الأسباب التي تثير غضب الآلهة، فالآلهة تمقت:

"الناس الذين وهم يمشون في الإثم تتطاول أيديهم
والذين يخالفون مبادئ السلوك الثابتة وينتهكون حرمة العقود
والذين كانوا ينظرون بعين الرضا إلى أماكن الشر
والذين كانوا يستبدلون معياراً صغيراً بمعيار كبير
والذين بعد أنْ يأكلوا ما ليس لهم لا يقولون إنَّنا أكلنا
والذين من بعد أنْ يشربوا من ماء غيرهم لا يقولون إنَّنا شربناه، والذين يقولون سنأكل ما هو محرَّم.
والذين كانوا يقولون سنشرب ما هو محرَّم"[15].

5- الخطيئة الموروثة: هي التي يرثها الأبناء من الآباء، فتتحمَّل عائلة الميت وزر وخطايا الميت، وهو ما ورد نصه في إحدى التعاويذ التي تقول:

"عقوبة أبي وجدي، عقوبة أمي وجدي، وكل عائلتي من إخوة وأخوات، عسى أنْ لا تأتي عليّ، ولتذهب إلى مكان آخر"[16].

من كل ما سبق يمكن القول إنَّ الخطيئة بكل أنواعها التي تحيط بالإنسان، تستند على فكرة التوازن الإلهي للطبيعة، وسيادة نواميس الآلهة عليها، ومع أنَّ صور الخطايا تبدو وكأنَّ لا نهاية لها، إذ تبدأ من أصغر الأشياء حتى أكبر الخطايا وأوضحها، إلا أنَّ الصلاة والتضرُّع إلى الإله، كفيلة بالوقوف في وجه حصول الخطيئة، وقد يضطر الإنسان إلى التضرُّع والاعتراف بارتكاب الذنوب دون قصد، فيرجو من الإله المغفرة ووقف تنفيذ العقاب، وفي النص التالي يتضرَّع الإنسان للآلهة، و يعترف بذنوبه راجياً المغفرة والرحمة.

"أيتها الآلهة، انتهاكي لأوامرك كثير
وخطاياي فظيعة
أيتها الآلهة، انتهاكي لأوامرك كثير
وخطاياي فظيعة
أيها الإله المعلوم والمجهول، ذنوبي كثيرة
وخطاياي فظيعة
الآثام التي ارتكبتها لا أعرفها
الخطايا التي ارتكبتها لا أعرفها
الشيء غير الظاهر الذي أكلته لا أعرفه
الشيء النجس الذي لمسته لا أعرفه"[17].

الخطيئة موجودة لا محالة في الجسد ومحيطة به، وعلى الإنسان لكي لا يقع فيها

أنْ يتجنَّب الوقوع بما يخرق نواميس الإله بالعمل أو بالصلاة. وسواء كان هذا الإنسان شخصاً عادياً، أو شخصية مهمة، فهو محاط بالخطيئة مرتكب لها، وعليه التضرُّع والصلاة لكسب رضا الآلهة وغفرانها في إحدى صلواته يخاطب الملك (آشوربانيبال)** الإله أدد متضـــــرِّعاً ومتوسِّلاً.

"أيها الإله أدد..أرفع إليك طلبي، وألهج بمدحك، لأنَّ البشر الذي يرافق خسوف القمر، وعداء قوى السماء والأرض وطلائع النحس موجودة في قصري، وفي بلدي، ولأنَّ الفتن الشديدة والمرض والنجس، وخرق قوانينك والظلم والخطيئة موجودة في جسدي، ولأنَّ شبحاً شريراً يلتصق بي"[18].

كانت الخطيئة في حضارة وادي الرافدين هي دينية بعامة، وأنَّ أكثر الخطايا التي يرتكبها الإنسان بقصد أو دون قصد، تقف وراءها القوى الشريرة (الشياطين) التي توسوس للإنسان ارتكابها[19].

ولكن لماذا تجر الخطيئة غضب الآلهة وعقابها دائماً؟ لماذا هذه الصفة (الغضب) بالذات تلتصق بالآلهة، وترتبط دائماً بالخطيئة والعقاب؟

لكي نجد الإجابة على هذه السؤال، لابد من البحث عن مفهـــوم العقـــاب الإلهـــي ومبرراته.

ثانياً: مفهوم العقاب الإلهي ومبرراته:

اعتقد الإنسان الرافدي القديم أنَّ كل ما يلحق به من سوء، أو ضيق، أو بلاء، إنَّما بسبب غضب إلهـــي، وهـــو مـــا دفعـــه لاسترضاء الآلهة بالصلاة والتضرُّع وتقديم القرابين، وعندما يستمر الغضـــب الإلهـــي دون أنْ يفلح الإنسان فـــي تهدئتـــه، فأنَّـــه سيلقي باللوم على نفسه لجهله، أو فشله في كسب رضا الآلهة، وعدم كفاية القـــرابين والهبات التي قدَّمها[20].

ويُعرّف العقاب بأنَّه القصاص الذي تأمر به الآلهة عن كل عمل مخالف لإرادتها السامية، ويمكن أنْ نقرنه بالعقاب الذي تنزله السلطة الأرضية عن كل عمل مخالف للقانون[21].

إنَّ أشكال انتهاك المقدسات الإلهية، سواء كانت (الخطيئة أو التابو، وممارسة السحر الأسود المحرَّم، تنتج الشر الذي يستفز الناموس الإلهي، والذي يواجه بشرٍ

مقابل من الآلهة ضد البشر، وإذا كان الإنسان يُخل بالنظام الإلهي من خلال الخطيئة التي تنتج شراً، فرد فعل الآلهة سيكون مماثلاً، إذ تقوم الآلهة بالإخلال بالنظام الإنساني من خلال شر "وفي هذا موازنة وتطبيق لسنة بابلية معروفة (العين بالعين) إذ يتلقَّى الخاطئ شراً معاكساً تأمر به الآلهة، وتنفذه الشياطين التي تحت إمرتها، ولا شك أنَّ تنافساً بين حجم الشر ونوعه وبين حجم الأذى المقابل للخاطئ ونوعه، ولذلك اختلفت أنواع العقوبات وأنواع الأمراض بشكل خاص"[22].

إنَّ كل خرق للقانون، أو للأعراف السومرية النافذة هو بحد ذاته جريمة بحق الآلهة، وبما أنَّ الحكَّام يتشدَّدون بعقابهم، كل من يتحدَّى سلطانهم وأوامرهم الآلهة، وتتمثَّل بعض تلك العقوبات بالعاهات والأمراض، والتي تعد من فعل الأبالسة، أو الشياطين، بل هي أوامر إلهية بحتة[23] لهذا كان سبب الإصابة بالمرض في اعتقاد السومريين هو الخطيئة أو ارتكاب الإثم والمعصية، سواء بقصد أو من غير قصد.

والجدير بالذكر أنَّ هناك فرق كبير بين الخطيئة القصدية وعقابها، والخطيئة غير المقصودة وعقابها[24].

ومن الصعب التمييز بين الخطيئة المقصودة المدركة، والخطيئة العارضة غير المقصودة، وأنَّ الخط الفاصل بين هاتين الخطيئتين ليس واضحاً في كثير من الحالات، ولذلك فالنتيجة التي تترتَّب على هاتين الخطيئتين ليست واضحة هي أيضاً، ولكن يمكن القول "إنَّ الخطيئة التي يقترفها الإنسان عن وعي، وضد آلهته أشد عقاباً من الخطيئة التي يرتكبها الإنسان من غير قصد، وهذه الاعتبارات تفسِّر أنَّ انتهاك المقدس عن إدراك وإرادة لا يمكن غفرانه، ويؤدي إلى إقصاء الخاطئ نفسه، أمَّا الانتهاك غير الواعي، أو عن سهو، ولما هو مقدَّس فهو قابل للغفران، ومثل هذا الأمر ينطبق على الآلهة أيضاً" [25].

أ-عقوبات الخطيئة القصدية:

في مجال الخطيئة القصدية، نجد شواهد كثيرة في الأدب العراقي القديم، وتعد أسطورة نزول (انانا/عشتار) إلى العالم الأسفل*** خير الشواهد على هذا النوع من الخطيئة والعقاب، حيث تقرر انانا/عشتار

النزول إلى العالم الأسفل في نزوة من الاعتداد والغرور، بالرغم من علمها بقوانين ذلك العالم، والنتائج المترتبة على الرحلة مسبقاً، ومن الواضح أنَّ تحديدها لثلاثة من الآلهة ليقصدهم وزيرها في حال أنْ طال غيابها، هو دليل على أنَّها كانت تعلم أنَّ ما فعلته كان أمراً محرَّماً وغير مشروع، لذلك كان السجن في العالم الأسفل، والصراع لأجل الخروج ثانية، هو العقاب لخطيئتها المقصودة[26].

وإذا ما انتقلنا من عقوبات خطايا الآلهة القصدية، إلى عقوبات خطايا البشر المقصودة، نقرأ في اللوح الثاني عشر من (ملحمة جلجامش)**** تفاصيل سقوط أداتي (البكو) و (المكو) أي الطبل ومدق الطبل الخاصة بجلجامش إلى العالم الأسفل ونزول (انكيدو) صديقه لجلبهما، حيث يقدِّم جلجامش جملة من التوصيات لصديقه؛ كي يستطيع العودة سالماً من ذلك العالم، ويحذِّره من خطورة مخالفة تلك التوصيات[27].

لم يلتزم (انكيدو) بتوصيات صديقه، فقررت آلهة العالم الأسفل أنْ لا يخرج من هذا العالم، لأنَّ من سنن العالم الأسفل أنَّ من يدخله لا يرجح منه، وبهذا يكون انكيدو قد انتهك بقصد المحرَّمات، فجاء عقابه فوراً[28].

يفهم مما سبق أنَّ الخطيئة حينما ترتكب عن وعي وقصد، لا يكفر عنها بالتضحية أو الاستغفار، بل أنَّها تستوجب إنزال أقسى العقوبات بالمذنب، والتي قد تصل إلى حد الحكم بموته.

ب-عقوبات الخطيئة غير المقصودة:

إنَّ النتائج المترتبة على الخطيئة غير المقصودة، تختلف تماماً عن سابقتها، فإذا كانت الخطيئة المقصودة لا تغتفر وتستوجب الموت، فالخطيئة غير المقصودة على الضد من هذا تماماً، فهي خطيئة قابلة للغفران، ولا تتجاوز عقوبتها المرض أو الحزن أو الفقر، وفيما يتعلَّق بالمرض، تجدر الإشارة إلى أنَّ النصوص الطبية كانت تنظر إلى الأمراض باعتبارها عقاباً إلهياً نتيجة الذنوب التي ارتكبها المريض، لذلك فليس هناك دواء لا يتضمَّن استخدام الصلاة والطقوس الدينية[29].

من الأمثلة على هذا النوع من العقاب، ما حصل لجلجامش عندما ارتكب خطيئة غير مقصودة، بأنْ جاء في ملحمة

جلجامش، أنَّه في أحد الاحتفالات، كان جلجامش ومن شاركه مجتمعين لإجراء طقوس سحرية، يتممها جلجامش بـــ(البكو) و (المكو) وطقوس هذه الشعائر تقتضي أنْ لا تحدث أي ضوضاء، وأنْ يلتزم الجميع بالصمت المطلق، ولم يفتح أحد فمه باستثناء العذراء الصغيرة التي أطلقت صرخة بغير قصد، فتسببت بسقوط الآلتين في العالم الأسفل[30].

لم يرتكب جلجامش غلطة مقصودة أثناء الاحتفال الطقسي، بل أنَّ إحدى مساعداته هي من اقترفت الخطيئة، فلو أنَّ جلجامش هو من ارتكب الخطيئة عن قصد، لكان عقابه الموت، كما مات صديقه انكيدو والذي خالف عن قصد إرادة المحظورات الجهنمية[31].

من كل ما سبق يمكننا الإجابة على السؤال الذي طرحناه في بداية الحديث عن العقاب الإلهي، والمتعلق بتبرير العراقي القديم لكل ما يلحق به من مصائب وعقوبات بإرجاعها إلى الغضب الإلهي، إذ يمكن القول بأنَّ صفة الغضب من بين الصفات المهمة التي ألصقتها العقلية العراقية القديمة لآلهتها، وذلك للتماس المباشر بين هذه الصفة و الإنسان، فغضب الآلهة هو محاولة ابتدعها الذهن الإنساني ليفسِّر ما يصيبه من كوارث طبيعية وبشرية، جماعية أو فردية[32]، أضف إلى ذلك ما تتصف به البيئة الطبيعية لبلاد الرافدين من عنف وشدَّة، تبعاً لتبدل المواسم والتفاوت الشديد في درجات الحرارة صيفاً وشتاءً، ونهاراً وليلاً، فضلاً عن الزوابع الرعدية والرياح الرملية، والفيضانات السنوية لنهري دجلة والفرات، وما عُرف به هذا الفيضان من عنف، وعدم الملاءمة لمواسم الزراعة[33]، ويضاف إلى ذلك العامل البشري المتمثِّل بالهجرات الكثيرة، والغزوات العنيفة التي تعرَّضت لها البلاد على مر أدوارها التاريخية[34].

هذه الكوارث الطبيعية والبشرية، أثقلت حياة الفرد في بلاد الرافدين بشحنات من القلق والخوف والذعر، وتوقُّع المفاجآت؛ لتنعكس تلك التطلُّعات القلقة بشكل واضح في العديد من النصوص المسمارية القديمة، التي يتكرَّر في مضمونها العقوبات واللعنات التي تعرَّضت لها البشرية، بل

وتعرَّضت لها الآلهة نفسها من قبل آلهة أخرى وللأسباب نفسها.

والسؤال المطروح هنا عن مدى التوافق بين الخطيئة أي كان نوعها– وبين العقاب الإلهي– حتى وإنْ كان مبرَّراً، وهو ما سنحاول الإجابة عنه في حديثنا التالي.

ثالثاً: العقاب الإلهي وتخطِّي مبدأ العدالة:

على الرغم من أنَّ النذور والقرابين، والالتزام بالتعاليم والطقوس الدينية كانت واجبة على كل فرد، إلا أنَّها لم تكن كافية لنيل عطف وبركات الآلهة، ولذلك فالمعادلة القائلة بأنَّ (طاعة الآلهة = حياة سعيدة) لم تكن القاعدة، كما لم تكن شائعة عملياً، ففي حالات كثيرة تمت معاقبة أتقياء على نحو غير مفهوم[35]، والسؤال المطروح هنا: هل يتخطَّى العقاب الإلهي مبدأ العدل الاجتماعي؛ ليصبح إجراءً عنيفاً وظالماً؟ أم أنَّ هناك توافقاً – إلى حد ما – بين الخطيئة والعقاب الإلهي؟ وهل يمكن القول بوجود توافق بين الخطيئة والعقاب؟

نجد إجابة هذا السؤال في كثير من النصوص التي تشكِّك في القيم الاجتماعية، والمعتقدات الدينية، والتي دفعت أصحابها إلى التساؤل عن مدى عدالة الآلهة وهي تنزل بالبشر أقسى أنواع العقوبات، والتي قد يصل بعضها إلى حد التدبير الشامل للمدن ومن عدَّة نصوص، سنقف عند نصين فقط لأهميتهما، ولأنَّهما أسبق النصوص في الحديث بشكل واضح عن موضوع العدل الإلهي.

أ- النص الأول (نص العادل المعذب)[*****]:

كان الشخص العادل شخصاً مستقيماً مسالماً متديناً، يصف نفسه بقوله:

"كان الطلب حكمة لي، والقربان شريعتي
اليوم الذي فيه يكرمون الإله كان بهجتي.
ويوم التطواف بالآلهة كان لي ربحاً وفائدة"[36].

هذه الصفات الحسنة والأخلاق الدمثة، لم تمنع عنه المصائب والعقوبات ومع "إنَّ العادل المعذب كان غنياً وحكيماً وعادلاً، وكان ينعم ببركة صفاء العيش مع الأصدقاء وذوي القربى، إلاّ أنَّه أصيب في أحد الأيام، وبلا سبب واضح بالسقم والعذاب وخيانة الأصدقاء، وكره الناس له"[37].

تكاثرت المصائب والعقوبات على العادل المعذب، فمنها ما نال من صحته:

"وهبت عليّ ريح رديئة
لقد انتشرت حمى –ايغو–من سطح العالم السفلي
وخرج السعال الرديء من ابسو فجاءة
ومع النصر الفائض جاءت الرجفة الباردة
... ...
ضربت رأسي وآلمت جمجمتي
فأظلم وجهي وزاغت عيناي
واجتازت هذه الآلام على رقبتي وشلت عنقي
أصابت صدري، وضربت أحشائي"[38].

ومنها من أتى على مركزه الوظيفي، ومكانته الاجتماعية

"أنا المتبختر مثل سيد تعلمت أنْ أسير في الظلام
وبعد أنْ كنت متبختراً أصبحت عبداً
وعوض أسرتي الواسعة أصبحت وحيداً
حينما أمشي في الشارع تشير الأصابع إليّ
وإذا دخلت البلاد تغامزوا عليّ
مدينتي تنظر إليّ بقساوة مثل عدو
لقد انقلب أخي إلى غريب
ورفيقي إلى شرير وشيطان
وزميلي يصقل أسلحته ضدي
علناً في المحكمة لعنني عبدي" [39].

لم يستطع المعذب العادل أنْ يستوعب هذا العقاب الإلهي الجائر وغير المبرَّر، فتنطلق شكوكه حول عدل هذا الإله الذي عاقبه وتخلَّى عنه دونما سبب:

"علاماتي أفزعت المعزم
وفؤولي الرديئة اقلقت العرف
إنَّ المتعوذ لم يحل طبيعة دائي
ولا العراف حدَّد نهاية لألمي
لم يأتِ الإله إلى عوني، ولم يأخذ بيدي
آلهتي لم تشفق عليّ، ولم تسر بقربي" [40].

سيطر اليأس والبؤس على المعذب، فاختتم النص بحيرةٍ وشك في أمر الآلهة الجائرة.

من هنا ثار سؤال وجيه: كيف يمكن أنْ يحدث هذا، والآلهة الحكيمة تسيّر العالم؟ وكيف يمكن أنْ يسود الشر على الخير في حياة بعض الأتقياء، وكان جواب الكهنة أنَّ الآلهة نفسها لم تخلُ من صفات شريرة عندما تَبِعت طريق العنف والبطش خلال المراحل الأولى من خلق الكون، وفي مناسبات أخرى فيما بعد، ورغم أنَّهم لم ينسبوا إلى تلك الآلهة القداسة المطلقة، إلا

أنَّ هذا لم يمنعهم من اعتبارها حرساً للعدل والعدالة[41]، وهي النتيجة التي يقضي إليها النقاش بين المتحاورين في النص التالي.

ب- النص الثاني (النص الحواري)[******]

يدور النص الحواري بين شخصين الأول ورع متعبِّد، تدفعه المصائب والعقوبات إلى التشكيك والسخرية من صنيع الآلهة، وبين شخص مؤمن يحاول أنْ يعود بصديقه إلى طريق الإيمان، ويبدِّد شكوكه بأدلة عن العدل الإلهي.

يقول الورع المتعبِّد:

"لم يمنحني الإله غير العوز عوضاً عن الغنى
فالأكسح يفوقني والمجنون يسير أمامي
النذل يبلغ القمة، وأنا ينتقص من قدري"[42].

ولأنَّ الآلهة لم تمنح هذا الورع المتعبِّد ما كان يطمح إليه، فـــأنَّه يندفع إلى التشكيك في عدالتها، بل وفي جدوى الآلهة نفسها، فيما يخاطب صديقه مضيفاً على كلامه السابق قوله: "إلا أنَّ كلمة واحدة فقط أريد إضافتها أمامك أنَّه لطريق سعادة هو الذي يتبعه من لا يبحثون عن الإله، بينما يتحوَّل إلى الفقر المتدينون المتحمسون للآلهة، ويفقدون ممتلكاتهم"[43].

يرد الشخص المؤمن على صديقه، محاولاً بث الطمأنينة والارتياح في نفسه، وإقناعه بأنَّ ما حلّ به، لا يمكن إدراك كنهه أو الحكمة منه، لأنَّ ذلك لا يظهر إلا بعد أمد بعيد، وعلمه متروك للآلهة فقط:

"مقاصد الإله هي بعيدة عنا
كما هي بعيدة أعماق السموات
لا يسعنا أنْ نسمع ما يخرج من فم الآلهة
ويبقى البشر عاجزين عن فهمها تماماً
أفكار الآلهة تبقى متعذرة عن البشر
ومن المحال على البشر التعريف بطرق الآلهة[44].

لم تفلح تلك النصائح في إقناع المتعبد، بل زادته إصراراً على ترك الإيمان بالآلهة، وازدراء شعائرها:

"أريد هجر بيتي
أنا لا أريد احتياج أي شيء بعد
أريد نسيان مراسم الآلهة وأدوس طقوسها بقدمي"[45].

يستمر النص الحواري، لينتهي إلى نظرية العقاب المقدَّس على الممارسات البشرية، والذي يجب أنْ يُقبل كما هو، إذ

تظل مقاصده بعيدة عن الإدراك البشري، ويكون الاتفاق أخيراً بين المتحاورين على الاقتناع بأنَّ البشر غير عادلين، وأنَّهم كذلك لأنَّ الآلهة خلقتهم كذلك.

إنَّ نظرية العقاب المقدس، وفكرة المقاصد الإلهية الخفية هي التي جعلت من الورع المتعبد، يتراجع عن قراره، ويعود ليلتمس عون وشفقة الآلهة[46]:

"أنت شفوق يا صديقي: فاعتبر إذن قلقي
تعال لمساعدتي، أنظر إلى ألمي وأعلم
بأنَّني كنت ساهراً ومحترماً وراجياً
ولم أجد قط، ولو للحظة واحدة العون أو المساعدة
مشيت دون ضجيج في ساحات مدينتي
وصوتي كان دون دوي وكلمتي منخفضة
لم أكن متبجِّحاً وكنت مثل عبد بين جميع زملائي.
ألا فليمنحني الآلهة الذين أهملوني من جديد عونهم
والآلهة التي هجرتني لتعد من جديد
إلى معاملتي بشفقة"[47].

ورغم أنَّ الإجابة النهائية للكهنة والمؤمنين كانت التمسك بالتقوى باعتبارها طريق الصحة والسعادة، وأنَّ الخير سينتصر في النهاية على الشر، وأنَّ على المتعبد المبتلى في حياته أنْ يصبر ولا ييأس من رحمة الآلهة وعطفها، يبقى الشك والحيرة واليأس حاضراً في كثيراً من النصوص الرافدية القديمة.

وهنا تجدر الإشارة إلى الظروف التي أحاطت بكتابة تلك النصوص، والتي ألقت بظلالها على صاحب النص، ودفعته إلى التشكيك بعدالة الآلهة، فالنص الأول كتب في عهد الدولة الكشية (1595- 1162) ق.م وهي فترة التسلط الأجنبي على بلاد الرافدين[48]، بينما كتب النص الثاني في فترة حكم الملك نبوخذ نصر الأول (1124- 1103ق.م) وهي الفترة التي شهدت التهديدات العيلامية من جهة، والآشورية من جهة أخرى[49]، وما رافق ذلك من اضطرابات اقتصادية وسياسية واجتماعية.

الخاتمة:

من كل ما سبق يمكن التأكيد على النقاط التالية:

1- تقوم فلسفة الخطيئة والعقاب في الفكر الرافدي القديم على مبدأ العين بالعين،

إذ يتلقَّى الخاطئ شراً معاكساً تأمر به الآلهة مقابل خطيئته.

2- إنَّ المعنى الفلسفي الذي يقوم وراء اعتقاد الرافدي القديم بأنَّ الخطيئة قديمة قدم الإنسان، هو استحالة تجنُّب الخطايا، نظراً لكثرة المحرَّمات والممنوعات الدينية والأخلاقية.

3- تتصف الآلهة – بحسب الفكر الرافدي القديم- بكثير من صفات البشر، لذلك كان الغضب والعنف والشر صفة من الصفات الملازمة لها.

4- تأثير الظروف الطبيعية القاسية، والاضطرابات السياسية على الإنسان الرافدي القديم، كل ذلك دفعه إلى التشاؤم واليأس من تحقيق العدالة الإلهية.

هوامش البحث ومراجعه:

(1) قاسم الشواف: ديوان الأساطير: الآلهة والبشر، تقديم ادونيس، (بيروت: دار الساقي،1997)، ص308.

(2) جفري بارندري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: أمام عبد الفتاح، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد (173)، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1993)، ص23.

(3) جورج بوييه شمار: المسئولية الجزائية في الآداب الأشورية والبابلية، ترجمة: سليم الصويصي، (بغداد: دار الرشيد للنشر، 19992)، ص45.

(4) خزعلي الماجدي: بخور الآلهة، ط1 (عمان: الأصلية للنشر والتوزيع، 198)، ص344.

(5) صموئيل نوح كريمر: الديانة السومرية اللاهوت والطقس والأسطورة موسوعة تاريخ الأديان، ترجمة نهاد خياطة، تحرير: فراس السواح (دمشق: دار علاء الدين، 2004)، ص202.

(6) جورج بوييه شمار: المسئولية الجزائية، مرجع سبق ذكره، ص124، 155.

(7) حكمت بشير الأسود: فعل المحرم الذي يؤدي إلى اللعنة في حضارة بلاد الرافدين، مقال منشور على موقع الأثاري العراقي:www.irqinhistory.com

(8) جورج بوييهشمار:المسئولية الجزائية، مرجع سبق ذكره، ص134.

(9) خزعل الماجدي: بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص346.

(10) ادوارد كيرا: كتبوا على الطين، ترجمة: محمود حسين الأمين، مراجعة علي خليل (بغداد: مكتبة الجوادين، 1962) ص158.

(11) المرجع نفسه، ص151.

(12) قاسم الشواف: ديوان الأساطير، مرجع سبق ذكره، ص357.

*كينغو هو ابن الآلهة تيامت، سلمت له القيادة في حربها مع من قتل زوجها من الآلهة الصغار، وعندما خسر المعركة، وقع عليه الاختيار للتضحية به من أجل خلق البشر، وهو ما ورد في أسطورة الخلق، التي جاءت بعدَّة نسخ منها البابلية، التي تعرف أسطورة التكوين البابلية (الانيومااليليش)، ويعود تاريخ كتابتها إلى مطلع القرن الثاني قبل الميلاد، أنظر: فارس السواح: مغامرة العقل الأولى، ط2، دمشق: دار علاء الدين، 2002).

(13) المرجع نفسه، ص357.

(14) طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1976) ص150.

(15) سامي سعيد الأحمد: الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان (بغداد، مطبعة الجامعة) 1970، ص15.

(16) نائل حنون: عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين، ط2، (بغداد: دار الشئون الثقافية، 1986)، ص145.

(17) جورج بوييه شمار: المسئولية الجزائية، مرجع سبق ذكره، ص50.

**الملك آشوربانيبال (686 –628ق.م)، هو ملك آشوري، لقب بملك العالم كان آخر ملوك الإمبراطورية الآشورية الحديثة، اشتهر بكونه راعياً سخياً للآداب والفنون، وأنشأ مكتبة عظيمة احتفظت لنا بالكثير من أدب وفكر وادي الرافدين، ولعل أهم ما احتوته هذه المكتبة الدرَّة الرائعة: ملحمة جلجامش، ينظر: جبرا إبراهيم جبرا: الفن والحلم والفعل (بيروت:

الموسوعة العربية للدراسات والنشر، 1988).

(18) جورج بوييه شمار: المسئولية الجزائية، مرجع سبق ذكره، ص155.

(19) المرجع نفسه، ص84.

(20) يوسف الحوراني: البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسط الأسيوي القديم (بيروت: دار النهار، 1978)، ص341.

(21) جان بوتيرو: بلاد الرافدين (الكتابة، العقل، الآلهة) ترجمة الأب ألبير أبونا، مراجعة: وليد خياط، ط1 (بغداد: دار الشئون الثقافية العامة، 1990، ص279)

(22) خزعل الماجدي: بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص350.

(23) عضيد جواد الخميس: الطب والرعاية الصحية في بلاد الرافدين قديماً من موقع الحوار المتمدن، العدد5700- 2017/11/16 www.alhewar.org

(24) ولاء مهدي محمد: الجوانب الفلسفية في فكر وادي الرافدين، وأثره في العهد القديم، رسالة ماجستير (جامعة بغداد: كلية الآداب، 1999)، ص118.

(25) جورج بوييه شمار: المسئولية الجزائية، مرجع سبق ذكره، ط15.

***لهذه الأسطورة نسختان: الأولى، وهي المدونة باللغة السومرية ويعود زمن كتابتها إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، أما النسخة الثانية فمدونة باللغة الآشورية، وتعود إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، وداد جاسم الحوراني الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم، (بغداد، ب.د، 1988)، ص135.

(26) د.فاضل سوداني: هبوط سيدة الأنوثة إلى العالم السفلي مقال منشور على الموقع الإلكتروني: www.mesopot.com

**** تعد الملحمة من أقدم الأعمال الأدبية في العالم، كتبت الملحمة على ألواح الطين بالخط المسماري، ويوجد أكثر من نسخة منها، أقدمها

يعود إلى الحقبة السومرية، ولكن أكثرها اكتمالاً يعود للحقبة البابلية، كتبت هذه الملحمة منذ حوالي 2500/2800 ق.م وتتحدث الملحمة عن ملك مدينة أوروك السومرية جلجامش الباحث عن الخلود.

(27) سامي سعيد الأحمد: كلكامش، ط1 (بغداد: دار الشئون الثقافية، 1990)، ص91.

(28) جورج بوييه شمار: المسئولية الجزائية، مرجع سبق ذكره، ص161.

(29) المرجع نفسه، ص153- 154.

(30) صموئيل نوح كريمر: الأساطير السومرية، ترجمة: يوسف داود عبد القادر (بغداد: مطبعة المعارف، 1971) ص59.

(31) جورج بوييه شمار: المسئولية الجزائية، مرجع سبق ذكره، ص177، 178.

(32) ولاء مهدي: الجوانب الفلسفية في فكر وادي الرافدين، مرجع سبق ذكره، ص21.

(33) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ط1 (لندن: دار الورّاق للنشر، 2009)، ص47-48.

(34) المرجع نفسه، ص48.

(35) عبد الوهاب حميد رشيد: حضارة وادي الرافدين، منشور على موقع الحوار المتمدن، 2012م. www.alhewar.org.

*****هذا النص لقصيدة تعود إلى العهد البابلي، وبطلها (شبسي، مشري، نرجال) أمَّا زمن تأليفها فيرجع إلى العصر الكشي (1595 – 1162) ق.م وتتألف من حوالي 500 بيت مدونة على أربعة ألواح، لمزيد من التفاصيل انظر قاسم الشواف: ديوان الأساطير، مرجع سبق ذكره، ص450.

(36) رينيهلابات: المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين (بغداد: مطبعة التعليم العالي، 1982)، ص398.

(37) سامي سعيد الأحمد: المعتقدات الدينية، مرجع سبق ذكره، ص34.

(38) رينيةلابات: المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، مرجع سبق ذكره، ص400.

(39) المرجع نفسه، ص396.

(40) المرجع نفسه، ص402.

(41) هاري ساكز، مرجع سبق ذكره، ص230.

****** هذا النص هو من الأدب الحواري الذي يكون بين شخصين، وقد حمل كثير من المعالم الفلسفية والدينية، يرجع النص لشخص يدعى (ساجيل- كينا موبيب) الذي عاش إبان حكم الملك (نبوخذ نصر الأول 1124- 1103) ق.م، وقد ضم النص سبعاً وعشرين قطعة، تحوي كل قطعة أحد عشر سطراً، ينظر: قاسم الشواف، ديوان الأساطير، مرجع سبق ذكره، ص450.

(42) قاسم الشواف: ديوان الأساطير، مرجع سبق ذكره، ص456.

(43) المرجع نفسه، ص456.

(44) المرجع نفسه، ص456.

(45) المرجع نفسه، ص457.

(46) هاري ساكز: عظمة بابل: ترجمة عامر سليمان (جامعة الموصل: دار الكتب، 1979)، ص494.

(47) قاسم الشواف، مرجع سبق ذكره، ص462.

(48) هاري ساكز: عظمة بابل، مرجع سبق ذكره، ص93.

(49) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مرجع سبق ذكره، ص461-462.

ومضات روحية عن القيمة الزهدية للزهد عند الحسن البصري

د. هاجر الطيب الطاهر عمران
كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدمة

كانت حياة التابعين وأقوالهم منبعاً استقى منه الزهاد،لأنَّ حياتهم وأقوالهم حافلة بالشيء الكثير من الزهد والورع والتقشُّف والإقبال على الله تعالى، ولا يستطيع باحث منصف في تاريخ التصوف الإسلامي أنْ يغفل على ما انطوت عليه أقوالهم من المنازع الروحية والأذواق القلبية.

وقد حرَّك فيهم الرسول ﷺ عقيدة التوحيد الصافي النقي، كما دعاهم إلى هجران الحياة الدنيوية المضطربة الآثمة، وذكَّرهُم بالحياة الأخروية، وخلود الروح ونشأة الجسد النشأة الثانية.

كان أساس كل هذه المبادئ الإسلامية الخالصة هو الترهيب والترغيب، والخوف من النار والطمع في الجنة، والعقاب والثواب. فالحسن البصري نموذجاً يقابلنا بعد الصحابة في عهد التابعين، فكانت حياته حياة الخوف والرجاء، حياة التهجُّد والبكاء، فهو كان يلتمس طريقاً إلى الله في زهده، مستعيناً بالمثل الأعلى الذي وجده عند الصحابة جميعاً.

يهدف هذا البحث إلى إظهار القيمة الزهدية للزهد عند الحسن البصري، كما يهدف إلى الإجابة عن السؤال التالي: ما الأسس الروحية التي قام عليها الزهد عند الحسن البصري؟

ولهذا انتهجت منهجاً وصفياً تحليلياً، وقمت بتقسيم البحث إلى الآتي:

أولاً- حياة الحسن البصري وبيئته.

أ- اسمه وحياته.

هو الحسن بن أبى الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال مولى أبى اليسر كعب بن عمرو السلمي. كان أبوه مولى جميل بن قطبة، وهو من سبى ميسان، سكن المدينة وأعتق وتزوج بها في خلافة عمر بن الخطاب، فولد له بها الحسن -رحمه الله- لسنتين بقيتا من خلافة عمر. وأمه خيره مولاه لأم سلمه أم المؤمنين كانت تخدمها، وربما أرسلتها في

الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن، وهو رضيع فتشاغله أم سلمه بتدييها، فيدران عليه فيرضع منهما، فكانوا يرون أنَّ الحكمة والعلوم التي أوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى أم سلمه زوجة رسول اللهﷺ، ثم كانت تخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له[1]، وفى رواية أخرى يعتقد الدكتور الشيبى، في بيان علمه الوافر أنَّه من برَكة شربة ماء من جرّة كانت للنبي ﷺ في بيت أم سلمه[2].

يتضح والجميل أنْ يذكر متى ما كان زمن الخير عمة البركة وأي بركة! بركة صحابة رسول الله وأنفاسهم الطيبة.

ب- شيوخه.

تتلمذ على أيدي كبار أصحاب النبي: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، لكنّ وَلَعَه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان هو الأشدّ، فقد مَلَك عليه نفسه بصلابته في الدين، وإحسانه في العبادة، وزهده في حطام الدنيا، فضلًا عن بلاغته وفصاحته وحكمته وخطابته وسُموّ أخلاقه، وكأنَّه اتخذ عليًّا مثلًا أعلى له، فظهرت صفات علي في شخصية الحسن! كيف لا يكون ذلك والحسن البصري ولد بالمدينة، فضلاً على أنَّ نشأة الحسن كانت بين كبار الصحابة -رضوان الله عليهم- ممَّا دفعته هذه النشأة إلى التعلم منهم؛ لأنَّه عاش بين كبارهم، كطلحة بن عبيد الله، عمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، ومعقل بن يسار[3].

إنْ كان هذا الزاهد الذي ولد بالمدينة (سنة 22ه/642م)، والمتوفى (سنة 110ه/728م)، من أبرر ممثلي الزهد الطبيعي الإسلامي، وعندما نقول الطبيعي نعنى أنَّه ليس بالزهد الشاطح ولا المتطرِّف، بل نهجُ زهده الكتاب والسنة لأنَّه تربَّى بالمدينة، ولم يشوب زهده شائبة فارسية أو نوازع غير إسلامية.

ج- علمه.

أخذ العلم عن خلق كثير من الصحابة والتابعين، وأدرك كبار الصحابة وروى عنهم، أمثال الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وعمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وعبد الرحمن بن سمرة، وأبي بكرة، وسمرة بن جندب،

ومعقل بن يسار، وأنس بن مالك – رضوان الله عليهم أجمعين– حتى صار عالماً في الحديث والفقه والتفسير واللغة.

رحل إلى كابل، ثم خراسان حيث كان كاتبًا للربيع بن زياد في عهد معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– ثم سكن البصرة ونُسب إليها. ويروى أنَّ النساك "يأتون الحسن ويسمعون كلامه، ويذعنون له بالفقه في هذه المعاني خاصة، وكان عمرو بن عبيد، وعبد الواحد بن زيد من الملازمين له، وكان له مجلس خاص في منزله لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن، فإنْ سأله إنسان غيرها تبرم له وقال: إنَّما خلونا مع إخواننا نتذاكر، فأمَّا حلقته في المسجد فكان يمر فيها الحديث والفقه، وعلم القرآن واللغة وسائرالعلوم.."[4].

ويروى كذلك عن بكر بن عبد الله المزني قال: "من سرَّه أنْ ينظر إلى أفقه من رأينا فلينظر إلى الحسن"، وقال قتادة: "كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام"[5]. ولو تساءلنا عن سبب تبحُره في كل هذه العلوم، فهذا راجع لأسباب منها:

1– نشأته في بيت أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها– فقد رضع من ثديها، كما رضع منها علمـــاً وفقهـــاً.

2– قربه من بيوت أمهات المؤمنين، فكان ذلك داعيـــاً لأنْ يتعلم منهنَّ.

3 – لزومه حلقة ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ فقد أخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والقراءات واللغة.

4 ولوعه بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ــرضي الله عنه ــ فقد راعه فيه صلابته في الدين، وإحسانه في العبادة، وزهده في الدنيا، وقوته في الفصاحة والبيان[6].

ثانياً– لمحة عن أهم الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاش فيها الحسن البصري.

نستطيع أنْ نتساءل هنا عن أهم الظروف التي ولدت هذا الاتجاه الروحي الزهدي عند الحسن البصري.

1– يرى الدكتور الشيبى أنَّ البصرة كانت ميناء تجتمع فيه كل الأجناس المختلفة، وتختلط فيها كل الثقافات المتباينة، ويظهر فيها الجديد من الأفكار والثقافات والميول المتعدِّدة، فهي كانت تسمَّى أرض الهند؛ لاتصالها على الأشكال المختلفة من

الأجناس، وهذا ولد انفتاح على العالم الخارجي، وما حمله من تطبيق لتقاليد من لم يألفها المجتمع الإسلامي من ذي قبل[7].

2- الرخاء الاقتصادي للبصرة أدَّى إلى ميل الناس إلى التوفيق بين الأمور الاقتصادية، وبين حياتهم الاجتماعية، فأدَّى إلى حالة من التشبُّع المادي والانغماس في ملاذ الدنيا، فأدَّى بهم هذا التشبُّع إلى البعد عن الأسس المتينة الكتاب والسنة، من هنا ظهر في البصرة نفر من الشباب الداعر في صورة عصابات وجماعات تنتهك الحرمات وتبحث عنها في أية صورة كانت، وأدَّى هذا بطبعة إلى انتشار التفسُّخ الأخلاقي.

3- كان من الطبيعي في مثل بيئة البصرة التي سادها التفسُّخ الأخلاقي أنْ يظهر وعاظ ومذكرون، يذكِّرون الناس إلى ما هم فيه من بعد عن المثل العليا الإسلامية، تعرضهم لسخط الله، ومن هنا ظهر في البصرة وعاظ وزهَّاد، عرفوا بشدة التأثير وقوة التركيز، كعبد الواحد بن زيد، والشيخ الحسن البصري[8].

الزهد ومن وجهة نظري هدفه دائماً أخلاقي، فهذه الظروف وغيرها ولدت روح معارضة للاضطراب في القيم الخلقية عندهم، فيكون هدف الزهد هنا تحليه بالأخلاق الحميدة والعودة إليها، وتخلِّيه عن أخلاق ذميمة وهجرانها.

الحب والخوف كانا متلازمين في البصرة، فالحب اشتهرت به رابعة، والخوف اشتهر به الزاهد البصري الحسن بن يسار البصري؛ لأنَّه عبَّر عن جوهر زهد البصرة.

4- وفى مجتمع انتشر فيه التفسُّخ الأخلاقي والتحلُّل من المثل العليا، أدى ذلك إلى خروج جماعة معارضة للروح المتحللة، نتيجة لهذا الاضطراب في القيم الخلقية عندهم؛ أطلقوا عليهم لفظ القَاص أو القُصّاص كالحسن البصري، وكانوا بحرا في كل علم، وبخاصة الأخبار والسير والحكايات، أي على درجة من القناعة والقوة[9].

ممَّا سبق يتضح جلياً أنَّ الحسن البصري وصف بالحساسية الشديدة تجاه الظروف التي كانت البصرة تمر بها، فوصف بالخوف الشديد والحزن، حتى عبَّر عنه بقوله: "طول الحزن في الدنيا تلقيح العمل الصالح". وقال: "لا يؤمن عبدٌ بهذا القران إلا حَزَنَ وذَبُل، وإلا ذاب وإلا تَعِب"[10].

ثالثًا- ومضات روحية عن القيمة الزهدية للزهد عند الحسن البصري.

للحديث عن الزهد عند الحسن البصري العابد الناسك والعالم والفقيه الذي ينظر إليه كافة المسلمين نظرة تقدير وإعجاب واحترام.

تساؤل ما قوام الحياة الروحية عند الحسن البصري؟ وبأي شيء اتصف زهده؟

قوام الحياة الروحية عنده هو الزهد في الدنيا، والإعراض عن جاهها، والإقبال على الله، والتوكُّل عليه والخوف منه، ويمثِّل الحسن البصري دون أدنى شك نوعاً خاصاً من الحياة الروحية، هو الزهد المتصف بالخوف الدائم. فقد قال فيه صاحب الحلية: "حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن، أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن، الفقيه الزاهد العابد كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً، ولشهوة النفس ونخوتها واقذاً"[11].

يصور الأصفهاني الحسن البصري بصورة لا تخلو من المغالاة والتشدد، وهذه الصورة لا تتفق مع ما كان عليه الحسن البصري من قوة الإيمان، وحب لله ورسوله الكريم ﷺ في كل أموره.

فضلاً على أنَّه نشأ بين الصحابة وتعلَّم على أيديهم الدين، وفق منهج الكتاب والسنة والجماعة، وما كان يقوم به من وعظ وإرشاد استلهم قواعده من كتاب الله وسنة نبيه، وربما كان وصف الأصفهاني دقيق، وربما بالغ. فدقيق لماذا؟ لأنَّ هذا راجع للتفسُّخ الأخلاقي، والانحلال الخلقي الذي عاصره، وهذا ينعكس سلباً على روح الحسن، وهذا أمر طبيعي لواعظ وشيخ مثله.

وبالغ الأصفهاني في وصفه للحسن البصري في كتابه (حلية الأولياء) عن كثرة الحزن والهم، وأنَّ هذا أمر ممدوح، وأنَّه من مناقبه ﷺ لكان في هذا سوء أدب مع الرسول ﷺ لأنَّه كان مبتسماً بشوشاً في وجه الآخرين، دائماً يدل هذا ما رواه أحد الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- بقوله: "ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ كان أجود أبش"[12].

وممَّا يؤكد رسوخ قدم الشيخ الحسن البصري في الزهد القائم على الوعظ الخلقي أنَّ الإمام على ﷺ دخل جامع البصرة، وجعل يخرج القُصَاصَ[*] ويقول: "القِصَصُ بدعه، فانتهى إلى حلقة شاب يتكلم على جماعة، فأستمع إليه فأعجبه

كلامه، فقال يا فتى، أسالك عن شيئين فإنْ خرجت منها تركتك تتكلم مع الناس، وإلا أخرجتك كما أخرجت أصحابك. فقال: سل يا أمير المؤمنين، فقال: أخبرني ما صلاح الدين؟ وما فساده؟ فقال: "صلاحه الورع وفساده الطمع قال صدقت. تكلَّم فمثلك يصح أنْ يتكلَّم على الناس"[13].

وبعد أنْ أباح علي بن أبي طالب الوعظ والكلام للحسن البصري، نراه يحاول–الحسن البصري– التميز بين من لبس الصوف كعلامة على الزهد والورع، أو أنْ يكون مدعاة للكبرياء والخيلاء، حينئذ يحدِّد لنا ماهية الزهد الحقيقي فيقول: "من لبس الصوف تواضعاً لله –عزَّ وجلَّ– جعل الله له نوراً في بصره وقلبه، ومن لبسه للتكبُّر والخيلاء كور في جهنم مع المردة". وقيل له مرة: "الفقهاء يقولون كذا وكذا. فقال: وهل رأيتم فقيهاً بأعينكم؟ إنَّما الفقيه الزاهد في الدنيا، البصير بذنبه، المداوم على عبادة ربه عزَّ وجلَّ"[14].

نستنتج ممَّا سبق أنَّ الحسن البصري قد لخَّص بأقواله تلك مراحل الزهد الحقيقي، والقيمة الروحية الزهدية، فهو يبدأ بالتواضع وعدم الرياء إلى الزهد في الدنيا ومداومة العبادة. حتى الفقيه حدَّد له وصفه، فأعطى المعنى العميق والروحي لكلمة (فقيه) في فكرنا الإسلامي. فليس الفقيه في نظره كما يعتقد الكثيرون من المتخصصين في أحكام العملية والتشريعية الإسلامية، بل كما يتصوره – إمام التابعين– الشيخ الحسن البصري، الذي يعمِّق الشريعة بالحقيقة، ولابد أنْ يؤكد ويربط العلم بالعبادة الدائمة، والزهد في الدنيا، فلو أردنا أنْ نحدِّد وصفاً للفقيه فهو الزاهد العابد.

من الواضح فنحن مع السراج الطوسي في تلخيص منهج الحسن البصري في الزهد في الآتي: "إنَّ أكثر ما ينفع الناس من تعلم الآداب عاجلاً وأوصلها آجلاً، هو التفقُّه في الدين، فإنَّه يصرف إليه قلوب المسلمين والزهَّاد في الدنيا، فإنَّه يقرِّب المرء من ربه"[15].

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ الزهد عند الحسن البصري كان زهداً كله فضائل أخلاقية، إذ كان قائماً على الوعظ الخلقي غايته نفع النَّاس في الدنيا والآخرة، ووسيلته كانت الفقه والوعظ الأخلاقي.

فالحسن البصري كان يلتمس طريقاً إلى الله مستعيناً بالمثل الأعلى الذي وجده عند الصحابة جميعاﷺ فكان وعظه وما قام

عليه زهده من صلاح وتقوى، يهدف إلى خير الناس في الدنيا، وحثهم عن رؤية جمال الحياة الباقية للزاهد الحق التي في علم الله، وهي خير وأبقى.

تلك هي القيمة الأخلاقية التي كان ينشدها من زهده وورعه. الذي كان قائم على الكتاب والسنة، لذا نجده حزيناً خائفاً، كثير البكاء فيقول: "لقد أدركت أقواماً ما إنا عندهم إلا لص"[16].

وكأنَّ لسان حال الحسن البصري يقول أصبح الوعظ والنصح في عصره صاحبه مذموماً وغير مرغوب فيه، وهذا حال عصرنا وما نحن فيه.

وممَّا لاشك فيه، فعن سبب خوف الحسن البصري وبكاؤه وحزنه ما ذكره القرآن من عظيم مشاهد يوم القيامة، ومن قصر الحياة الفانية، وتشوُّقه إلى الحياة الآخرة الأبدية إلى الخلود السرمدي في حضرة الله، وفي جناته ونعيمه فنجده يصف الدار الدنيا بأنَّها قاتلة للنفوس جميعاً، فلا تبقي أحداً ولا تذر. فعجباً أنْ يتعلَّق بها المتعلقون، ويفرح بها الفارِحون. وليست هي إلا سراباً لقوله تعالى:﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان:34 –35]﴿**لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (39) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ(40)**﴾ [سورة الأنبياء،الآية:39–40] ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ(2)**﴾ سورة ،الحج :الآية2]

ما نستنتجه من الحياة الروحية عند الحسن البصري، أنَّ أهم خطوة في طريق الزهد هو تصفية النفس بالمجاهدة العملية من صلاة وصوم، وذكر وغيرها كثير، وهو الذي يسبِّب الدمعة الغاسلة للخطايا، ولن يبلغ المرء أيَّ مقام كالزهد مثلاً إلاّ بتلك الرياضات؛ لأنَّ لها الدور الكبير والكلي في تهذيب النفس، ومن بعدها تأتي الأحوال كالخوف والشوق.

وعلى هذا النحو نجده وضع لتلامذته ومريديه أصول العبادة ألحقه القائمة على محاسبة النفس فيقول: "إنَّ المؤمن قوَّام على نفسه، يحاسب نفسه الله –عزَّ وجلَّ– وإنَّما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم

حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنَّما شقَّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة"[17].

يتبين ممَّا سبق أنَّ منهج الحياة الروحية عند الحسن البصري يرتكز على أسس منها:

1- أنَّ القرآن هو الحافظ للإنسان من التهلكة، وهو سلاح المؤمن ضد كل هلاك. وهذا ما يؤكده الحسن البصري لتلامذته نقلاً عن ابن الجوزي "في أنَّ المؤمن في وثاق القرآن يحول بينه وبين التهلكة، فالمؤمن أسير في الدنيا، ولكنه يسعى إلى فكاك رقبته"[18].

2- الزهد في الدنيا والخوف من الله ومعرفته أساس تزكية النفس وصلاح القلب، وهذه فضيلة أخلاقية ذات بعد أخلاقي، ألا وهو الصدق والطهر الداخلي[19].

فزهد الحسن متأتياً بعد تفقُّه وتبصُّر وتفكُّر سديد في حقائق الأمور، وقد روى الذهبي عن عوف أنَّه قال: "ما رأيت رجلاً أعلم بطريق الجنَّة من الحسن"[20].

3- ربط الإمام الحسن البصري العبادة لله تعالي بالفقه والزهد، أي ربط المسبب بالسبب فقال: "أنا الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه"[21].

4- رأى أنَّ التقصير في العمل مردَّه إلى المعاصي والخطايا، فقد روي عن مبارك بن فضالة أنَّه قال: سمعت الحسن وقال له شاب: أعياني قيام الليل، فقال: "قيدتك خطاياك"[22].

5- الانقطاع إلى الله تعالى بالعبادة إذ كان يقول: "من انقطع إلى الله تعالى في مسجد للذكر والصلاة، أقام الله له الدنيا خادمة"[23].

الواضح من خلال تتبع منهج الحسن البصري في الزهد نجده تطبيقاً عملياً لما في الإسلام وتجسيد للعبادة. وذاك هو الزهد الذي قوامه كتاب الله، وسنة نبيه – صلوات الله عليه وسلامه– قناعة ورضا، توبة وتواضع، فإنْ كان الزهد خلق ومنهج فما ظنك بخلق تولَّدت عليه فضائل وقيم أخلاقية شتَّى، كالتواضع والرحمة واللين، والشفقة، وكلها خير وخير لمن كان آخذاً بها.

رابعاً- لمحة عن معالم الحياة الروحية عند أتباع الحسن البصري مالك بن دينار أنموذجاً:

بعد أنْ اتضح الزهد منهجاً وفضيلة أخلاقية عند الإمام الشيخ الحسن البصري، أخذ تلامذته ومريدوه يعمّقون هذا العلم الجديد. وكانت تعاليم الشيخ الحسن هي الأساس الأول عندهم، وهي الصورة الأولى على طريق الزهد، هذه التعاليم هي الحزن على أوصاب الدنيا وأوضارها وقصرها. والبكاء على الذنوب والمعاصي والخطايا التي غرق بها الناس في مجتمع البصرة.

لم يقف تلامذة الحسن البصري مكتوفي الأيدي، بل أخذوا على عاتقهم مهمة الوعظ والإرشاد، متمسكين بأهم جانب في الزهد، وهو الجانب الأخلاقي، والدفاع عن الدين ومبادئه. فلم يعزلوا أنفسهم عن المجتمع كما حال النصارى، بل خرجوا ينذرون الناس، ويشاركون في إرساء قواعد سليمة للمجتمع الإسلامي، لا يهابون بطش سلطان وجمعوا الأموال لا من أجل شهواتهم، بل من أجل خدمة الإسلام والمسلمين ومن أبرز تلامذته وأتباعه:

أ- مالك بن دينار:

لو تساءلنا عن الشيخ مالك بن دينار، لقلنا إنَّ المؤرخين وأصحاب الطبقات لم يتناولوا تاريخه الشخصي إلا شذرات منه ما نقل منها إلا سرد لمأثوراته ومناقبه وإشارته التي تصور منهجه الروحي.

ففي ترجمة صاحب وفيات الأعيان "أنَّه مولى بني أسامة بن لؤى القرشي، توفى سنة 131ه، وكان عالماً زاهداً كثير الورع، قنوعاً، لا يأكل إلا من كسبه"[24]. وقد روي أنَّ الأصفهاني في حلية الأولياء قال أنَّه "أدرك رضوان الله عليه من الصحابة أنس بن مالك"[25].

هكذا نجد أنَّ مالك بن دينار قد عاش في القرنين الأولين للإسلام، ولا يزال عبير النبوة متضوعاً في الإرجاء؛ لقربه من عهد النبوة. فضلاً على أنَّه تتلمذ على يد الحسن البصري، فما قوام منهجه الزهدي؟ وما القاعدة التي انطلق منها؟.

لمَّا كان حب الدنيا ومفاتنها يطفئ نورانية الروح وصفاؤها، فهو كالسم القاتل لصفاء النفس وتساميها للأفضل، لذا نجد الزهد لدى مالك بن دينار هو من أعاد للنفس اتزانها، وكيف لا يكون ذلك وهو من كان شيخه الحسن البصري أليف

الخوف والحزن، ونابذاً كل شهوة، أيّ كان زهده وعظي، قوامه وكما ذكرنا كتاب الله وسنة نبيهﷺ. فماذا عن زهد مالك بن دينار؟ وما أساس زهده وما الطابع الذي اتسم به؟

1- زهد مالك بن دينار:

كان مالك بن دينار لا يخشى أمراء البصرة، فكان يدخل عليهم ويعظهم ويخوّفهم من عذاب النار، ويفعل الشيء نفسه مع أصحاب الخراج، ويتشدَّد عليهم كي يمنع أذاهم عن الناس. وكان أساسه في هذا الشيء، وهذا ما اختص به كل الزهَّاد والعبَّاد من المسلمين، هو القران الكريم الذي يحملهم على ذكر الله، وعدم التكالب على الدنيا.

فها هو يخاطب المسلمين قائلاً: "يا حملة القران، ماذا زرع القرآن في قلوبكم، فأنَّ القران ربيع المؤمن، كما أنَّ الغيث ربيع الأرض، وأنَّ الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض، فيصيب الحشيش، فتكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أنْ تهتز وتحسن. فيا حملة القرآن ماذا زرع الله في قلوبكم"[26].

ولمَّا كان اهتمام مالك بن دينار مرتبطاً بالقران، فأنَّه كان يكثر دائماً من الذكر باعتباره وسيلة ناجحة في الوعظ والإرشاد والتمسُّك بالمبادئ الأخلاقية والفضائل المثلى، فحبه للقرآن جعله يؤكد للعلماء والعباد، وهذا ما رواه صاحب كتاب الحلية: "بأنَّ حب الدنيا يخرج من قلب العالم حلاوة ذكر الله"[27].

الواضح أنَّ مالك بن دينار كان زهده في الدنيا مرتبطاً بالخوف من النار، فولَّد الخوف حزناً كان متأتياً من قراءته لكتاب الله تعالى، فكان زهده في الدنيا أساسه القران وهدفه، وعظ الناس شأنَّه في ذلك شأنْ شيخه الحسن البصري، فجمع التلميذ والشيخ بين حالي الخوف والرجاء نظراً لظروف بيئته، وما كان فيها من تفسُّخ وانحلال أخلاقي.

فكان زهدهم الوعظي الأخلاقي، وما يحمله من قيم نبيلة كالتواضع الذي هو خير، والرضا الذي هو حق، فإذا أمعنا النظر لوجدنا كل فضيلة في الزهد تحمل قيم كالخير، والحق، والجمال، وحاولوا أنْ يهدوا بهذه الفضائل النّاس لمعالم الطريق المستقيم.

يتضح ممَّا سبق أنَّ مالكاً وشيخه أكَّدوا أنَّ القلب إذا تعلَّق بحب الدنيا لم تنجح فيه موعظة، بل همَّه أكل ونوم وشهوة، وعلى

الرغم من أنَّها أشياء فطريه للإنسان، إلا أنَّ التوسُّط فيها لابد منه؛ لكي لا يطغى عالم المادة ومهلكاتها على عالم الروح الأنقى، وهذا بيت القصيد وما أحوجنا إلى عالم الروح بقيمة وفضائله.

إنَّ مالك بن دينار كان لا يفتر عن ذكر الله، وكان يطرب لسماع القران الكريم فيقول لأصحابه: "إنَّ الصديقين إذا قرئ القران طَربت قلوبهم إلى الآخرة"[28].

يتبين لنا أنَّ متى ما قرئ القرآن، وأمعن المؤمن في آياته عرف الله حق المعرفة، وعرف أنَّ الدنيا هي طريق إلى جنّة الخلد خالداً فيها، أو نار جهنم يحرق فيها.**﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ سورة الكهف،الآيات: 103ــ107. اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾** [سورة الحج، الآيتان1، 2].

هكذا يوطِّد مالك بن دينار طريق الزُهاد العُبَّاد بمعرفة الله فيقول: "خرج أهل الدنيا من الدنيا، ولم يذوقوا أطيب ما فيها. قالوا ما هو يا أبا يحي؟ قال معرفة الله تعالى"[29]. ويستمر طابع الحزن والخوف من النار في التأثير النفسي السيكولوجي على مالك بن دينار. فالعزلة التي هي الخروج عن الدنيا برمتها وما حوته، كانت وسيلة من الوسائل التي تدفع بالمسلم إلى التفكير في القرآن، وتدبُّر آياته ومعانية بشيء أدق وأوفى.

وبذلك يكون المسلم أكثر قرباً من الله، وكلمَّا أخاف النفس وأحزنها بالتدبُّر في مرامي آياته استقامة، ومتى ما استقامت عرفت ربها سبحانه. لقوله تعالى:**﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾** [سورة النجم،الآيتان: 43-**44] ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾** [سورة النجم، الآيات-57 ــ 62]

يتضح ممَّا سبق أنَّ منهج الحسن البصري في الزهد كان أصدق تطبيق عملي؛ لما في الإسلام، وأعده على حد

قول الدكتور إبراهيم بسيونى واضع أصول الزهد[30].

تلك هي الصفوة –رضوان الله عليهم– وتلك هي غايتهم التوجُّه لله والتحرُّر من هوى النفس والشيطان بقوله: "يستعان على دفع وسوسة إبليس بالذكر والقراءة ومجاهدة النفس: بالصوم والصلاة والمجاهدة والرياضة"[31].

ولابد للنفس من رياضتها ومجاهدتها كي تدرك ما للزهد من فضائل وقيم، فكله –الزهد– جمالية تفرَّد بها، طالما أساسه الكتاب والسنة.

وإذا صح القلب وطهرت النفس كان الشوق والحنين إلى رسول اللهﷺ، لذا كان الإمام الحسن البصري إذا ذكر حديث حنين الخشبة التي كان سيدنا رسول الله ﷺ عليه يخطب إلى جنبها: "يقول الخشبة تحن إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم– فأنتم أحق أنْ تشتاقوا إلى لقائه"(32).

تلك هي ومضات روحية عن الشيخ الحسن البصري "ذاك الذي كلامه كلام الأنبياء"[33].

ونختم فنقول الزهد عند هؤلاء هم أهلُه، فقد لا يقبل المرء بالزهد في الدنيا، وهو يعيش فيها، ولكن الحسن وإتباعه زهاد وهم فيها لعلمهم بأنَّها لا تساوي جناح بعوضه عند بارئها! فكيف لا يزهدؤها؟ وعند الله كذلك، فكانوا معلِّمي الفضيلة والقادة ، فهربوا من الدنيا وجعلوا من الزهد وبطريق معتدل خير هادى للخير والتواضع والرحمة، فكيف ما أداروا هذا المقام أعجزهم في جماليته؟.

الخاتمة:

نخلص ممَّا سبق إلى الآتي:

1- كانت الحياة الروحية في مراحلها الأولى قائمة على العمل فقط والسلوك العملي وحسب، حيث كانت هذه الحياة زهداً وتقشُّفاً ومجاهدة، وتطبيقاً عملياً لنصوص الشَريعة السمحة. بمعنى أنَّ سلوك المسلم كان قائماً على الزهد والتقشُّف والتنسُّك من خوف وحزن وإعراض عن الدنيا، والإقبال على الله والتوكل عليه.

2- من أجل الوصول إلى قلب تقي نقى مملوء بالورع والخوف منه سبحانه وتعالى كذلك الحصول على نفس طاهرة نقية تتمسَّك بالمعالي، وتترفَّع عن الدنايا لتزداد صلتها بالله، ويزاد حبها له من الواضح أنَّ منهج الحسن البصري مع تلاميذه استمر بالطابع نفسه زُهداً عملياً ومجاهدة عملية

مصدرها كتاب الله. فهو خير هادئ ومرشد. راجع هذا وكما ذكرنا إلى عوامل كانت سائدة آنذاك هي أشبة بأمراض قتلت المجتمع، وخير علاج لها كتاب الله وسنة رسوله، وما أحوجنا إلى علاج نستأصل به كل الأورام الخبيثة.

3- أنَّ الزهد عند الحسن البصري كان زهداً قائماً على الوعظ الخلقي، غايته نفع الناس في الدنيا والآخرة، ووسيلته كانت الفقه والوعظ الأخلاقي، فالحسن البصري كان يلتمس طريقاً إلى الله؛ مستعيناً بالمثل الأعلى الذي وجده عند الصحابة جميعاً.

تلك هي القيمة الأخلاقية التي كان ينشدها من زهده وورعه. الذي كان قائماً على الكتاب والسنة لذا نجده حزيناً خائفاً كثير البكاء.

4- أنَّ زهدهم وما حمله من تقوى و تنسُّك وتقشُّف كان أمراً عملياً فيه اتزان وموازنة بين أمور الدنيا والآخرة، ممَّا دفع هؤلاء الصفوة على اتخاذ منهج الترغيب والترهيب في قالب وعظي، ولم يتحيَّزوا لمنهج الترهيب، مهملين منهج الترغيب، وإنَّما التزام الإسلام بمنهج الاتزان والاعتدال بين الترغيب والترهيب حيث بشَّر الصالحين بالجنة، وأنذر العُصاة بالنار[34].

5- كان من أصول الزهد عندهم – الحسن البصري وأتباعه- ترفع الإنسان فوق شهوات نفسه، وهذا معناه أنْ يتحرَّر تماماً من كل ما يعوق حريته. ولكن الزهد مع هذا لا يعني الانصراف التام عن الدنيا، وإنَّما يعنى الاعتدال، أو العيش بوسطية امتثالاً لقوله تعالى:﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾.[سورة القصص،الآية:77].

وهذا ما كان عليه الصحابة والتابعين، فلم يفتتنوا بمال أو جاه. ولم يصرفهم الزهد عن حياة المجتمع؛ لأنَّهم كانوا بطاقات روحية لا حصر لها، تعينهم على حياة في المجتمع فلم يكونوا عُبَّاداً للمال أو الجاه، أو الشهوات، ولذلك حققَّوا العدالة الاجتماعية في أرقى صورها.

6- أنَّ القيمة الزهدية من زهد الحسن البصري وأتباعه، تمثَّلت وأكدت أنَّ نفوس الصحابة -رضوان الله عليهم والتابعين الأوائل- كانت نفوس طيبة طاهرة ، ذات قلوب طيبة وراضية، وأرواحهم عالية راقية فدفعهم حبهم لله وطلب رضاه إلى العبادة والتنسُّك والزهد، فالقيم الروحية

الزهدية للزهد عندهم صادرة عن روح صافية متعلِّقة بالله.

7- إنَّ زهد الحسن البصري وما حواه من قيم كان وليداً، وكما ذكرنا ظروفاً سادت عصره، كان هذا وسيلة من الوسائل التي تدفع بالتقي العابد الزاهد إلى التفكر في القرآن، وتدبُّر آياته ومعانيه بصورة أدق، وهذا لا يكون إلا بمجاهدة النفس وتطهيرها بالعبادات والأذكار والاستغفار، فاخذوا من القرآن والسنة أساساً فكان بذلك الزهد منهجاً في حياتهم.

هوامش البحث ومصادره:

1- الشعراني: الطبقات الكبرى، ج1، بيروت، دار صادر،1980، ص26.

2- كامل مصطفى الشيبى: صفحات مكثَّفة من تاريخ التصوف الإسلامي، بيروت، دار المناهل،1995، ط ،1 ص68.

3- الشعراني: الطبقات الكبرى ج1، مصدر سابق، ص23.

4- أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،ج2، مصر، مطبعة السعادة، ص،131،132.

5- المرجع نفسه،63.

6- المرجع نفسه، ص66.

7- كامل مصطفى الشيبى: صفحات مكثَّفة من تاريخ التصوف الإسلامي، (مرجع سابق)، ص62. وأيضاً: أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،ج2، (مصدر سابق)، ص،131،132.

8- المصدر نفسه، ج2، ص132،133.

9- المصدر نفسه،ج2، ص132،133.

10- المصدر نفسه،ج2، ص132،133.

11- المصدر نفسه،ج2، ص132،133.

12- مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج1، بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ص367.

(*) اتى الرواة والمتحدثين.

13- زكى مبارك: التصوف الإسلامي، ج2، بيروت، دار الجيل، 1995، ط2، ص76.

14- الشعراني: الطبقات الكبرى ج1، مصدر سابق، ص26.

15- الطوسي: اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، وطه سرور، القاهرة، دار الكتب الحديثة،1960، ص194.

16- ابن الجوزي: صفة الصفوة،ج3، حلب، دار الوعي، ص156.

17- المصدر نفسه،ج3، ص58.

18- المصدر نفسه،ج3، ص58.
19- الذهبي: سيرة الإعلام ج4، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص575.
20- المصدر نفسه،ج4، ص574.
21- المناوي: الكواكب الذرية،ج1، مصر، الأزهرية للتراث، ص184.
22- المصدر نفسه،ج1، ص182.
23- المصدر نفسه،ج1، ص182.
24- الأصفهاني: حلية الأولياء،ج2، مصدر سابق، ص360،359،358.
25- أبو طالب المكي: قوت في معاملة المحبوب، بيروت، دار صادر 1970، ص195،194.
26- ابن الجو زى: صفة الصفوة،ج3، (مصدر سابق)، ص204.
27- الأصفهاني:حلية الاولياءج2، (مصدر سابق)، ص360،358.
28- أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب، بيروت، دار صادر 1970، ص195،194.
29- ابن الجو زى: صفة الصفوة،ج3، (مصدر سابق)، ص204.
30- إبراهيم بسيونى: نشأة التصوف الإسلامي، القاهرة، مكتبة القاهرة،1980، ص107.
31- المناوئ:الكواكب الذريةج1، (مصدر سابق)، ص184.
32- الذهبي: سيرة الإعلام ،ج4، (مصدر سابق)، ص570.
33- المصدر نفسه، ج4، ص570.
34- عبد الرحمن بدوى: تاريخ التصوف الإسلامي، الكويت وكالة المطبوعات 1978، ط2 ص37.

إيثار تعلم العلم وفضائل تعليمه في الإسلام

د. سليمان حندي صالح
كلية التمريض/جامعة سبها

مقدّمة: Introduction

يتناول هذا الموضوع البعد الأخلاقي لإيثار طلب العلم ومكارم تعليمه للغير؛ حسب ما أقرَّه الدِّين الإسلامي بالانتفاع الصَّحيح به والعمل بمقتضاه، وبما يُفيد ويَنفع به المرء كلَّ النَّاس، وطلب العلم في الإسلام لا يقتصر على العلوم الدِّينيَّة، بل يشتمل على علوم الكون كلّه، ذلك أنَّ الإسلام جاء شاملاً لضروب النَّشاط الإنساني كافَّة، لأنَّ العلم في الإسلام لا حدود له طالما فيه نفع وصلاح، وانحصرت جملة استنتاجات نتائج البحث في أنَّ المعنى العام للإيثار هو: حبّ المرء لأخيه الإنسان الخيّر في كل أُمور الحياة، يسعى ويسهر ويجد ويجتهد ليهنأ باله ويرتاح إخوانه، ويسعد أحبابه دون تخصيص، بحيث لا يقطع عليه طريقاً لبلوغ الخير إلى نفسه، وفي ذلك صلاح له ولجميع النَّاس ومرضاة لله، لأنَّ المؤثر والمتفضّل والمعطي في الحقيقة هو الله، سواء من المال والجاه والسلطان والعمر والعلم والعمل، وما المخلوق إلَّا أمين عليها، فأحق بها مُوهِبها له، وثواب مكارم الإيثار تبنى على النيَّة الصَّادقة وخواتيم الأعمال الحسنة.

وقد بيَّنت أغلب الاتجاهات أو المذاهب الفلسفيّة أنّ مذهب المنفعة أو السَّعادة، يتلَّخص بوجه العموم في اتجاهين رئيسيين: إطاره الأول المنفعة أو السَّعادة الشَّخصيّة أو الفرديّة، والاتجاه الثَّاني: المنفعة أو السَّعادة العامّة لكل النّاس؛ ويحتل العلم أعلى المراتب من درجات سُلَّم الحياة الإنسانيَّة في الدُّنيا، فهو أجلّ وأشرف النِّعم، به تحفظ كلمة الله العليا، وصلاح الأنفس والأوطان، وعمارة الكون على مرّ الزَّمان، وهو ميراث الرُّسل والأنبياء عليهم أفضل صلوات الله وأزكى السّلام، فهم ورَّثوا العلم ولم يورِّثوا دِرهماً ولا ديناراً، ولا دُوراً ولا بُوراً ولا قُصوراً؛ لأنَّ ذلك ممَّا يزول ويفنى، ويبقى العلم مُلْكٌ لا يضاهيه مُلك في النَّماء

والعطاء، ثماره يانعة في العاجل والآجل، وبالعمل قطوفه في كل حين دانية؛ فهو المرشد لسبيل السَّعادة في الدّنيا والآخرة، وما إيثار حبّ طلب العلم، وتعلمه وتعلّيمه إلاَّ دليل على رجاحة عقل المرء وحسن إسلامه، وصدق نيَّته وكمال إيمانه، ومن بين أبرز أسباب اختيار موضوع البحث: أنَّ بعض المقرَّرات بالبرنامج الدِّراسي في كثيرٍ من الأحيان تفتقر إلى التَّحديد الشَّامل الذي يغطِّي جميع الجوانب الرئيسة؛ للتَّوصيف العام للمعايير البرامجيَّة، وعلى وجه الدَّقة المنهاج الدراسي للتخصُّصات التربويّة من أجل تعليم وتأهيل الطلّاب بمختلف المراحل التَّعليميّة، ومن أهمها على الوجه الأخص المرحلة الجامعيّة؛ إذ ينبغي أنْ توجَّه العناية اللّازمة لدراسة الأخلاقيّات التّربويّة والمهنيّة بالمقرّرات الدِّراسيّة، والأولى أنْ تتم دراستها بشكل مستقل عن أيِّ مقرّر دراسي آخر؛ لما لها من أهميّة وضرورة في الإعداد التَّربوي والمهني على أسس وضوابط أوامر ونواهي الدِّين الحنيف، بما فيه من مكارم الأخلاق والقيم الإنسانيّة النبيلة في بناء الشَّخصيّة والمعاملات المهنيّة، ومن أبرزها تحديداً في إطار هذا البحث معالي مكارم الإيثار التي ينبغي أنْ يتحلَّى بها الطَّالب؛ لنيل الدّرجة العلميَّة الجامعيَّة التَّخصصيَّة في الإطار التّربوي، ليعمل بها في حياته الشّخصيّة، ومقتضيات الممارسة المهنيّة، وتعامله مع الزُّملاء والوسط المهني وغيره، ومن هذا الأساس ارتكزت تساؤلات البحث في التالي: لماذا يميل بعض النّاس لحب الإيثار؟ وآخرين يتَّصفون بالاستئثار، وعلى وجه الدِّقة والتَّحديد، ما مقياس أو معيار العمل؟ والنَّفع أو السَّعادة أو اللّذة التي ينبغي أنْ يسعى ليتحصل عليها الإنسان من مكارم خلق الإيثار من باب طلب العلم وتعليمه؟. ومن جانب آخر هل خُلق إيثار طلب العلم وحبّ تعليمه طَبْعٌ جُبلت عليه النَّفس، أم أنَّه سلوك يَتَخَلّق به الإنسان بالكَّسب والتَّطبيع والمران، وبمعنى آخر: لماذا يتّصف بعض النّاس بِخُلُق إيثار نفع الغير بما تعلم؟ في حين أنّ بعضهم الآخر يغلب على طبعه خلق استئثار حبّ العلم دون تعليمه، أو نفع الغير به بأيّ صورة كانت. ومن ذلك يحاول الباحث أنْ يستنتج كيف وضع الإسلام معياراً لِلبَنَاتِ؟ ثواب مكارم الإيثار في طلب العلم وتعليمه، وهذا هو الأساس الأول المباشر لإشكاليّة البحث.

وتأتي أهمية البحث في أنَّه يسعى إلى التَّوجه نحو إحداث تطوير برامجي بالمؤسسة التّعليميَّة التّخصصيَّة عند الإعداد التّربوي والمهني الطلابي؛ لِخَلْق بيئة متميّزة للطلّاب وأعضاء هيئة التّدريس والعاملين بها على حدٍ سواء، ممَّا يعين على تحقيق رؤية ورسالة وأهداف هذه المؤسسات التَّخصصية، إضافة لذلك لِتوضيح الأسس والمبادئ التي ترتكز عليها أخلاقيات مكارم إيثار طلب تعلم العلم، وفضائل حبّ تعليمه وفق تعاليم ومنهاج الدِّين الإسلامي القويم، وتتجلَّى أهداف البحث في التالي:

1- إرشاد المتعلِّمين بعامَّة والطلاب بخاصّة إلى تهذيب النّفوس بالأخلاق والآداب الفاضلة بإيثار فعل الجميل، وترك القبيح من الأخلاق المذمومة، وهي غاية نفيسة من حيث التَّعلُّم لبلوغ القرب من الله جلَّ جلاله، ومن ثمَّ النَّظر لوجهه الكريم كأسمى ومنتهى الغايات بالسَّعادة الأخرويَّة التي لا تضاهيها منزلة قرب وسعادة أبديَّة.

2- بيان أنَّ حق الأستاذ على الطَّالب يأتي بعد حقّ الأمومة والأبوة على الأبناء؛ لأنّ بتعليمه لهم وأداء رسالته على الوجه التَّام والصَّحيح فيه صلاح ما يصونون به دينهم، ويسوسون به دنياهم ونفوسهم، ومن ثمَّ فيستحقُّون برَّهم بمنزلة الوالدين.

3- وجوب العمل بما أمر الله به عباده، وترك ما نهى عنه، يقتضي العلم والعلم اليقيني يستلزم الاعتقاد الصَّحيح، وغاية العلم معرفة الطَّريق الموصِّل للحقائق، وبيان المسلك الباطل لاجتنابه، فمن لا يعرف أو لا يفرِّق بين الحقّ والباطل، لا محالة قد يقع في الشّر لفساد الاعتقاد؛ ومن ثمَّ لا يكون المرءُ عالماً حتى يكون بعلمه الصَّحيح عاملاً.

4- يتطلَّع الباحث إلى الإسهام في كيفية رفع مستوى الإعداد المهني للطلَّاب بالمؤسسات التّعليميَّة، بأسلوب تذكية نفوسهم وتنمية شعورهم نحو حبّ إيثار طلب العلم وتعليمه، لما له من أهمِّية بالغة في حياتهم السُّلوكيَّة العامَّة، والتَّخصصيَّة المهنيَّة المستقبليَّة، وللرّفع من كفاءة الإعداد المهني لأعضاء هيئة التَّدريس الأخلاقيَّة إلى جانب إضفاء بعض المعارف المهنيَّة التَّخصُّصيَّة للطلَّاب.

5-زيادة الرَّفع من مستوى الوعي المجتمعي لينعكس على سلوكهم العملي بفعل كل جميل، وثنائهم على فعل كل مليح، واستهجان واجتناب كل قبيح، ومقابلة الإحسان بالإحسان.

واعتمد الباحث في هذا الموضوع على المنهج التَّاريخي بالدّرجة الأولى، وهو أحد مناهج البحث العلمي الَّذي يصف الأحداث الماضية؛ بغية دراستها وتحليلها، استناداً إلى أسسٍ منهجيّة وعلميّة دقيقة؛ لتحديد الفكرة العامّة عن الموضوع، وفهم الوقائع التاريخية المتعلقة بموضوع البحث النظري، أو الدراسة التطبيقية؛ من أجل استنباط أثرها على الحاضر، ومن ثمّ يمكنه وضع تصوّرات لما ينبغي أنْ يكون عليه الواقع المعاش واستشراف المستقبل، أو التَنبؤ بالمعضلات المستقبليّة التي قد تحدث، ووضع سبل لمواجهتها ليصل في النّهاية إلي صياغة أهم النّتائج والمقترحات والتّوصيات والملاحظات، إضافة إلى ذلك استخدم المنهج الوصفي الذي يعتمد على استقاء المعلومات اللّازمة عن موضوع البحث خلال فترة زمنيّة محدّدة؛ بغية الحصول على نتائج تتّسم بالشموليّة والموضوعيّة والدّقة، وهو من بين المناهج الضَّروريّة في ميدان العلوم الإنسانيّة بوجه خاص من أجل الوّصف الواقعي والتفسير الموضوعي.

أولاً- مصطلحات البحث:

Research terms

1ــ الإيثار: يطلق على أيّ فعل أخلاقي يقوم به المرء بهدف أنْ تَعمّ الفائدة والنّفع على الغير، دون أنْ يَرْتجي الإنسان من وراء ذلك الفعل مقابل أو مزيّة لمصلحته الشّخصيّة، والإيثار بمعنى التَّقديم والتّفضيل، فهو عكس الأَثرة: وهي حبَّ الذَّات أو الأنانيّة، وهي مدعاة لفساد الذِّمم ومعطِّلة لمصالح الإنسان، والهادمة لعمران الأوطان.

2ــ الفضيلة: فضيلة[1]: تعني الزِّيادة، أي وفرة في النَّفس، أساسها استعداد فطري أو ملكة أو حال مكتسبة بالمران، أو هي تمام تأدية القوّة النَّفسية لوظيفتها، وهي كل فعل يقصد به نحو غاية ما، تفضي لعمل جليل القدر عظيم الشأن، فالفضيلة: المرتبة العالية أو المزيَّة الزائدة على سائر الدّرجات ومنها ثواب أو مقام الجنَّة في الآخرة، وقد جاء في الحديث النّبوي الشريف عن جابر بن عبد الله ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يسمع

النداء اللَّهم ربّ هذه الدَّعوة التَّامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلَّت له شفاعتي يوم القيامة"[2]، والمراد بذلك بلوغ المرتبة الزائدة على سائر الخلائق، وهي هنا المزيَّة التي سينالها النّبيّ ﷺ بحسن الأخلاق، وثواب العمل الصالح بأعلى منزلة في الجنَّة.

3ــ الأخلاق:

الأخلاق في اللُّغة جمعٌ لمفرد لفظ الخُلق[3]، وهي الطَّبع والسَّجيّة لصدور الأفعال الحسنة والقبيحة عن صاحبها، وبمعنى أنَّها الدّين والمروءة، وتعني مجموع الأعمال والصفات النفسيّة للإنسان التي توصف بالحسنة أو القبيحة، كما يُعرف الخُلق لغة: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء"[4].

وتعرَّف اصطلاحاً بميل الإرادة الإنسانيّة للفعل المحمود أو المذموم، أي أنِّها هيئة راسخة في النَّفس، يصدر عنها الأفعال بشكل سهل ومُيسّر، دون الحاجة للتَّروي أو التَّفكير، ومن ثمَّ يمكن أنْ يصدُر عن هذه الهيئة الأفعال المحمودة أو المذمومة.

4ــ المنهاج: من أصل الفعل(نَهَجَ). والنَّهْج لغة[5]، بسكون الهاء، سَلَكَ الطَّريق الواضح، وأنهج الطّريق: وَضَّحَ واستبان، وصار نهجًا واضحًا بيّنًا، وأنهج الطريق[6]، ويقال: نهج فلان الأمر نهجًا؛ أي: أبانه وأوضحه، ونَهَجَ الطريق: سلكه، وجاء معنى المِنْهَاج في القرآن الكريم في محكم كتابه العزيز في قول الله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾، [المائدة:48]. والمِنْهَاج بمعنى: الطّريق الواضح والمستقيم. وأصطلح على معنى المنهج: بفتح الميم – هو النَّهج – المَسْلَك أو المسار البيّن الواضح لتحقيق هدف ما، والمسلك المبتغاة والحقيقة المرتضاة، المعبّر عنه بصدق الظَّاهر من الأقوال، والباطن المطابق للعمل من الأفعال.

5ــ الإسلام: الانقياد، والدُّخول في السِّلم، أي الاستسلام، والإخلاص في العبادة لله وحده لا شريك له، بقول لفظ كلمة التَّوحيد: لا إله إلا الله، والفعل بإفراد العبادة فيها لله تعالى اعتقاداً بالقلب، ووفاءً بالفعل وعملاً بالجوارح، وإيماناُ بما قضى الله وقدَّر؛ وذلك بإتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه وحرَّمه.

6ــ الشَّخصيّة: يرتبط مفهوم أو مصطلح الشّخص أو الذَّات في الفلسفة بالجانب المعنويّ والروحيّ للبنية الماديّة والبيولوجيَّة للفرد؛ فهو يشمل الهويّةَ ومدى مطابقتها للذّات التي تُعدّ الجوهر الروحيّ الظّاهر في الطّبِاع، واختلفت مُسمّيات الشّخص أو الجوهر على مدى تاريخ العلوم الفلسفيّة، فسميت بالنّفس، والفكر، والشعور، إلى غير ذلك من المسمّيات، وفي مجمل المعاني تطلق على الشَّخص البيولوجي العاقل، الذي له العديد من القدرات في آنٍ واحد، تمكّنه من الفهم والتَّخيل والإحساس والإرادة الحرّة والشعور والتفكير والاستدلال، لترابط كل الخبرات السابقة في الماضي مع الأحداث الحاضرة واللّاحقة داخل الذاكرة، ومن ثَمَّ تُحدد شخصيّته المتميّزة عن غيره.

7ــ السّعادة: معناها العام شعور داخلي نسبي يختلف باختلاف قدرات الفرد وأحاسيسه وإمكاناته ودوافعه الشّخصية، إلّا أنّها تُعبر عن الحسّ أو القَدَر أو الظّرف المشترك بين النّاس بما يعود عليهم بالنّفع والخير والرِّضا والرّاحة النَّفسيّة؛ فهي نوع من الفرح والابتهاج تضفي كل ما يُدخل السُّرور على النّفس الإنسانيّة.

ثانياً- أدبيات البحث السّابقة:

Literature Research History

سنَّة الله في خَلقه أنْ تكون مكارم وفضائل الإيثار بين النَّاس في الحياة كلّها بلا تعيين، ومِن وُجُوهِهِ محبَّة إيثار الجاه والسّلطان والمأكل والمشرب والملبس والمآل، والنَّفس وصحَّة البدن والوقت والجهد والحياة وحبّ تعلم العلم، وتعليمه والنُّصح للغير والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، إلى غير ذلك من وُجُوه الإيثار بلا حد ولا نهاية، فمكارم الجزاء على العطاء والشّكر على النَّعماء، والدّعاء على جزيل الوفاء جزاء الشُّكر بالثَّناء على فعل الخير والقول الجميل، إنَّ ذلك يُضاهي فضل مكارم العطاء ويزيد، فلما حلَّ المهاجرون على الأنصار في دورهم وديارهم بالمدينة المنَّورة؛ آثروا وأحبّوا الثَّناء عليهم بجميل الفعل وصنيع المعروف، وظنّوا ألاَّ جزاء لهم في مقابل من أجْزل لهم العطاء، فجاء عن أنس ﷺ أنَّه قال: قالت المهاجرون: "يا رسول الله ذهبت الأنصار بالأجر كله ما رأينا قوماً أحسن بذلاً لكثيرٍ ولا أحسن مواساة في قليلٍ منهم، ولقد كفونا المئونة قال: أليس تثنون عليهم به وتَدعون الله لهم قالوا: بلى

قال: فَذاك بِذاك"[7]، فالعمل القليل مهما كان نوعه إنْ كان في طاعة فعند الله ثوابه عظيم، حتى وإنْ كان دون جهد وعناء، وأيسره الشَّكر على مكرمة العطاء، بل أكثر من ذلك فإنّ الله تعالى يساوي أجر جهد العمل أو العطاء في مقابل الثَّناء والدُّعاء لمن أعطي، وفي ذلك جاء في الحديث المرفوع عن النّعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ في رواية المروزي عن النَّبي ﷺ قال: "التَّحدث بنعم الله شكر وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ثم زاد أبو القاسم في روايته ومن لا يشكر النَّاس لا يشكر الله، والجماعة بركة والفرقة عذاب"[8]، وذلك أنَّ يد الله مع الجماعة. وممَّا جاء في الهدي النَّبوي في حُبّ السعي لطلب العِلْم وتَعَلُّمه والعمل به وتعليمه عن كثير بن قيس قال أتيت أبا الدّرداء وهو جالس في مسجد دمشق فقلت يا أبا الدَّرداء، إنّي جئت من مدينة الرسول ﷺ في طلب حديث بلغني عنك، أنَّك تحدث عن رسول الله ﷺ فقال : ما جاء بك حاجة ولا جاءت بك تجارة، ولا جاء بك إلا هذا الحديث. قلت نعم، قال: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنَّة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف الماء، إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بِحَظٍ وافرٍ"[9].

ومن أسمى ونوادر الرَّحلات في طلب العلم[10]، ما جاء عن قصة العالم: أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد الأندلسي. المتوفى سنة: 276 هـ، فقد نقل بعض العلماء من كتاب حفيده قصته برحلته الطَّويلة الشّاقة لمدة سنة، قال: رحل أبي من الأندلس إلى مكّة المكرَّمة ماشياً، ومن مكّة إلى بغداد؛ بغيته ملاقاة الإمام: أحمد بن حنبل، فلمّا وصل بغداد أُبلغ بمحنته بأنّه ممنوع، فاغتمَّ غمًا شديدًا، وتحايل حتى قابله وقال له: إنِّي رجل غريب، نائي الدَّار، هذا أول دخولي هذا البلد، بعد سنة من سفري، ولم تكن رحلتي إلّا إليك. فقال: ادخُل هذا الممر بشرط ألاَّ يقع عليك عين. فدخل فقال له: وأين موضعك ؟! قال: المغرب الأقصى، بلدي الأندلس. ردَّ عليه: إنّ موضعك

لبعيد، وما كان شيءٌ أحبّ إليَّ من أنْ أحسن عون مثلك على مطلبه، غير أنِّي في حيني هذا ممتحن بما لعلَّه قد بلغك. فقال له: بلى قد بلغني، وأنا على مشارف بلدك، مقبل نحوك. ثمَّ قال له: يا أبا عبد الله، هذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فإنْ أذنت لي أنْ آتي كل يوم فأقول عند الباب ما يقولونه، فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لمْ تحدثني في كل يوم إلا بحديث واحد لكان لي فيه كفاية. فأجابه: نعم على شرط أنْ لا تظهر في حِلق العلم، ولا عند المحدِّثين. فقال: لك شرطك. فكان يأخذ عصا بيده، ويلف رأسه بخرقة مُدَنَّسة، ويجعل ورقه ودواته في كمّه، ثمَّ يأتي بابه، فيصيح: الأجر، رحمك الله، فيخرج إليه ويُغلق باب الدَّار، ويحدثه بالحديثين والثّلاثة والأكثر، فالتزم معه حتى مات الممتحن له، وولي بعده من كان على مذهب السنَّة، فظهر أحمد من سجنه، وعلَت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل من كل أرجاء المعمورة، فعرف له حق صبره فحظي بمكانة في نفسه، فكان إذا أتاه بحلقته فُسح له، ويقصّ على أصحاب الحديث قصته معه، وأصبح يناوله الحديث مناولة، ويقرؤُه عليه، ومن ثمَّ يعود هو يقرؤه عليه، حتى أجازه وعاد لبلاده، فهذا العالم الأندلسي رحل من أقصى الغرب إلى أقصى الشّرق على قدميه ليلقى الإمام أحمد، فلمَّا وجده محبوسًا ممنوعًا عن النّاس تلطّف وتحيَّل حتى لقيه، فأخذ العلم عنه، وحفظ له الإمام أحمد صبره في طلب العلم وقرّبه منه، حتى نال بغيته ومطلبه من العلم.

وعن بن عقيل أنَّ جابر بن عبد الله حدثه أنَّه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النَّبي ﷺ قال: ابتعت بعيراً فشددت إليه رحلي شهراً حتى قدمت الشَّام فإذا عبد الله بن أنيس فابعث إليه أنَّ جابراً بالباب فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله، فقلت نعم فخرج فاعتنقني قلت حديث بلغني لم أسمعه خشيت أنْ أموت أو تموت، فقال له سمعت النَّبي ﷺ يقول: "يَحْشُر الله العباد أو النَّاس عراةٌ غرلاً بهماً قلنا ما بهماً؟ قال ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بَعد أحسبه قال كما يسمعه من قَرب أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنّة، يدخل الجنّة وأحد من أهل النّار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النّار يدخل النّار وأحد من أهل الجنّة يطلبه بمظلمة، قلت

وكيف وإنّما نأتي الله عراة بهماً قال بالحسنات والسَّيئات"[11].

وممّا قلّ ودلّ عن مكارم طلب العلم والبحث عنه مهما بلغت الصِّعاب إليه، فقد تحدث أحمد بن سنان، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول: "كنَّا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال له: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حمَّلَنِي أهل بلدي مسألة أسْأَلَكَ عنها. قال: فَسَلْ. فسأله الرَّجل عن المسألة، فقال: لا أحسنها. قال: فبهت الرَّجل كأنَّه قد جاء إلى من يَعْلَم كلَّ شيءٍ. فقال: أيّ شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أُحسن. وذكر ابن وهب أيضاً في كتاب المجالس قال: سمعت مالكاً، يقول: ينبغي للعالم أنْ يألَف فيما أشْكَلَ عليه قول: لا أدْري؛ فإنَّه عسى أنْ يُهَيأ له خير، وقال ابن وهب: وكنت أسمعه كثيراً ما يقول: لا أدري. وقال في موضع آخر: لو كتبنا عن مالك: لا أدري، لملأنا الألواح" [12]، وجاء عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي قال: حدثني محمد بن إدريس الشَّافعي، قال: سمعت مالك بن أنس، يقول: سمعت ابن عجلان يقول: "إذا أغفل العالم: لا أدْرِي أُصيبت مَقَاتله"[13].

وممّا جاء في إيثار حبّ الإيثار عند الصُّوفيّة بأنّه أكَرَمَ خُلُقْ على النّفس صبراً بأنْ لا يتأوَّه العبد إذا أصابه البلاء، فقيل عن بعضهم أنّه لما أوشي عنهم[14] بالزّندقة، رفع أمرهم للخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فتقدَّم أحدهم للسّياف مسرعاً دونهم لضرب عنقه، فقال له السّياف: أتدري إلى ماذا تبادر؟، فقال: نعم فقال وما يُعَجِّلَكَ؟ فقال أُوثر عليَّ أصحابي بحياةِ ساعةٍ، فتحير السّياف وردهم جميعهم إلى الخليفة، فدفعهم إلى القاضي؛ ليتعرّف حالهم فألقى القاضي على: أبو الحسين النَّوري[15]، مسائل فقهيّة، فأجابه عن الكلِّ، ثمَّ أخذ يقول: وبعد فإنّ لله عِباداً قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسرد ألفاظاً أبكى بها القاضي، فأرسل القاضي إلى الخليفة، وقال: إنْ كان هؤلاء زنادقة: فما على وجه الأرض مسلم؛ وذلك أنّه تيقَّن أنَّهم على علمٍ وعملٍ بأمور الشَّريعة بالبرهان والدَّليل والحّجة القاطعة.

وكذلك الأمر نجد في عبارات الصُّوفيّة وصفاً في حدّ المحبّة عند البعض منهم أنّها الإيثار، قال ابن قدامه[16]، عندما ذكر درجات السّخاء: "وليست بعد الإيثار درجة في السّخاء"[17]، والمجمل: فإنّ أساس

الإيثار في العلم والعمل والعطاء الاختيار الطَّوعي بالنيّة[18]، الصّادقة والعزم الأكيد في إسداء الخير بلا تمييز من حظوظ النّفس بالإحسان للغير، دون قيود ولا شروط، وبالأخص عندما يكون المرء أحوج ما يكون للشَّيء، إلّا أنَّه يؤثر غيره دون نفسه، فالنّية أساس العمل في الإسلام، وهي إرادة القصد أو العزم المتقدِّم عن الفعل بوقت قد يقصر أو يطول، وحسن النّية وصدقها لا يتم إلا بتطابق الأقوال والأفعال، إذ لا يبلغ العبد أعلى مراتب مكارم الأخلاق حتى يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً (كاملاً) حتى يعمل بما علم، فكل القيم الأخلاقيَّة مرتبطة بالنِّية، وترتبط النِّية بنوع الغاية التي قام من أجلها الفعل، ولذلك يرتكز الفعل الإنساني في الدِّين الإسلامي على النِّية، فجاء عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: "إنّما الأعمال بالنِّيات، وإنّما لكل أمريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما جاهر إليه"[19]، أي أنَّ صدق النِّية ممَّا يقع من الإنسان من أقوال وأفعال، يترتب عليه الجزاء بمقتضى قصده، وعزم قلبه الأكيد الذي لا يعلمه إلّا الله تعالى، فمفارقة الدِّيار والأهل والأخوان فيه مشقَّة ومجاهدة نفس، بمقربة من مشقَّة الجهاد في سبيل الله. فعن أنس عن النَّبي ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[20]، قال هذا حديث صحيح، وفي رواية للنِّسائي: "حتى يحب لأخيه من الخير ما يحبّ لنفسه"[21].

ثالثاً- الإيثار في اللغة والاصطلاح:

الإيثار لغة: مصدر القول آثره عليه يؤثره إيثاراً بمعنى فضّله وقدّمه، وهو مأخوذ من مادّة (أث ر) الّتي تدلّ على تقديم الشّيء، ومن ذلك لفظ: الأثير وهو الكريم عليك الّذي تؤثره بفضلك وصِلَتِكَ، آثرت[22]، والإيثار: إعطاء نصيبك غيرك تبرُّعاً من نفسك، ويقال: آثرته بكذا أي خصّصته به، وفضّلته أي يؤثرونهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم لا عن غنى، بل مع احتياجهم إليها، ومآثِر العرب[23] تعني: مكارِمُها ومفاخِرُها التي تُؤْثَر عنها، أي تُذْكَر وتروى، وآثَرَه أكرمه ورجل أَثِير، مكين مُكْرَم والجمع أُثَرَاءُ، وجمع الأثير أَثْراء، والمآثر ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل والإيثار للتّفضّل، وآثر أنْ يفعل كذا: فَضّل وقَدّم، وضدّه الأثرة من قولهم استأثر بالشّيء بما انفرد

به، أو اختصّ به نفسه، وجاء في التّنزيل قول الله تعالى:﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾، [يوسف:91]، والاستئثار: الانفراد بالشّيء. والمأثرة بفتح الثّاء وضمّها: المكرمة وآثرت فلاناً على نفسي من الإيثار، وهو الاختيار والتّفضّل، والأثرة عكس الإيثار، لأنَّ الأثرة تعني استئثار المرء عن أخيه بما هو محتاج إليه.

أما الإيثار اصطلاحاً: فهو تقديم الغير على النّفس في النّفع لهم والدّفع عنهم، وهو النّهاية في الأخوّة[24]، بشرط أنْ يأتي الفعل بعفويّة وطوعاً واختياراً دون تكلّف ومشقّة أو عناء، وهذا أصل الإيثار في الأخلاق[25]، بإيثار غيرك على نفسك بما يختص بك، وإنْ كان بك حاجة، وفي المعاملات أنْ تكون غايته اختيار رضا الله على رضا الغير في البذل، وإنْ كان ذلك الغير نفسك، ويقال[26]:آثرته بكذا؛ أي خصَّصته به وفضّلته، وأنّ هذا الإيثار لا يكون عن غنى، بل مع احتياجه الشَّديد له.

الإيثار شرعاً: التّفضيل والتّقديم قال الله تعالى:﴿**لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا**﴾، [يوسف:91]؛ أي: لقد فضّلك الله علينا، واختارك واختصَّك بالعلم والحِلم، والحُكم والعقل والملك[27]؛ وهو بمعنى يدل على تقديم الغير على النّفس من الحظوظ الدّنيويّة، ورغبة في الحظوظ الدّينيّة، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبّة والصبر على المشقّة.

أما الأثرة: لغة[28]: فهي من مادّة (أ، ث، ر) الّتي تدلّ على تقديم الشّيء، يقال: لقد أثرت بأنْ أفعل كذا، ومعنى: (الأثر) همّ في عزم، والمرأة الأثيرة، واستأثر فلان... بالشّيء أي استبدّ به، وقيل: استأثر بالشّيء على غيره: خصّ به نفسه، واستبدّ به. والاستئثار: الانفراد بالشّيء، وتطلق اصطلاحاً[29]: على معنى الاختصاص بالشيء للنّفس دون الغير، فهي مسعى متواصل للاستئثار بالخيرات كلّها، والأثرة خلق قبيح وطبع نابٍ يشين المرء، ويسيء إلى مكرمته وسمعته، وهي تجمع البخل والطّمع والحسد والجشع، والأثرة نقيض الإيثار وعكسه.

رابعاً- مراتب أو درجات الإيثار:

مراتب الإيثار عديدة: [30]، منها أنْ يخص المرء غيره بالشّيء، مع حاجته إليه، وهو مرتبة الإيثار، وعكسه الأثرةُ وهي استِئْثَارُهُ عن أخيه بما هو محتاج إليه، ومن الإيثار أنْ لا ينقصه البذل، ولا يصعب عليه، فهو

منزلة السّخاء، وأعلى مراتب الإيثار[31]، إيثار رضا الله ورسوله ﷺ على رضا النّفس وغيره أياً كان، حتى وإنْ تعرَّض المرء لنوائب الدّهر واشتدّت به المصائب والمحن في ماله وأهله وبدنه وأحبابه، وهذه المرتبة من درجات الأنبياء والرّسل عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام، ومن بعدهم الأصفياء الأمثل ثمَّ الأمثل، ولابد أنْ يكون إيثار الله على جميع الخَلْق والمخلوقات بمرضاته وحسن طاعته واجتناب ما نهى عنه، وحبِّه ولا يطلب سواه، فلا منجى منه ولا يلجأ إلا إليه، وهو بصنيعه هذا لا يبتغي من وراء ذلك إلاَّ مرضاة ربِّه حتى وإنْ أغضب الخلق، وإيثار محبَّة الدِّين عما سواه من الأقوال والأعمال كما جاء عن سَحَرَةِ فِرعون ومن آمن من قومه في قول الله: ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾، [طه : 72]، ويكون إيثار الغير على النّفس بكل أنواع الخير، وهو من شيم الأنبياء والمرسلين؛ من الوقت والجهد والعلم والمال والإحسان والخدمة وغير ذلك من صنيع المعروف، ومن وجوهه: أنْ ينسب إيثار العبد إلى الله تعالى، فهو المغدق على العباد بالنِّعم على وجه الحقيقة فهو المؤثر أيضاً، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[النحل: 18]، فينسب الإيثار إلي الله جلَّ وعلا، مع شكره على فضله وإحسانه وإكرامه. وقد أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ بالإيثار فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:9]، فثمَّة أوجه عديدة من التَّشابه بين معاني ألفاظ:(الإيثار والسّخاء والجود والكرم) ومجالات استخدامها إلا أنَّ بينها اختلاف في بعض الخصوصيّات المتعلقة بالمعاملات الإنسانيّة، وما يمكن بيانه أنَّ مجمل هذه المعاني تتجلَّى منها سمات عديدة يجعلها متداخلة ومتقاربة ومترابطة ومكمِّلة لبعضها البعض حسب التقسيم التالي:

الإيثار: العطاء دون إمساك بطيب خاطر ممّا آتاه الله من النِّعم والوقت والجهد والخيرات، ومن كل ما هو في أمس الحاجة إليه.

السخاء: أنْ يكون عطاء العبد دون مشقّة ولا عناء، وألَّا يصعب عليه فعل السّخاء، أو يؤثر على نفسه البذل أو العطاء.

الجود: عطاء من غير حدود من الأفضل، ويبقي اليسير ممَّا هو ضروري للنّفس والأهل.

الكرم: الإحسان بالعطاء للغير مدى الحياة، حتى وإنْ احتاج هو أو أهله ممَّا هو مُعطى.

1ــ إيثار الصَّبر عند المشقّة:

الصَّبر على تحمّل المشقّة ضرّ، كالصَّبر على الفقر لكن يكون حال صاحبه أغنى النّاس، فمن افتقر إلى الله تعالى اغتنى بمعزّته، وارتضى بما هو عليه حاله، أو بما أعطاه الله وهو غنى النّفس عمَّا عند النّاس من حظوظ، وعمَّا سوى الله، وذاك كله غنى القلب، وما ادخره الله له يوم القيّامة من النَّعيم المقيم، ومنه في باب العلم والتعلُّم ونحو ذلك، جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: أنَّ رسول الله ﷺ قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"[32].

2ــ إيثار الضُّر لحفظ الفروج على اقتراف المعصية:

يعد أعلى وأقوى معين على تقوية الإيمان، والسبيل إلى محبّة الله تعالى ومرضاته، لأنَّ فيه صلاح الدِّين والدُّنيا، وثمرة من ثمار الآخرة، وأعلى مراتب اليقين أنْ يؤثر المرء أنْ يقذف في النّار أحبّ إليه من أنْ يعود إلى الكفر والضلال، فعن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: "ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان؛ من كان الله ورسوله أحبّ إليه ممَّا سواهما، والرَّجل يحبّ الرَّجل لا يحبّه إلا لله، والرَّجل أنْ يقذف في النّار أحبّ إليه من أنْ يرجع يهودياً أو نصرانيّاً"[33].

وجاء في محكم البيان القرآني في قصة سيدنا آدم –عليه السَّلام وأُمّنا حواء– عندما دلَّهما إبليس عليه لعنة الله بغرور في قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ، [الأعراف:22،21]. والمثل الأعلى والأسوة الحسنة من بين عباد الله في المرسلين والأنبياء[34]؛ نبي الله يوسف – عليه السَّلام– فقد جاء عن ابن عبّاس – رضيَّ الله عنهما– قال: قالت: "امرأة العزيز ليوسف –عليه السَّلام– يا يوسف

إنّي كثيرة الدُّر والياقوت والزُّمرد فأعطيك ذلك كلّه، حتَّى تنفقه في مرضاة سيدك الَّذي في السَّماء"[35]، وزيادة على ذلك جاء النَّص الإلهي في حقها بقوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، [يوسف:23]، فنبيَّ الله يوسف عليه أفضل الصلاة والسَّلام أبعد أنْ يكون عن اقتراف الأعمال الخبيثة والفواحش الدنيئة ما ظهر منها وما بطن، ومن ثمّ تكون نفسه عفيفة ومصونة من الله جلّ وعلا من اقتراف محقِّرات الذُّنوب ومنكراتها، إذ قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، وما قابل الإحسان إلا بأفضل منه، وهو صون عرض سيده، ومن جانب آخر فإنّ الله تعالى مدحه وأثنى عليه بأعظم الأوصاف، بأنّه من عباده الطَّائعين في قوله تعالى:**﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾**، [يوسف : 24].

3ــ الإيثار المذموم:

يتعلَّق بإيثار الباطل على الحقّ، وهو على وجوه متعدِّدة، أساسه سمة إيثار الحبّ على الإرادة، ومنه إيثار حبّ الدّنيا على الآخرة، وهو من أسوأ ميول النّفس البشرية؛ لأنّ الآخرة خير وأبقى، وكذا الأمر عند صدّ العباد وتحفيزهم عن قبول الدّين وإتباع أمر الله، والبعد عمّا نهى عنه، كما جاء في وصف الكفّار في قول الله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾**، [إبراهيم:3]، أي أنّهم يمنعوا النَّاس من قبول دين الله تعالى، ومن تلك الصِّفات المذمومة[36]، جاءت في الوصف القرآني بقول تعالى:**﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾**، ومن ثمّ يكون الإضلال على مراتب منها: أنْ يسعى في صدّ الغير عن إتيان الخير، وأنْ يسعى في إلقاء الشُّكوكِ، والشّبهات في المذهب الحقّ، ويحاول تقبيح الحقّ بكل ما يقدر عليه من المكر والحيل، وهذا هو النّهاية في الضلال والإضلال[37]، وإليه أشار الله تعالى إلى أنّهم يطلبون الدُّنيا على طريق الميل عن الحقّ، من الجهة الأولى باقتراف الحرام، وهي أقصى مراتب الضلال، فإنَّ شرط الضدّين أن يكونا في غاية التَّباعدِ كالسَّواد والبياض، والوجه الثّاني هو أنّ المراد بعد ردّهم عن الضَّلال إلى الهدى، والثّالث أنّ المراد بالضَّلال: الهلاك، والتّقدير: أولئك في هلاك يطُولُ عليهم فلا ينقطع، وأراد

بالبعد: امتداده وزوال انقطاعه، ولذا فآثر غيره بذلك، أدَّى إلى هلاك نفسه، أو الإضرار بها، كمن كشف عورته، فمراعاة حفظ الفروج أحقّ وأولى على كل حال، فإذا سقطت هذه الواجبات صحّ الإيثار، ومنه عندما يسيطر إيثار الحبّ الفاحش على الإرادة والقلب، كما فعلت امرأة العزيز؛ وهو أعلى مراتب الضلال بالبعد عن طريق الحقّ ، فآثرت حبّ الضلال عن الهدى ، ومن ثمَّ توعدت سيدنا يوسف عليه السَّلام بالسِّجن في المرحلة الأخيرة ، وهو أبلغ وأشدّ العقوبات بحسب تقديرها، بعد أنْ يئست من إغوائه وإغرائه في نفسها وفي مالها، وفي ذلك جاء قول الله تعالى:**﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾**،[يوسف: 32]، فكانت إجابته أنْ آثر حبّ السّجن عن إتيان المعصية، وتلبية طلب سيدته، وهي آثرت شغف حبّها لغلامها عن صون عرضها، وعزّ سِيَادَتِها في بلاط سلطان الملك بين الخدم والحشم، وفي ذلك قال الله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**، [يوسف:33، 34]، كان يوسف –عليه السَّلام= رفيع النّفس قويّ الجأش وعظيم الخاطر، فامتنع عن فعل الفاحشة، وطلب من الله تعالى صرف السّوء عنه، وفوق كل ذلك اختار السّجن بما فيه من مشقَّات ومهانة وإذلال واحتقار وعذاب على الشّهوة الآنيّة المهينة الحقيرة التي يعقبها العذاب الأليم إذا خالف أمر الله، وحصل ذلك قبل أنْ يطلب من ربّه العليّ القدير أنْ يصرف عنه السّوء.

ومن أمثلة الإضلال ما صدر عن إمام الكفر: أبو لهب مسيلمة الكذّاب؛ فكان يصد أبا طالب عن قول لا إله إلا الله حين حضرته المنيّة، إذ كان يقول له أتسفِّه دين آبائك؟، بحضرة النَّبيّ محمد ﷺ، فقد نقل عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنّه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ لأبي طالب : أي عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله يوم القيّامة، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أميّة : أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟ فلمْ يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعاندانه بتلك المقالة

حتى قال أبو طالب آخر ما كلَّمهم به: على ملّة عبد المطّلب وأَبَى أنْ يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أمَا والله لاستغفرنَّ لك ما لمْ أنه عنك، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، [التَّوبة: 113]، وأنزل الله في أبو طالب: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**، [القصص:56].

كما أنَّ الإيثار في القرب أو التَّقرّب من الله جلّ وعلا مذموم، وغير مباح شرعاً لإسقاط حظ النّفس من الثَّواب للغير؛ لأنّها أمور خالصة لله تعالى تعظيماً وتشريفاً وإجلالاً دون سواه، جاء في الحديث عن سهل بن سعد ﷺ قال: أتي النَّبي ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم، وعن يساره أشياخ، فقال: "يا غلام أتأذن لي أنْ أعطيه الأشياخ" [38]، قال: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله فأعطاه إياه.

خامساً- سبب تقديم إيثار العاجل وعدم إيثار جزاء الآجل:

لإيثار حبّ العاجل أمور عديدة، منها على سبيل الاختصار الجهل ببقاء ما سيأتي عن جزاء الآخرة، وفضله على كل عاجل في الحياة الدُّنيا، كما أنَّ حبّ الإنسان للبقاء طبع في النَّفس الإنسانيَّة بمقتضى الإرادة الإلهيّة، وممَّا قيل عن ذلك إنَّ: "الإنسان مطبوع على حبّ البقاء، وإذا كان لا سبيل إلى بقائه بذاته، وكان يؤمن بذلك من مشاهداته، وصنيع الله في آبائه وأجداده وسائر الأحياء، فإنّه يرى أنَّ سبيله إلى البقاء إنّما هو النّسل المعروفة نسبته إليه يراه امتداد إلى بقائه، واستمراراً لذِكْراه وخُلُوداً لحياته"[39]، فإيثار الحياة الدُّنيا طبع غالب على الخلقة الإنسانيَّة[40]، فيما بيَّنه الله تعالى، وسوء تقدير مدّة البقاء في الحياة الدُّنيا، والأمل والطمع في طول العمر، وشغف الأنفس بحبّ ما في الدُّنيا من ملذات وسعادة آنيَّة زائلة، وقد بيَّن الله تعالى ذلك في محكم قوله:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، [آل عمران

: 14]. كما جاء في قوله تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى(17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى(18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾، [الأعلى: 16- 19]، كما أنَّ الشَّرَّ قَدِيمٌ في الطِّباعِ، بحسب ما جاء في القصص القرآني في قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾، [البقرة:30]، وبقصة ابْنَيْ أدم -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾، [المائدة: 27]. إلى قوله تعالى: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾، [المائدة: 30]، إضافة إلى ذلك ما يلمّ بالإنسان من نزغات الشيطان وإغوائه وتسويفه من حيث لا يدري، وجهل الإنسان بمقدرات أمره.

سادساً- فوائد الإيثار العمليّة للعالم والمُتعلم:

يربط الإيثار الصِّلة بين العباد؛ التي لا تنفصم عراها إذا كانت موثقة بالله، وكان العمل خاصاً لله تعالى، بالكلمة الطيِّبة لأنّها صدقة جارية إذ لا تنقطع ثمارها لا في الدّنيا ولا الآخرة؛ ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ: أنّ النَّبي ﷺ قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، وعلم يُنتفع به، وولد صالح يدعو له" [41]، وهذه الجوانب أرشد إليها الهدي النَّبوي الشريف، ومنه ما جاء عن عبد الله بن مسعود قال: قال: النَّبيّ ﷺ "لا حسد إلّا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحقّ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها" [42]، الإشارة للحسد في الحديث ليس زوال النّعمة من الغير وتمنيها للنَّفس، بل يدل على الغبطة بتمني ما عند الغير من النِّعم والخيرات والعلم للنَّفس دون تمنى زوالهما من الغير، بوقاية النّفس من مرض الشّح والإنفاق منه ابتغاء مرضاة الله وفي سبيله، والعلم النافع لكبح هوّى النّفس به وتعليمه للغير، فعن أبي موسى عن النَّبي ﷺ قال: "مثل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيَّة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها النَّاس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها

طائفة أخرى، إنَّما قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فَعَلِم وعلَّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به" [43]، وذلك يدلُّ على أنّ العلم مثل المطر الذي ينتفع به في الزّرع والضَّرع والمعيشة، ومنه من لا ينتفع به مثل المطر الذي يصيب الأرض التي تمتص الماء فلا ينتفع من وراءه إنسان ولا حيوان، ولا أرض بإنبات الزَّرع المثمر والكَلأ؛ تعبيراً عن الإنسان المتكبِّر الَّذي لا ينتفع هو بعلمه ولا ينفع به غيره بعد تحصيله.

فإيثار الحبّ والتَّواد بين النّاس بدل الكراهيّة والبغض والشُّحناء دليل على الإيمان والمحبّة الإلهية في الإسلام؛ هو السَّبيل لتقوية الرَّوابط والصِّلات الاجتماعيّة بين النّاس، فمن كمل إيمانه زادت محبَّته لله ورسوله والمسلمين أجمعين، فعن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ : "لا تدخلون الجنّة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا أولَا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السَّلام بينكم"[44]، وهذا الأمر من أيسر السبل للمحبّة الصّادقة، ويقصد بكمال الإيمان في الحديث لا يصلح ويستقيم حالكم إلا بالمحبّة والتّواد بينكم، ولا يسود بينكم إلا بالسَّلام على كافّة المسلمين ممَّن يَلقى أحدكم ويعرفه أو من لا يعرفه.

والبخل بالعلم من أسوا الرذائل وطباع النّفس الإنسانيّة، فقيل: "البَخلُ بالعلم ألأَمُ من الباخل بالمال، لأنّ الباخل بالمال أشْفقَ من فناء ما بِيَدِه، والباخل بالعلم بَخِلَ بما ينفى على النَّفَقة، ولا يفارقه مع البذل" [45]، كما أنّ من مفاسد هذا الطَّبع تضييع شكر المنعم بإحسان الله إليه بتفضيله على غيره ممَّن خلق واصطفاه وهداه إلى الطريق القويم، الَّذي سار على هديه الأنبياء والمرسلون الَّذين حفظوا الأمانة وأدوها على وجهها الأكمل.

سابعاً- تعلم العلم وفضائل تعليمه في الإسلام:

1ــ آداب طلب العِلم والتَّعَلّم:

يلتزم طَالب العلوم السمت الفاضل المحمود بخيرِ القول والفعل مع أُستاذه، مع حسن الاستماع قبل حسن التَّعلم والكلام، والإنصات الجيِّد والسؤال والمخاطبة والانتباه مع الفهم والحفظ واستيعاب ما يقال، مع أدب المجالسة وحسن الهيئة، وعدم التَّطاول على الأستاذ، ومداومة

الحضور وعدم اللَّغو، وكثرة الكلام في المجالس خاصّة قاعات الدَّرس ومجالس العلم، واحترام الأستاذ وإجلاله وصون حرمته وتوقيره والتَّلطُّف إليه؛ وفاءً لحقِّه العلمي ومنزلته الأبويّة العلميَّة، والتَّحلي بالأمانة العلميَّة وصدق القول ونقاء السيرة والسريرة، ورجحان العقل مع سداد الرأي والتَّبصر والبصيرة لينتفع بالصَّحيح ويفيد غيره بالأصلح، وفي ذلك ما نقل عن سفيان بن عيينة، قال: عمر بن عبد العزيز: "من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح "[46]. ولا يتحرَّج من السؤال وقول لا أعرف عندما يُسأل عن شيء لا يدرك كنهه، أو يصف ويقول ما لا يعلم؛ فكما يقال: نصف العلم: لا أدرى ومن ثمَّ يكون نصف ما يقابله: الجهل بقوله: يقال، وأظنُّ ونحو ذلك، فقد جاء عن عطاء بن يزيد اللَّيثي: أنّه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: سئل النَّبيّ ﷺ عن ذراري المشركين أي أطفالهم، فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين" [47]، فالواجب على المرءِ ألا يتكلف قول ما لا يعلم، فإنَّ من عِلْم المرء أنْ يقول لما لا يعلم: الله أعلم، والأسوأ من ذلك سوء العمل اعتقاداً بمحاسن الظُّنون من جميع المعارف والعلوم فلا محالة من الوقوع في المحظور.

2ــ منهاج طلب العلم:

سبيل البحث عن العلم لابد أنْ يكون من مصادره الأولى، والتَّدرج في طلبه مع التأني في ذلك لاستيعاب ما يُقرأ وترسيخه في المخيَّلة والقلب، وفي ذلك جاء قول الله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾، [الإسراء: 106]. وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾، [الفرقان:32]. والأصل في طلب العلم أنْ يكون بطريق التَّلقين والتَّلقي عن الأساتذة وشيوخ العلم من الأفواه مشافهة ومدارسة، لا من بطون الكتب والصحائف نقلاً وقراءة، فتعلم العلم كالصّنعة تحتاج إلى صانع متخصص ماهر، وهذا هو المنهج الإلهي في نزول الوحي على النَّبيّ الأميِّ محمد بن عبد الله ﷺ، وفي ذلك قال تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾، [القيامة: 16-19]، أي فاستمع لقراءة جبريل -عليه السَّلام- وأنصت له، دون أنْ تجهد نفسك وتحرِّك

به شفتيك إنْ كنت تخشى نسيانه؛ لأنّ الله تعالى قد اختصَّه بمزية رسوخ ما يوحى إليه دون عامَّة البشر، إذ أنَّ الله كفل جمعه وحفظه بقلب النَّبيّ ﷺ مع بيان تفسيره ومعانيه وحكمه وأحكامه، وفي مقابل ذلك من أحوال عامَّة النَّاس فإنَّ الأستاذ بمثابة مفتاح باب العلم الموصد.

وقد جاء في الهدي النَّبوي الشَّريف، عن رجاء بن حيوة عن أبي الدّرداء قال: "إنَّما العلم بالتَّعلم والحلم بالتَّحلم، ومن يتحرَّى الخير يعطه، ومن يتوقَّى الشَّر يُوقَّه..."[48]، ذلك كله يرشدنا لأهمية العلم للعالم والمتعلم، به يصل المرء للنَّجاة ويحصل له به الظَّفر بقطف ثمار خيري الدّنيا والآخرة، والفوز بالجنَّة والنَّجاة من النَّار، وجاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: أنَّ النَّبي ﷺ قال: "من يرد الله به خيراً يفهِّمه"[49]. فكثير ما يحفظ بعض طلَّاب العلم النُّصوص حفظاً أصمَّاً بالتَّحصيل الذَّاتي دون فهم المضمون والمعنى القريب والبعيد، وبالأخصِّ عند عدم فهم المعاني اللُّغوية المختلفة التي تتضمَّن مترادفات كثيرة، وممَّا قيل فيِ مثل هذه المواطن[50]:

(من لمْ يشافه عالماً بأصوله...فيقينه في المشكلات ظُنون)، (من أنكر الأشياء دون تيقن... وتثبَّت فمعاند مفتون)، (الكتب تذكرة لمن هو عالم...وصوابها بمحالها مَعجون)، (والفكر غواص عليها مخرج... والحقّ فيها لؤلؤ مكنون).

كما لا يؤخذ العلم من لا يفهم ويعي، أو يدرك قيمة ما يُعلِّمه للغير، وأَشَرّ من ذلك إنْ كان لا يَعْمل بما يَعلَم، كما لا يؤخذ عن السُّفهاء وأصحاب البدع والضَّلالة، وكذا إنْ كان غير صدوق ولو مازحاً، حتى وإنْ كان ما ينقل عنهم جميعاً هم أعلم النَّاس اعتقاداً، فقد جاء عن عبد الله بن مسعود قال:"لا يزال النَّاس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أكابرهم، فإذا جاء العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا"[51]. وقال بعض أهل العلم[52]: إنَّ الصغير المذكور في حديث عمر ﷺ وما كان مثله من الأحاديث: إنَّما يراد به الذي يستفتى ولا علم عنده، وإنَّ الكبير هو العالم في أي سن كان، وقالوا: الجاهل صغير وإنْ كان شيخاً، والعالم كبير المنزلة وإنْ كان حَدثاً، وأنشد الأبرش[53]، قائلاً:

تعلَّم فليس المرءُ يولد عالماً... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلٌ

وإنّ كبير القوم لا علم عنده... صغيرٌ إذا الْتَفَّتْ إليه المحافلُ.

ومن الشواهد أيضاً على ذلك أنَّ عبد الله بن عبَّاس ﷺ، كان يستفتى وهو صغير في مجلس من يفتيهم، وأنَّ معاذ بن جبل، وعتاب بن أسيد كانا يفتيان النَّاس وهما صغيرا السِّن، وولَّاهما رسول الله ﷺ الولايات مع صغر سنّهما، ومثلهما في العلماء كُثر، فالعلمِ لا يمنع أحداً حداثة سنِّه؛ لأنَّ الله تعالى يضعه حيث يشاء. وممَّا كتب في شروط تحصيل العلم[54]. أول العلم الإنصات، ثمّ الاستماع، ثمّ الحفظ، ثمّ العمل به، ثمّ النَّشر.

3ــ أهميَّة طلب العلم:

طلب العلم مزيّة عظيمة ومرتبة شريفة لها فضل كبير وخير كثير من بين سائر الأعمال، قال الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، [التوبة:122أي لتتعلم ولتتفقّه الطَّائفة المتأخرة مع رسول الله ﷺ عن النّفور في سرايا الجهاد في سبيل الله، وهذا يقتضي الحثّ على طلب العلم والنّدب إليه، دون الوجوب والإلزام وثوابه في مرتبة الجهاد، وطلب العلم إمَّا أنْ يكون فرضاً على الأعيان، كالصَّلاة والزَّكاة والصِّيام، وفي هذا المعنى جاء الحديث المرفوع عن أنس بن مالك قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم" [55]، فطلب العلم كونه فرض عين على كلِّ مسلم ومسلمة، لمعرفة ما أمر الله به وما نهى عنه، وإمَّا أنْ يكون فرضاً على الكفاية؛ لتحصيل الحقوق وحفظها، وإقامة الحُّدود والفَّصل بين الخُّصوم ونحو ذلك، إذ لا يشترط انقطاع جميع النّاس ليتعلمونه فتضيع مصالحهم الشّخصيّة وأحوالهم وأحوال الرَّعايا وتبطل معايشهم، ولذا وجب أنْ يقوم البعض منهم بالتَّعلم دون تعيين من الجميع، على أنْ يجتهد المتعلِّم منهم في طلبه وإيثار تحبيب العلم إلى نفسه؛ حتى تألفه ولا تحيد عنه.

4ــ فضل طلب العلم وتعليمه على العِبَادَة:

بطلبِ العلم والاجتهاد في تحصيله تكثر به الحسنات، وتمحوا به الخطايا وترفع به الدَّرجات، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: "إنَّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم، إنّ هذا القرآن هو حبل الله والنُّور المبين، والشفاء النَّافع عصمة لمن تمسَّك به ونجاة من

تبعه، ولا يعوجَّ فيقوم ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرّد، فاتلوه فإنّ الله يأجركم على تلاوته بكلِّ حرفٍ عشر حسنات، أمَّا إنّي لا أقول لكم الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ثلاثون حسنة" (56)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ: أنَّه قال: "قليل العِلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرءِ عِلماً إذا عبد الله، وكفى بالمرءِ جهلاً إذا أعجب برأيه، إنَّما النَّاس رجلان عالم وجاهل، فلا تُمارِ العالم ولا تُحاور الجاهل"(57)، وعن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال: رسول الله ﷺ: إنّ الله وملائكته وأهل السَّموات والأرضين حتى النَّملة في حجرها وحتى الحوت لَيُصلّون على معلِّم النّاس الخير" (58).

والواجب الإقبال على التَّعلم والتَّعليم؛ رغبة بما عند الله من الثَّواب والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون﴾، [الزمر:9]. ذلك للتَّحلي بأسمى فضائل العلوم، والتَّخلِّي عمَّا يدفع لأرذل الأخلاق والمعارف، وعن سعيد بن المسيب عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ : "يا أبا ذر لأن تغدو فَتُعَلَّمْ آية من كتاب الله خير لك من أنْ تُصلي مائة ركعة. ولأنْ تغدو فَتُعَلَّمْ باباً من العلم عمل به أو لم يعمل، خير من أنْ تُصلي ألف ركعة" (59)، وعن قتادة، قال: "باب من العلم يحفظه الرَّجل لصلاحِ نفسه، وصلاحِ من بعده أفضل من عبادة حول" (60).

5ــ الصّبر على تعلم العلم بعزة النّفس وكبر الهمّة:

الحرص والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله، بعيداً عن الكبر والتَّكبر، ساعياً أنْ يكون المرء بالغاً أرقى الدَّرجات بين الأقران، مع إخلاص النّية في ابتغاء مرضاة الله، حذراً من أنْ يتأمل به سبيلاً إلى نيل الأعراض النّفسية، وطريقاً إلى الأغراض الدّنيوية الماليّة، على أنْ يتعاهد العلم بالدراسة والمدارسة بين الحين والآخر، كي لا تنفلت معارفه، كما تنفلت الإبل من عقالها، وهذا أصل ذهاب العلم كما أشار إليه الحديث النَّبوي الشَّريف: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة إنْ عاهد عليها

أمسكها، وإنْ أطلقها ذهبت" [61]، ولفظ المعقَّلة، الإبل مشدودة الوثاق بالعقال وهو الحبل، على أنْ يستمر أو يتعاهد على شدّها وربطها، دون أنْ يفكها من عقالها؛ لأنّ الإبل أشد الحمر الأهليّة تفلُّتاً ونفوراً، أي وكذلك القرآن إذا استمر على تلاوته ودراسته بقي محفوظاً في قلب صاحبه، وإنْ أهمله وتركه نسيه وتفلَّت منه، وكذا المحافظة والحرص على الوقت والصَّبر على تعلم العلم وعدم الفزع والضَّجر عند مواجهة الصِّعاب، وألَّا ينفذ صبر المتعلِّم إذا استعصى عليه تحصيل العلم، واستغلق قلبه ولم يفتح الله عليه في علم من العلوم، أو فرع من الفروع، أو مسألة من المسائل، فقد ألمَّت ببعض الطَّالبين للعلوم كثير من المحن والشَّدائد في مقتبل تحصيلهم للعلم، لكنَّهم صبروا وجدُّوا واجتهدوا حتى وصلوا أعلى مراتب العلم، وبلغوا مصاف الأعلام المشاهير، من بينهم ما جاء عن العديد من صفوة العلماء ببعض التَّراجم والمصنَّفات وسير أعلام النُّبلاء منهم[62]: ابن الصَّلاح في المنطق، وأبو حامد الغزالي في علوم الدِّين وكُثر.

6ــ فضل العلم وفضائل العلماء:

جاء في باب العلم قبل القول والعمل، أنَّ عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: ذكر حديثاً قال فيه أنَّ النَّبيّ ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه قال: "أي يوم هذا فسكتنا حتى ظننَّا أنّه سيسمّيه سوى اسمه، قال أليس يوم النّحر قلنا بلى، قال: فأيِّ شهر هذا فسكتنا حتى ظننَّا أنَّه سيسمّيه بغير اسمه، فقال أليس بذي الحجّة قلنا بلى، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليبلغ الشَّاهد الغائب، فإنّ الشَّاهد عسى أنْ يبلِّغ من هو أوعى له منه" [63]، (البخاري. مصدر سابق، مجــ1، ص37). وذلك لقول الله تعالى:﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾، [محمد : 19]، فقد بدأ الله تعالى في محكم التَّنزيل بالعلم قبل العمل، ذلك يدل على فضل العلم وشرف مقداره ، كما كرّم الله تعالى العلماء وفضّلهم على كثير ممَّن خلق، فجعلهم من أصحاب الدَّرجات العالية من الملائكة والأنبياء قال تعالى:﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، [آل عمران: 18]، فقرن اسم العلماء باسم ملائكته، كما قرن اسم الملائكة باسمه فأوجب الفضل للملائكة بما أكرمهم به، فكذلك فضّل العلماء بما أكرمهم به من مثله، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**، [فاطر: 28]، فأبان أنَّ خشيته تكون بمزية العلم فقال تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**، [الزمر: 9]، وقد اصطفى الله تعالى رسوله محمد ﷺ بالقرآن الكريم واختصَّه بالعلم المبين، وامتن عليه بالفضل العظيم، قال تعالى:﴿**وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾**، [النساء: 113] وقال: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾**، [المجادلة:11]، وتتفاوت مراتب النَّاس في العلم والتعلُّم، وعن قتادة قال: "إنَّ في الحكمة مكتوباً طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واعٍ" [64]، ومن أبرز السِّمات المميِّزة للعلماء هو ما يمسك وحدتهم الصِّدق والموضوعيَّة والثَّبات، أو ما يعرف باتفاق هدفهم في إجراءاتهم المنهجيَّة وأسلوبهم العلمي، وبقوة الفضيلة وسلطانها في نفوسهم، فهم[65]، يتخلَّقون بها في مقابل غيرهم من عامّة النّاس، أصحاب المستويات الشائعة المبتذلة من الحياة العامَّة، لأنّهم لا يخشون إعلان جهلهم ولا تُجَاوز خصوماتهم السَّمت الحسن واللّباقة.

ثامناً- السَّعادة:

اختلفت تعريفات السَّعادة من شخص لآخر، ومن مجال إنساني آخر، ومن مجتمع إلى مجتمع لآخر، ومن عصر لآخر، وتختلف وسائل تحقيقها وتحصيلها من شخص لآخر، فتعرَّف السَّعادة لغة: من أصل مصدر الفعل: سَعدَ يسعدُ سعادةً فهو سعيد، وإجمالاً تعرَّف السَّعادة اصطلاحاً في العديد من الاتجاهات الفلسفيَّة العامَّة عند البعض منهم بأنَّها: "الفعل المطابق لأشرف فضيلة، وأشرف فضيلة هي فضيلة العقل النَّظري" [66]، ويرتبط الفعل النَّظري بتحصيل النَّفس لراحتها من الآراء والاعتقادات الصَّحيحة، أمَّا الجانب العملي فتتحصَّل عليه النَّفس من الأخلاق الحسنة والهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة والأعمال النَّافعة، ومن هذه الاتجاهات الفكريَّة القديمة على سبيل الذِّكر لا الحصر، التي تفرَّعت عنها المدارس الحديثة والمعاصرة، من أبرزها الآراء الأفلاطونيَّة التي أوضحت أنَّ السَّعادة

تتجلَّى في فضائل الأخلاق، وسمو النَّفس عن الرذائل، وتنحصر أمَّهات الفضائل الأخلاقيَّة في الحكمة والشّجاعة والعدالة والعفّة، إضافة لذلك فسعادة الفرد لا تصل إلى كمالها المطلق إلاَّ بعد مآل الرُّوح الإنسانيَّة إلى العالم الآخر، بينما بَيَّنَ مُجْمَل الاتجاه الأرسطي أنَّ السّعادة ما هي إلاَّ بخت أو حظٌّ من الله ، تنحصر في جوانب خمسة ترتبط بصحّة البدن، الثَّروة، النّجاح في الحياة، العقل الرَّاجح، والسُّمعة الطيّبة، إلا أنّ بعض الاتجاهات الفلسفيّة القديمة الأخرى أضفت على هذه الجوانب شروط أساسيّة؛ من بينها الفلسفة الأبيقوريّة التي اشترطت لذّة الجسد لحصول السَّعادة، لأنّ الرّاحة في اعتقادهم أعلى درجات السَّعادة التي تتحقق عن طريق اللّذة أو المتعة، أمَّا الفلسفة الرُّواقيّة فاشترطت ضرورة القناعة لحصول السّعادة، وتابع هذه الاتجاهات الفلاسفة والمفكرين المسلمين(67)؛ إلاَّ أنَّهم أضافوا لأراء من سبقهم بعض الجوانب التي تتعلَّق بالعقيدة، فقالوا السَّعادة تتحقق عندما يصل المرء إلى حالة من التَّوازن بين متطلَّبات البدن والرُّوح، مع شرط التّكامل والتّوازن بين متطلَّبات الإنسان الفرد، وبين متطلَّبات المجتمع، وبين مقتضيات الحياة الدِّنيويَّة للإنسان، وبين عمله لتحقيق مآله في الآخرة، ولذلك فقد بيَّنوا أنّ الدَّار الدُّنيا لا محالة زائلة، وهي دار الفرار، والسَّعادة فيها آنيّة وناقصة، ومن ثمَّ فهي مطيّة لصلاح الإنسان في آخرته وظفره بالخلود في الجنّة التي هي دار القرار، إضافة إلى ذلك فقد تعدَّدت الدِّراسات حول السَّعادة، وامتدت إلى علماء النَّفس وعلوم عديدة بهدف بلوغ الفرد العيش بسعادة وسرور أولاً، وثانياً لتحقيق الجانب التأمُّلي المعرفي للوصول إلى مرحلة الشُّعور والإحساس بالرِّضاء التَّام، وهو أعلى درجات السَّعادة، ولذلك اتَّفقت أغلب الاتجاهات الفكريَّة على أنَّ السَّعادة الدِّنيويَّة إمَّا أنْ تكون قصيرة المدى تستمر لفترات قليلة من الزَّمن، وأخرى طويلة المدى وكلاهما لا تدومان، والسعادة القصوى في الشدة والمدة لا تكون إلا في الآخرة.

تاسعاً- بلوغ مراتب السَّعادة القصوى:

تحصيل السَّعادة لا يكون إلا ببلوغ الحكمة؛ لأنَّ فيها كمال النَّفس وسعادتها، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، [البقرة :

269]، حصول اللَّذة والسُّرور بقدر تحصيل اليقين العلمي، وبلوغ رتب العلم العالية خاصَّة في مقتبل العمر، فأسمى مكسب في عاجل حياة الإنسان في الدُّنيا، ومطيّته لبلوغ مَعاده وسعادته بالإيمان الصادق والطّاعة والخلود في الجنَّة بالآخرة، وأعلى مراتب السَّعادة العمل بما علم من الخير، وفي كل الأحوال فبلوغ العلم الصَّحيح يجر أو يقود صاحبه إلى السَّعادة، وينجّيه من النَّار ويدرك به بلوغ الجنّة، ولذلك قيل: "إنَّ شرف الشَّيء، إمّا لذاته أو لغيره، والعلم حائز للشَّرفين جميعاً، لأنَّه لذيذ في نفسه، فيطلب لذاته، ولذيذ لغيره فيطلب لأجله، أمَّا الأول فلا يخفى على أهله أنَّه لا لذَّة فوقها؛ لأنَّها لذَّة روحانيَّة وهي اللَّذة المحضة، أمَّا اللَّذة الجسمانيَّة فهي دفع الألم في الحقيقة، كما أنَّ لذّة الأكل دفع ألم الجوع، ولذّة الجماع دفع ألم الامتلاء، بخلاف اللَّذّة الروحانيَّة فإنّها ألذ وأشهى من اللَّذائذ الجسمانيَّة، ولذا كان الإمام أبو حنيفة –رحمه الله– يقول: لو يعلم الملوك ما نحن فيه من لذّة العلم لحاربونا عليه بالسّيوف" [68]، وعن أبي هريرة ﷺ، أنَّه قال: يا رسول الله ﷺ، من أسعد النّاس بشفاعتك يوم القيَّامة؟ قال: "لقد ظننت يا أبا هريرة أنَّه لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، إنَّ أسعد النّاس بشفاعتي يوم القيَّامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه"[69]، ولا يعقل كلمة التَّوحيد عِلماً وعملاً بالخشية والمراقبة إلَّا كامل العلم وأبصر النّاس بالحقِّ واليقين بالله تعالى، ومصداق ذلك لما قال: رسول الله ﷺ: "يا عبد الله بن مسعود. قلت: لبيك يا رسول الله، ثلاث مراراً. قال: أتدري أي النَّاس أعلم؟. قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أعلم النّاس أبصرهم بالحقِّ إذا اختلف النَّاس، وإنْ كان مقصِّراً في العمل"[70]. فيرتبط الرِّضا النَّفسي بالسَّعادة بعلاقة تلازم وثيقة، فجاء في محكم البيان قوله تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾، [الضُّحى: 5]، اللّهم قَنِّعْنَا بِمَا رزقتنا، وأنفعنا بما علَّمتنا، ومن العمل ما تَرْضى، وآتي نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زَكَّها، أنت وليّها ومولاها، ونصلِّي ونسلم على من كان رحمة للعالمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

الخاتمة:

نخلص من مجمل ما سبق تناوله إلى النتائج التالية:

1ــ مناط التَّكليف العقل ولا يتصور فعل أيّ شيء أو تركه أو حبّه أو بغضه دون العقل؛ لذلك أوجب الله تعالى على عباده معرفة كل ما أمر به ونهى عنه، لأنَّ الجاهل قد يقع في الخطأ ويعمل بالمنكر، ويرشد الغير إلى تعلم أو فعل الخطأ، فالعلم زاد العباد في كل مطلوب من خيري الدُّنيا والآخرة، سواء في العون على نيل المعاش، أو بلوغ السَّعادة القصوى في المعاد، فلا يكون صلاح ابن آدم إلاَّ بالعلم؛ فمن صلح عِلمه بلغ مَطلبه، ورسخ يقينه، وكمل إيمانه.

2ــ الإيثار عموماً إعطاء نصيبك غيرك تبرعًّا من نفسك، وأعلى مراتبه في الحياة العامّة تقديم رضا الخالق على كل مَخلوق وكلَّ شيء، والعمل من أجل الحياة الآخرة الباقية، وتفضيل ذلك على الحياة الآنيّة العاجلة، لأنَّ الَّذين يحبون ويؤثرون الحياة الدُّنيا على الآخرة أولئك هم الخاسرون، ومن الإيثار حبّ العلم تعلُّماً وتعليماً على الانقطاع بالاشتغال بأمور الدُّنيا ومكاسبها.

3ــ الإيثار أسمى الفضائل التي بُنيت عليها مكارم الأخلاق النَّبيلة، التي طبع عليها الأنبياء والمرسلين، فهو من شيم المتَّقين، التي هدي إلى التَّحلي بها من اقتفى بهديهم من سائر الخلق أجمعين إلى يوم الدِّين.

4ــ للإيثار أهميَّة بالغة وضرورة في الحياة الإنسانيَّة، فهو من صفات الكمال والإحسان بمجاهدة النَّفس والمراقبة؛ لا خوفاً ولا طمعاً، وحالة من حالات اليقين بالله تعالى، بأنَّه هو الميسِّر والمعطي والمانع، وإنَّ ما عند العبد ينفد، وما عند الله خير وأبقى، فمن ترك شيئاً لله متيقناً بذلك لم يجد فَقْدَه، لأنَّ ذلك ممَّا يدخر له عنده؛ سيجده لا محالة عند الحاجة والضيق.

5ــ ينمِّي الإيثار في النُّفوس وازع الرَّحمة والمودَّة بين الأستاذ والمتعلِّم والنَّاس جميعاً، فهو يحبِّب التَّضحية والإحسان والتَّرابط والمواساة للغير، ويغرس في النُّفوس قوة الثِّقة بالله، ويجعل المرء صابراً في البأساء والضرّاء، وكذا في أحوال المشقَّة والرَّخاء والضيق والابتلاء.

6ــ إيثار التعلُّم يقوِّي محبَّة الإخلاص في العمل لله تعالى، وتوكيد المحبَّة الإلهية للمتعلم، ويُعلِّم الإنسان التوَّكل على الله

تعالى، في كل أموره الحياتيّة؛ ومن ثمّ يجود بالغالي والنَّفيس حتى وإنْ كان في أمس الحاجة إليه.

7ــ السفر للأمصار والغربة عن الدِّيار والأوطان في سبيل العلم، من بين أنبل وأشرف السبل لتحصيله تعلماً وتعليماً بالمشافهة والمحاكاة؛ لأنَّ التَّلقين له فوائد نفيسة، وغايات جليلة فهو أقوى للنَّفوس استحكاماً وتثبتاً ويقيناً على أنْ يتمَ تحصيله بالقيد في القرطاس، والصَّيد في الرّأس، كما جاء في القول المأثور أنّ: العلم صيد والكتابة قيد، وما كُتب قَرّ، وما لم يكتب فَرَّ.

8ــ أنْ يُطلب العلم لشرفه وكمال منزلته بين سائر مطالب الحياة الدُّنيا، به يُزكِّي المرء نفسه من دنس الأخلاق الذَّميمة، وينال به شرف أولي العزم من الرُّسل والأنبياء، وأعلى الهمم من درجة الأصفياء، ومراتب السُّعداء الَّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

9ــ ينبغي ألَّا يضع المتعلِّم نصب عينيه مطلباً دنيوياً بالدَّرجة الأولى عند تحصيله للعلم؛ حتى لا تستعبده شهواته، وحاجاته النَّفسيَّة ومطالب جسده الآنيَّة، ويكون سجين نفسه، ويخور عزمه وهمَّته، ويضيع عمره بحصوله على المنخول من المطلوب، بل الواجب عليه أنْ يعي ويُدْرِك أنَّ الغاية من العِلم والتَّعليم والتَّعلم في أي علم من العلوم؛ بأنَّها غاية الغايات ليس بعدها مطلب، ولا أعلاها غاية أخرى، ومن ثمَّ فهي مبلغ الكمال والسَّعادة في الدَّارين، والسبيل لتحصيل الجِنان والنَّجاة من بلوغ الدَّرك الأسفل من النِّيران بمعرفة الله سبحانه وتعالى حقَّ المعرفة، بعلم اليقين دون ريب أو شك أو ظنون.

هوامش البحث ومراجعه:

القرآن الكريم برواية الإمام حفص عن عاصم.

(1) وهبة، مراد، المعجم الفلسفي،ط3، دار الثَّقافة الجديدة، القاهرة، ص308.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصَّحيح المختصر، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407ه – 1987م، ، مجـــ1، ص222، حديث رقم: 589.

(3) ابن منظور، محمد ابن مكرم، لسان العرب، دار الحديث القاهرة، د. ط،

1423ه – 2003م، مجـــ3، باب الخاء، ص197.

(4) ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرَّازي، أبو الحسين: معجم مقاييس اللُّغة؛ طبعة دار الفكر، لبنان، بيروت، د ت، ص: 329.

(5) ابن منظور، مصدر سابق، مجـــ8، باب النّون، ص714.

(6) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407ه – 1987م، مجـــ1، ص346.

(7) النِّسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النِّسائي الكبرى. تحقيق: عبد الغفَّار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1411ه – 1991م، مجـــ6، ص52.

(8) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السَّعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1410ه، مجـــ4، ص102. حديث رقم: 4419.

(9) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـــ2، ص262، حديث رقم: 1573.

(10)كتاب: أرشيف ملتقى أهل الحديث، مجـــ 12، ص ص153 – 154. تمَّ تحميل الكتاب: في 7 رمضان 1429 هـــ = 7 سبتمبر 2008م، ويضم هذا الجزء: المنتديات: الطَّريق إلى طلب العلم. الدُّروس الصَّوتيَّة. شؤون الكتب والمطبوعات.الرُّواية. طالبات العلم الشَّرعي، استراحة الملتقى. رابط الموقع: http://www.ahlalhdeeth.com، أضاف الكتاب للمكتبة الشَّاملة: عبد المجيد أبو مريقة، بتاريخ: 8-2009م.

(11) البخاري، صحيح البخاري ، مصدر سابق، حديث رقم: 970.

(12) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النّمري، جامع بيان العلم وفضله، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الرَّيان، دار ابن حزم، ط1، 1424ه – 2003م، مجـــ2، ص117. فقرة

رقم: 833، مصدر الكتاب: المكتبة الرقميَّة، الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي.

(13) ابن بهادر، بدر الدِّين أبي عبد الله محمد بن جمال الدِّين، النُّكت على مقدمة ابن الصلاح، (الزركَشي)، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السَّلف، الرِّياض، ط1، 1419هـ - 1998م، مجـ1، ص144. المكتبة الشَّاملة. الكتاب موافق للمطبوع.

(14) القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك النّيسابوري، الرَّسالة القشيريَّة في علم التّصوف، تحقيق ودراسة: هاني الحاج، د ط، المكتبة التَّوفيقية، القاهرة، د ت، ص112.

(15) أبو الحسين أحمد بن محمد النوري الخراساني البغوي، توفى سنة 235ه، على وجه التَّقريب، الزَّاهد، شيخ الطَّائفة الصُّوفيّة بالعراق في عصره، وأحذقهم بلطائفهم، وله عبارات دقيقة بعيدة من انحرافات البعض منهم. ينظر:(الذَّهبي) شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النُّبلاء، تحقيق: مجموعة بإشراف: شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرِّسالة، 1405 هـ - 1985م، مجـ14، ص70، موافق للمطبوع، المكتبة الشَّاملة).

(16) ابن قدامة: أحمد بن عيسى بن عبد الله، المقدسي الصَّالحي الحنبلي(605 - 643 هـ = 1208 - 1245 م)، من حفاظ الحديث، دمشقي المولد والوفاة، له كتاب في: (الرَّد على محمد بن طاهر القيسراني)، في إباحته السَّماع، وله: (تعاليق في مجموعة من التراجم في: 55 ورقة، ضمن مجموع: 104 ورقة، في المخطوطة الظَّاهريّة.

(17) ابن قدامه، عبد الله بن أحمد المقدسي، إثبات صفة العلو، تحقيق: بدر عبد الله البدر، الكويت، الدَّار السلفيّة، ط1، 1406ه، مجـ1، ص79.

(18) ينظر: العسكري، أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل، الفروق اللُّغوية. تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار

الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص142. فقرة: 296.

(19) البخاري، صحيح البخاري ، مصدر سابق، جـ1، ص1.

(20) التّرمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، الجامع الصَّحيح، (سنن التّرمذي)، ب ت (مجـ9، ص429)، حديث رقم: 2705. المصدر: موقع وزارة الأوقاف المصريّة الموقع، http://www.islamic-council.com. تاريخ الزِّيارة: 12/20/ 2018م. السَّاعة: 24:15 P.M.

(21) النِّسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النِّسائي، المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتّاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، ط2، 1406 – 1986م. مجـ8، ص115.حديث رقم: 5017. ورواه البخاري، ومسلم.

(22) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مجـ4، ص5.

(23) ابن الأثير، مجد الدِّين أبو السَّعادات المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرَّسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط1، مكتبة الحلواني، مطبعة الملَّاح، مكتبة دار البيان، 1390 ه، 1970م، مجـ1، ص319.

(24) العسكري، الفروق اللُّغوية، مصدر سابق، ص 143.

(25) الكاشاني، عبد الرزاق بن جمال الدِّين السمرقندي، معجم اصطلاحات الصُّوفيّة، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد العال شاهين، القاهرة، ط1، 1423ه – 1992م، دار المنار، ص256.

(26) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، الباب الأول، مجـ1، ص:6253.

(27) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مجـ1، ص26، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، مجـ 9، ص263.

(28) عبد القادر الرَّازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصَّحاح، تحقيق: محمود

خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415 – 1995، مجـــ1،ص2.

(29) موسوعة، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ﷺ ، أعدها: عدد من المختصين، إشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنَّشر والتَّوزيع، جدة، المملكة العربيَّة السعوديّة، ط4، (د ت)، مجـــ9، ص3771.

(30) ابن قيم الجوزيَّة، مُحمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد، تهذيب مدارج السَّالكين، تهذيب: عبد المنعم صالح العربي، بيروت، مؤسسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط5، 1416هـــ – 1996م، مجـــ2، ص641 – 642.

(31) القرطبي، شمس الدِّين، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، مصدر سابق، مجـــ1، ص:6253.

(32) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن شدَّاد بن عمرو، سنن أبى داود، طبعة دار الفكر، ب ت، مجـــ2، ص612. حديث رقم: 4609، قال: الألباني: صحيح، موقع وزارة الأوقاف المصريّة، جمعية المكنز الإسلامي.

الموقع:-http://www.islamic council.com. تاريخ الزِّيارة: 12/21/ 2018م. السَّاعة: P.M.23:45.

(33) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـــ2، ص235.

(34) ينظر: الحسن الرَّازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، تفسير الفخر الرَّازي، المشتهر بالتَّفسير الكبير ومفاتيح الغيب، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التّفاسير]، الباب تفسير سورة الأحزاب، د ت، مجـــ3، ص211. وينظر نفس المصدر: مجـــ9، ص 21.

(35) ابن قدامه، إثبات صفة العلو، مرجع سابق، مجـــ1، ص79.

(36) الألوسي، شهاب الدِّين محمود ابن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، الباب الأول، مرجع سابق، مجـــ9، ص313.

(37) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، معرفة الصَّحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزَّازي، الرِّياض، دار الوطن للنَّشر، ط1، 1419 هـ - 1998م، مجـ5، ص2598. فقرة رقم: 6262.

(38) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـ2، ص829، حديث رقم: 2224.

(39) شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة. دار الشّرق، ط10، 2010، ص ص138 - 139.

(40) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطُّوسي، إحياء علوم الدِّين، وبذيله كتاب: المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، لزين الدِّين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي، تحقيق: أبو حفص سيد إبراهيم بن صادق، القاهرة، دار الحديث، د ط، 1998م، مجـ3، ص352 - 363.

(41) التّرمذي، سنن التّرمذي، مصدر سابق، مجـ3، ص660، حديث رقم: 1376.

(42) البخاري، الجامع الصّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـ1، ص47، حديث رقم: 15. وأخرجه: مسلم: في صلاة المسافرين باب من يقوم بالقرآن ويعلّمه. حديث رقم: 816.

(43) البخاري، الجامع الصّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـ1، ص42، حديث رقم: 79.

(44) مسلم، الجامع الصَّحيح المسمى صحيح مسلم، دار إحياء التُّراث العربي، ب. ت، مجـ1، ص74. حديث رقم: 93.

(45) ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي أبو محمد، مداواة النُّفوس وتهذيب الأخلاق والزُّهد في الرَّذائل، تحقيق: إيقا رياض، مراجعة وتقديم: عبد الحق التُّركماني، دار ابن حزم للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1421ه - 200م، ص89.

(46) القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري، جامع بيان العلم وفضله، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الرَّيان – دار ابن حزم، ط1، 1424ه – 2003م ــ مجـــ1، ص66، مصدر الكتاب: المكتبة الرقميَّة، [الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي].

(47) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجــ1، ص465، حديث رقم: 1318.

(48) ينظر: البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجــ7، ص398، حديث رقم: 10739.

(49) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجــ1، ص24، حديث رقم: 67.

(50) التِّلمساني، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيِّب من غصن الأندلس الرَّطيب، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ب ط، 1968، مجــ4، ص329. الكتاب موافق للمطبوع، أضافه للمكتبة الشَّاملة: عبد المجيد أبو مريقة، 8–2009م، الأبيات نقلاً عن: أبو العبَّاس ابن العريف الأندلسي. وفي هذه المعاني لــ: عبد الرحمن بن خلدون مبحث نفيس جاء ذلك في: مقدَّمة كتابه العبر.

(51) القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق، مجـــ1، ص315.

(52) المرجع السابق، (مجــ1، ص314).

(53) الأبرش سلمة بن الفضل الرَّازي، أبو عبد الله، توفى في نهاية القرن الثَّاني الهجري قرابة:(000 – 191 هــ = 000 – 807 م)، الإمام، قاضي الرَّي، حدث عن: ابن إسحاق، وأيمن بن نابل، وعمرو بن أبي قيس، وسفيان الثَّوري، وطائفة عدَّة. ينظر: الذَّهبي، شمس الدِّين أبو عبد الله محمد، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرِّسالة، ط3، 1405 هــ – 1985م، مجــ9، ص 49– 50.

(54) ابن حبان، محمد البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، دار

الكتب العلميَّة، بيروت، تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد، 1397ه – 1977م، مجـــ1، ص34. المكتبة الشَّاملة، ملاحظة: الكتاب موافق للمطبوع.

(55) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـــ2، ص254، حديث رقم: 1544.

(56) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـــ2، ص324 – 325، حديث رقم: 1786.

(57) القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، باب تفضيل العلم على العبادة، مرجع سابق، مجـــــ1، ص50.

(58) التِّرمذي، سنن التِّرمذي، مصدر سابق، مجـــــ5، ص50، حديث رقم: 2685.

(59) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مصدر سابق، مجـــــ1، ص79، حديث رقم: 219.

(60) أبو عمر، جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق، مجـــــ1، ص57.

(61) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـــــ4، ص1920)، حديث رقم: 4743. وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب فضائل القرآن وما يتعلق به حديث رقم: 789.

(62) ينظر: عن: ابن الصَّلاح، في كتب التَّراجم منه: الفهرست: ص303، الأنساب: مجـــ7، ص244، معجم البلدان: مجـــ3، ص309، اللُّباب: مجـــ2، ص174، وفيات الأعيان: مجـــ4، ص ص200 – 201، طبقات السَّبكي: مجـــ3، ص ص200 – 222، النُّجوم الزَّاهرة: مجـــ4، ص111. وعن ترجمة، أبو حامد الغزالي؛ ينظر في: مرآة الجنان 3 / 69 – 70، شذرات الذَّهب، مجـــ3، ص283، الذَّريعة، مجـــ4، ص429، روضات الجنَّات: ص ص 579 – 580، إيضاح المكنون،مجـــ1، ص ص70، 71، 102، 205، 320، أعيان الشِّيعة، ص ص46، 160.

(63) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـــ1، ص37، حديث رقم: 67.

(64) المصدر السابق، مجـــ2، ص278، رقم 1620.

(65) قنصوة، صلاح، فلسفة العلم، دار قباء للطِّباعة والنّشر والتَّوزيع، القاهرة، ب ط، 1988م، ص73.

(66) وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص220.

(67) عبد الفتاح، سيد، السّعادة كما يراها المفكرون، لبنان: مؤسسة عز الدِّين للطّباعة والنّشر، د ت، ص5 – 19.

68) القنّوجي، بو الطَّيب السّيد صدّيق حسن، الحطّة في ذكر الصّحاح السّتة، دار الكتب التَّعليميّة، بيروت، ط1، 1405هـــ – 1985م، مجـــ1، ص8.

(69) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـــ1، ص49.

(70) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـــ7، ص69.

أزمة الخطاب السوسيولوجي العربي

د. أبوحرارة محمد عبدالسلام
كلية الآداب/جامعة الزاوية

مقدمة:

إنَّ الخطاب السوسيولوجي العربي ومفاهيمه الموظَّفة في الخطاب العربي الحديث والمعاصر، هو خطاب مستقى إمَّا من الماضي العربي الإسلامي، أو من الفكر السوسيولوجي الغربي، حيث تدل تلك المفاهيم في كلتا الحالتين على واقع ليس هو الواقع العربي الراهن واقعاً مستنسخاً، إمَّا من صورة الماضي الممجَّد، أو من صورة الغرب المتحضِّر.

لهذا اتسم الخطاب الذي استند إلى تلك الخلفيات الفكرية بالعقم؛ لأنَّه يخاطب العاطفة ولم يخاطب العقل العربي، متأثر بالظروف المحيطة به الداخلية والخارجية، وسيطرة الخطاب الدولي عليه في تسارع العولمة في منظومات الإعلام والصحافة.

لذلك يجب أنْ يكون هدف علم الاجتماع يتجه بشكل أكبر نحو إفساح مكان للفرد وحركته وفعله في الصياغات السسيولوجية، فالحياة اليومية لها خطابها الخاص المبني على المعرفة والوعي، الذي بدوره يجعل الحياة اليومية قادرة على التنظيم، فهي وعاء لتخزين المعرفة والمعلومات حسب التكوين الجمعي للفرد أو الجماعة، أو انتمائها الفئوي أو الطبقي أو المهني، ونوعية هذا الوعي وطريقة ظهوره والشروط الملازمة له.

فالأفراد في حياتهم اليومية عندما يتحدثون أو يتبادلون وجهات النظر فأنَّهم يعبِّرون عن وجهة نظر معيَّنة، ومن خلال تفاعلهم فإنَّهم يكتبون خطابهم الخاص لهم وبذلك فهم يعبرون عن أنفسهم من خلال مضمون هذا الخطاب، إذاً فالحياة اليومية تأخذ معنى مختلف حيث الخطاب له بعده التاريخي الذي يحتوى على الجوانب العقلانية والانفعالية، وتتأثر الحياة اليومية في المجتمع العربي، الذي تتشكل فيه الطبقات المسيطرة الطرف الأقوى من توجهاتها الرأسمالية التي تجعلها لا تخضع لضوابط محلية فقط، بل تخضع لضوابط

عالمية أيضاً ضمن ثقافة تبدأ في مركز العالم الرأسمالي، وتزداد تعقيداته كلما اتجهت نحو الحياة اليومية للمجتمعات العربية، فهي عندما تنزل للمجتمعات العربية المحيطة تخلط بالأطراف النظامية والثقافية الداخلية، وتخلق شبكة معقَّدة من الضوابط[1].

كما ساعدت مرحلة الاستعمار في ظهور وتعدُّد أنواع الخطاب العربي الذي كان يدعو في تلك المرحلة للجهاد عن الأرض والعرض والدين، حيث لم تتبلور لغة الخطاب بعد، ومع ظهور الحركات الإصلاحية في مواجهة عوامل التخلف والتبعية السائدة في أرجاء الوطن العربي بدأت تظهر بعض الصحف والجمعيات والأصوات الفردية، يمثلها العديد من المفكرين في مختلف الاتجاهات الوطنية والقومية والدينية وكتابات المستشرقين عن الإسلام، وحركة بعض القبائل في الوطن العربي، وإجراء البحوث والدراسات على هذه القبائل والتجمعات السكانية.

ومع تصاعد حركات التحرير في الوطن العربي المطالبة برحيل الاستعمار، أصبحت لغة الخطاب السوسيولوجي تتبلور عند ظهور عدد من المفكرين، تناولوا القضايا العربية كل حسب التيار المتأثر به، فكان الخطاب يأخذ عدَّة مناحي بعضها ركز على الخطاب السلفي، والبعض الآخر على الخطاب القومي والخطاب المشترك الذي أخذ بالجانب القومي والديني معاً، باعتبار العرب يجمعون بين القومية العربية والدين كرسالة نزلت عليه في الجزيرة العربية، أمَّا الخطاب السياسي فقد ركز على قضايا تتمحور حول السلطة الحاكمة، وما اقترحته من قضايا وطنية أو قومية أو مشاريع تنموية داخل المجتمع، وكيف وجهت الخطاب إلى الأفراد والجماعات بقبول ودعم تلك القضايا ومراحل النجاح والإخفاق في كثير منها، لذا كان الخطاب السوسيولوجي كثيراً ما يخاطب العواطف ولا يتأسس لمرتكزات علمية يخاطب العقل ويبني فيها الإنسان، إضافة إلى هيمنة الخطاب العالمي بكل وسائله الإعلامية والمعلوماتية، وسيطرة الرأسمالية العالمية على هذا القطاع؛ ممَّا أضعف الخطاب العربي الذي لم يتجاوز الأيديولجيات المتصارعة، فجاء انعكاساً واضحاً للخطاب الرأسمالي العالمي.

وبناءً عليه تحاول هذه الورقة البحثية من خلال عرض استنباطي أنْ تقدِّم تحليلاً

سوسيولوجياً لتطور لغة الخطاب السوسيولوجي في المجتمعات العربية، وأزمة الخطاب في ضوء الأزمة الأيديولوجية التي تعاني منها المجتمعات العربية وفقاً للمحاور التالية:

- ماهية الخطاب السوسيولوجي.
- أزمة الخطاب السوسيولوجي العربي .
- الخطاب السوسيولوجي العربي وأزمة الأيديلوجيا .
- صور الخطاب السوسيولوجي العربي.

المحور الأول : ماهية الخطاب السوسيولوجي.

(1) ماهية الخطاب السوسيولوجي:

يعرف الخطاب بأنَّه الخطاب الذي يقوم على عملية توجيه الحديث، أو الكلام لشخص أو لمجموعة من الناس بغرض إيضاح فكرة معيَّنة، ويستخدم في مجالات مختلفة، منها الأدبية والعلمية والشعرية والفنية والسياسية، وفن الدعاية لمختلف عمليات التسويق والتجارة، ويتم تحليله بمناهج عديدة، وله أنواع عديدة كاللفظي وغير اللفظي.

الخطاب لغاً: بأنَّه مصدر للفصل، وقد جاء من كلمة الخطب أو المخاطب عظيم أو جلل.

أمَّا الخطاب اصطلاحاً فهو: مواجهة الآخرين بكلام قد يكون على شكل رسالة أو محاضرة أو تسجيل أو نص معيَّن، وقد يتعدَّى الكلام إلى رموز وتنوع أشكاله، فمنه اللفظي الذي يستخدم اللغة كأداة، وغير اللفظي الذي يستخدم العلامات والإشارات والإيحاءات، ويأتي هذا المصطلح مرادفاً لكلمات كثيرة، كالكلام في اللغة والرسالة والحديث والأطروحة والنص والسرد، ويعرِّفه البعض على أنَّها رسالة يقدمها مرسل، ويستقبلها متلقي.

أمَّا سوسيولوجياً فهو: منهج الحديث في المواد المشكَّلة من عناصر متميزة ومترابطة، سواء كانت لغة أو شيء شبيه باللغة، أو أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوي ومستمع، وفي نية الراوي التأثير على المتلقي.

يهدف الخطاب السوسيولوجي إلى وصف التعابير اللغوية بشكل صريح، يعبِّر عن الوضع الاجتماعي بالإضافة إلى أنَّه يفكِّك شفرة النص الخطابي عن طريق التعرُّف على ما يحتويه النص، وتحليل الخطاب ومعرفة الرسائل المضمَّنة للنص الخطابي، ومعرفة مقاصده وأهدافه، ويتم تحليل الخطاب عن طريق الاستنباط

والتعلُّم بشكل منطقي حسب الظروف التي نشأ وكتب فيها النص الخطابي، ويعرف بتحليل السياق الذي يعتمد عليه النص.

أنواع الخطاب السوسيولوجي :

للخطاب السوسيولوجي أنواع أهمها:

الخطابات العقلية التي تقوم على الإقناع: وهي خطابات مستحسنة ومرغوب فيها، حيث تقوم على احترام القيم الإنسانية وتقديرها من خلال إعطاء فرصة للمتلقي؛ ليحكم على الأمور، ومن أمثلتها: (الخطابات الأدبية، والخطابات الشعرية، وخطابات المعالجة النفسية، وخطابات المحاضرات).

الخطابات العاطفية: وهي خطابات تستخدم طريقة سلبية تقوم على الخداع والحيلة، حيث لا تعطي المتلقي فرصة للحكم على الأمور من خلال تأثيرها على مشاعره، فيكون المرسل هو المتحدث وصاحب القرار في الوقت نفسه، ومن أمثلة ذلك: (الخطابات السياسية، الخطابات الدينية، الخطابات التجارية).

(3) عناصر الخطاب:

لكي يكون الخطاب مؤثراً يجب أنْ يكون متكامل الأطراف، ويقوم على عدَّة ركائز، أو عناصر تنظِّم الخطاب وتقيمه، وهذه العناصر هي:

المرسل: أي من يقوم بتوجيه الخطاب، وتكون لديه القدرة على التكلم والإبداع في ترتيب الكلام بشكل منظَّم ومترابط.

المتلقي: أي من سيوجه له الخطاب، ويتميز بامتلاك حاسة التوقُّع والانتظار أثناء الخطاب.

الرسالة: أي مادة الخطاب التي تساغ بصور لغوية متكاملة الجوانب الإبداعية والجمالية وقوة المعنى.

إذن للخطاب أنواع كثيرة ومتعدِّدة، نظراً لكثرة المواضيع التي تحتاج للخطب والإقناع، وبخاصة في العصر الحديث، فلا يمكن التأثير في الرأي العام بسهولة، كما كان من قبل، لذا تعدد أنواع الخطاب للتأثير في آراء الناس وقناعاتهم بشكل أكبر مع استخدام كل الوسائل الممكنة لذلك.

وسيلة الرسالة: قناة الوصل بين المؤلف والمتلقي عبر وسائل عدَّة منها: الكتاب، وسائل الإعلام على اختلافها مسموعاً أو مقروءاً، أو وسائل الانترنت.

(4) المناهج المستخدمة في تحليل لغة الخطاب السوسيولوجي:

يستخدم المحلِّلون مجموعة من المناهج في شرح وتفصيل أجزاء الخطاب وتأويلها وتفسيرها، وذلك من خلال تحليل الأسلوب المستخدم في النص، والعلاقات بين الكلمات واللغة، ومدى تأثيرها تذوقاً لتلك الكلمات.

يعتمد تحليل الخطاب على عدَّة مناهج، منها ما يعتمد على البنية، ويسمَّى البنيوي ويقوم هذا النص بتحليل ما بداخله، مهملاً حياة المخاطِب والظروف التي عاشها أثناء كتابته الخطاب، كذلك تحليل الرسائل اللغوية المستخدمة في النص والكشف عن مدى تأثيرها على المتلقي حيث تشكِّل قوة ضاغطة على رأيه واتجاهاته.

ومع تقدُّم العلوم والتقنية في مجالها الإنساني والتطبيقي، ظهرت أنواع متنوِّعة في الخطاب، فنجد الخطاب الديني، وهو الأقدم ويتمثَّل في الرسالات السماوية التي خاطب بها الله تعالى الإنسان عبر الرسل والأنبياء، وآخرها الإسلام (القرآن الكريم)، وتعد أفضل الخطابات على الإطلاق من حيث البلاغة اللغوية والإعجاز اللغوي، والإبداع في اللفظ والمعنى والتركيب، ومخاطبة عقل الإنسان ووجدانه، ويمتاز بالشمولية في مواضيعه لكل زمان ومكان، وكذلك الخطاب الإيصالي، وهو موجَّه من المرسل إلى المستقبل، ولهذا الخطاب أكثر من صورة، فمنه الخطاب السياسي والإرشادي والنهضوي والتعبوي بهدف تعبئة الرأي العام تجاه قضية ما(2).

المحور الثاني: أزمة الخطاب السوسيولوجي العربي.

إنَّ أزمة الخطاب العربي نابعة من الأزمة التي يعيشها المجتمع العربي بكل جوانبه وقضاياه، وهي إرث لفترات تاريخية طويلة من التخلُّف والاستعمار، وانعدام وسائل التعليم والصحة، وتجاوزه لا يتم إلا بتحقيق استقلال حقيقي، وانتشال الذات العربية من حالة العجز، يكون فيها الفكر العربي قادراً على الإبداع الذي يتسم بالجدية والأصالة.

إنَّ القراءة التي نقترحها هنا للخطاب العربي المعاصر قراءة ترمي إلى تشخيص عيوب الخطاب، وكشف للتناقضات التي يحملها الخطاب سواء كانت تلك التناقضات مجرَّد تعرضات أو جملة نقائض.

والذي يهمنا هو قدرة الخطاب المعاصر على استخدام لغة العقل في

إنتاجه للخطاب السوسيولوجي، وبخاصة مع تعدُّد أيديولوجيته، وعدم احتوائه المعرفة العلمية الموضوعية المفسِّرة لتلك الرؤى.

وعندما نتطرَّق إلى نماذج من صور الخطاب، فأنَّنا نركِّز على العقل العربي الذي أنتج تلك النماذج، ليس بوصفه شخص أو فئة أو جيل يمثل مرحلة تاريخية معيَّنة، بل هو نتاج العقل العربي على امتداد مراحله، ويمكن تحديد طرفان تحدِّد التصور العربي للنهضة في الخطاب: النموذج الأوروبي، والنموذج العربي الإسلامي.

يعاني الخطاب العربي من ظاهرة التضخُّم على مستوى الطموح في الخطاب النهضوي الحديث والمعاصر، هذا التضخُّم نجده لدى المتمسكين بالنموذج الإسلامي وحده دون غيره، على أنَّها بعث للإسلام من جديد "البعث الذي يتبعه على مسافة بعيدة أو قريبة تسلم قيادة البشرية"[3].

كذلك نجد لدى أقطاب الاتجاه القومي، الذين يجاوز في تصورهم للنهضة بين النموذج العربي والإسلامي بوصفه نموذجاً عربياً في الأساس، وعلى أنَّه انبعاث قومي بأداء رسالة إلى العالم أجمع، انطلاقاً من "أنَّ الأمة التي بعثت من قبل لتقود العالم وحدها للحق والعدل والسلام، ولابد لها أنْ تبعث من جديد في القرن العشرين برسالة مستمدة من حقيقة وجودها كأمة عربية"[4].

إنَّ الخطاب السلفي الذي ساد الخطاب العربي يطلب الحلول من الماضي، فمفهوم الشورى في الإسلام مثلاً ظل منذ البداية ملتبساً محل خلاف وتأويل إذا دققنا النظر في الحكومات الإسلامية من عهد الرسالة إلى نجد ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحق والعقل، وإشراكهم في تدبير الأمة، بل أنَّه عند "التدقيق في كل فروع الدول الإسلامية الماضية والحاضرة نجد الصراع والفساد دائرين مع سنة الاستشارة، أو الاستقلال في الرأي"[5].

ويتجه الخطاب السلفي إلى تعويض كل نقائض تواجهه إلى إصدار فتوى شرعية، حيث يجعل من الشرع مكمِّلاً لأحداث التاريخ ويسهم في صنعه.

ويذهب أصحاب الاتجاه الليبرالي إلى الأخذ بالنموذج الغربي للوصول إلى مجتمع ديمقراطي، ومعظم أصحاب هذا الاتجاه تأثروا بهذا النموذج خلال وجودهم في تلك المجتمعات الغربية، وانبهارهم

بمستوى التقدُّم الذي وصلت إليه، ويرفض الليبرالي العربي الدعوة السلفية التي تريد أنْ ترفع الشورى الإسلامية إلى مستوى الديمقراطية الأوروبية.

كما يرفض الفكر القومي الحل الاشتراكي المبني على الشيوعية، كما يرفض آليات النظام الرأسمالي، وأخذ طريق ثالث بين النموذجية باعتبار أنَّ النموذجين لا يصلحان للمجتمع العربي، وأخذ ما يناسب من النظام الرأسمالي، والنظام الاشتراكي للمجتمع العربي، حيث أخذ الخطاب عدَّة صيغ تتماشى مع تلك المرحلة، فكان خطاب موجَّه ضد الاستعمار والصهيونية في جزء منه، وخطاب يدفع بآليات التنمية باعتبار الوطن العربي جزء من العالم الثالث المتخلف اقتصادياً، ويعيش مرحلة التحرُّر ويعاني من سوء الخدمات الصحية والتعليمية والسكنية وغيرها، ونجح الخطاب في تلك المرحلة في رفع مستوى وعي الأفراد والجماعات في كثير من القضايا التي كان الخطاب موجَّهاً نحوها، إذ غلب على الخطاب الجانب العاطفي، وبخاصة في القضايا القومية والوطنية، فكانت النتائج سلبية ولم يرقَ الخطاب المؤسسي للدولة القطرية إلى مستوى القضايا التي تناولها ودافع عنها.

إنَّ تعدُّد أنواع الخطاب، وتأثر كل خطاب بأيديولوجية معيَّنة، أو رؤيا معيَّنة أو انحيازه لاتجاه دون آخر، أحدث تشويش في ذهن الأفراد المستقبلين لهذا الخطاب، وحول الفكرة التي تدور حولها، وحاولت بعض صيغ الخطاب التوافق بين هذه الأفكار والرؤى المطروحة.

فالخطاب النهضوي العربي المبشِّر بالنهضة (الثورة والأصالة والمعاصرة) خطاب توفيقي متناقض "وأنْ يكون أي خطاب توفيقي متناقض معناه خطاب غير مجدي، خطاب لا يحقق لهم ما يحلمون به من الأمن والاستقرار، ولا يجعل تطلُّعاتهم منسجمة وممكنة وواقعية، وأي خطاب محكوم باتجاه سلفي قديم معناه خطاب لا يرى الواقع كما هو، لا يعبِّر عنه ولا يعترف به، وبالتالي لا يرى المستقبل إلا من خلال ما يقيمه في ذهنه (للماضي) الذي يستكين إليه، وهو خطاب لا ينسجم مع الواقع المعاصر وتطوراته.

المحور الثالث : الخطاب السوسيولوجي العربي وأزمة الأيديولوجيا .

إنَّ مصطلح (الأيديولوجيا) لم يبدأ كمصطلح للتسمية، كما أنَّه في الاستعمال المتداول ينأى عن أية مضامين، أو تضمينات تقيد معنى التعويض والإدانة، فالمصطلح يعادل أو يقابل أية مجموعة مترابطة من المعتقدات السياسية المتسقة ذاتياً. ولكن ما حكمه كارلماركس على المصطلح من الاستعمال[6]، أذل مصطلح (الإيديولوجيا) على وعي زائف بالحقائق الاجتماعية والاقتصادية، ووهم أو ضلال جمعي يتقاسم الوقوع فيه أفراد طبقة اجتماعية معيَّنة، وهكذا لم يصبح المصطلح مصطلح إهانة وإدانة فحسب، بل مصطلحاً ضخمت فيه الإهانة بفعل نظرية منهجية، لم يقربها القرار بعد على مستقر فلسفي[7]، لذلك يقول لبيكا لا جديد يمكن قوله عن الأيديولوجيا بما أنَّه "ليس بالإمكان تقديم أي تعريف سجل في مجموعة لا تزال تتسع وتتزايد حتى الآن، لا أحد يستطيع في الوقت الحاضر أنْ يدَّعي أنَّها كاملة بحوزته، وأنَّ استعمال هذه الكلمة يقدر أحياناً استعمالها، فالكاتب يكتب (إيديولوجيا) وعلى القارئ أنْ يفعل الباقي[8].

غير أنَّ المهم هو الوصول إلى تعريف، ويحاول إيجاد الصلة بين علم الاجتماع والواقع العربي من جهة، وبين الإيديولوجية وعلم الاجتماع من جهة أخرى، كمعرفة وممارسة، ومن الفهم العام للأيديولوجيا على أساس رؤية للكون ذات أصول اجتماعية تاريخية، ونسق لأفكار محدَّدة بشروط مجتمعية من أهمها علاقات الإنتاج، التي تعبر عن مصالح معيَّنة، تؤثر في تفكير وشعور وأفعال البشر، وما يضاهيها من معايير وسلوك ومواقف وقيم[9] وأفكار الطبقة السائدة التي هي في الغالب أفكار المجتمع.

فالطبقة التي تملك السلطة المادية هي في الوقت نفسه تمتلك السلطة الروحية، فالأيديولوجيا مضموناً وشكلاً مشروطة بحساب واضعيها في مجتمع تاريخي محدَّد، وبالذات علاقة الملكية[10] إنَّ "الواقع الجزئي هو نقطة البداية للأيديولوجيا، ولأنَّها تبدأ من الواقع، فهي ليست زائفة، وحتى لو كانت تصورات مجرَّدة، فهي تدخل في صراع مع الواقع الجامع للعلاقات الاجتماعية القائمة[11]، وتفهم الأيديولوجيا باعتبارها "الوسيط الذي عبره يصنع البشر تاريخهم كممثلين واعين"،

فعندما يصبح البشر واعين لطبيعة النزاع بين قوى وعلاقات الإنتاج[12]، وأنَّ العلاقة بين الأيديولوجيا والواقع الاجتماعي هي انعكاس مرَّ لعلاقات الإنتاج أو للبناء الاجتماعي حسب ما شاع في التعريفات الكلاسيكية، حينها يمكن القول بالاستقلال النسبي للنشاط الفكري أو البناء الفوقي.

ولعل أول مرحلة مؤثرة في المصطلح بشكل قوي كانت مع كارل ماركس، الذي يعده البعض "هو الذي أعطى لكلمة أيديولوجية الأهمية التي تكسبها اليوم في كل ميادين البحث[13].

فقد استخدم ماركس الإيديولوجيا "في أغلب الأحيان كوصف، وهو يتحدث عن الأيديولوجية الألمانية، أو أيديولوجيا الجمهور، أو الموقف الأيديولوجي، أو الأيديولوجيا البرجوازية، ولكنه لم يحدِّد أو يقدِّم تعريفاً للأيديولوجيا[14]. فالأيديولوجيا بالنسبة له هي مكوِّنات بالبناء الفوقي"وهي: الوعاء الزائف الناتج من التكوين الطبقي للمجتمع والذي يؤدي إلى سر التناقضات الطبقية، وبالتالي يساعد على إمكانية استمرار وصنع الاستغلال.

إنَّ الأيديولوجيا في الفكر العربي المعاصر، مصطلح تعلَّق عليه كل مصائب وكوارث العالم العربي والإسلامي، والإخفاقات النهضوية، والهزائم الفكرية، وفشل النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة، أو التي سادت[15]، لذا أصبحت مشكلتنا الأساسية في الوطن العربي هي مشكلة إيديولوجية بشكل خاص، وكل إشكالاتنا تتفرَّع من هذه المشكلة في المقام الأول، فإشكالية الأصالة والمعاصرة، العروبة والإسلام، التراث والثورة، الاستقلال والتبعية، الدين والدولة، إلى غير ذلك من الإشكالات، ما هي إلا انعكاس وتجسيد للفراغ الإيديولوجي والثقافي الذي نجد أنفسنا فيه كأمة يفترض فيها وحدة الوعي كتعبير عن وحدتها وذاتها[16].

وبالتالي فالخطاب السسيولوجي ما هو إلا انعكاس للأيديولوجية السلطة، عندما يتحوَّل خطاب الأيديولوجيا خطاب سلطوي، وهذا ما يعبِّر عنه باري هندس عندما يقول الأيديولوجيا وخطاب السلطة عند لوك على الديمقراطية الليبرالية في ظل تصور شرعية السلطة إلى السلطة كحق، إلا أنَّها تفسر من خلال تصور هوبز للسلطة كقدرة على الفعل، أو تحقيق الأهداف. وفي الوقت نفسه كحق مطلق

للعاهل أو السلطة الحاكم ذات السيادة التي يمكن مقاومتها دون أنْ تسلب شرعيتها"[17].

فالخطاب السوسيولوجي للسلطة يعبِّر عن وجه أيديولوجي، وآخر خطابي حيث يتشكَّل الخطاب السلطوي وعناصره من خلال ما تضفيه السلطة في قوة على الخطاب الموجَّه، والمستند على أيديلوجيا معيَّنة، تحظى بالقبول الجمعي لدى أغلبية أفراد المجتمع، من خلال تناول قضايا مؤثرة تستهوي المجتمع، ويندفع وراءها الجميع لتحقيقها، مع استخدام كل الإمكانيات التي تسهم في تحقيق هذا الخطاب.

هذا ويختلف خطاب الحياة اليومي للأفراد باختلاف ميولهم ومستوياتهم التعليمية وطبقاتهم الاجتماعية، واهتماماتهم ومستوى دخولهم عن الخطاب السوسيولوجي بالرغم من تأثر هذا الخطاب بالخطاب اليومي للأفراد في كثير من الأحيان.

وكما يتأثر الخطاب الرسمي والمؤسسي بالخطاب اليومي للأفراد بالمجتمع، غير أنَّ ما يتوفر للخطاب السيسيولوجي الرسمي من مصادر قوة وإمكانيات الاتصال السريع، جعلته يتمتَّع بقدر من السيطرة والهيمنة، وفقاً لظروف الخطاب التي يتشكَّل من خلالها، ومع هيمنة الخطاب الرسمي على الخطاب اليومي بحكم الإمكانيات المتوفرة له، فالخطاب الرسمي يعد مكبَّلاً بما هو أقوى منه، وبما هو أوسع سيطرة وهيمنة، ألا وهو خطاب المجتمع الرأسمالي العالمي، تلك المنظومة التي تظهر بداخلها أشكال مختلفة للاحتواء والسيطرة، وهذه الأسباب التي أدَّت إلى ضعف الخطاب السيسيولوجي للنظام العربي بكل توجهاته، وأصبح خطاب السوق وعالم الاقتصاد والتجارة والعلوم والقوة العسكرية والإعلامية هو المسيطر على العالم اليوم.

إذن فالخطاب السوسيولوجي العربي هو خطاب سوسيولوجي متعدِّد الاتجاهات والأهداف، يمثِّل السلطة أنظمة الحكم ومؤسساته المختلفة والخطاب السوسيولوجي الشعبي الذي يمثل ما يتناوله الناس في حياتهم اليومية حسب انتمائهم الاجتماعي.

المحـــور الرابـــع : صـــور الخطـــاب السوسيولوجي العربي

تتعدَّد صور وأشكال الخطاب العربي، وفق سياقاته التاريخية والثقافية، وطبيعـة كل مرحلة من المراحل التـي مـرَّ بهـا، والعوامل التي تأثَّر بها الخطاب العربي.

أ- الخطاب القومي:

إنَّ ما يميز الخطاب القومي هو "التلازم الضروري" الذي يقيمـه بـين "الوحـدة" والاشتراكية" من جهة، وبينهما متلازمـين وبين تحرير فلسطين من جهة أخرى[18])، أو أنَّ الحديث يتضمَّن الشـمول لمجمـوع القضايا التي تهم الخطاب القومي اتصـالاً ببعض من الاشتراكية إلـى التقـدم إلـى الوحدة، وبالتالي ضمناً أو صراحة تطـرح قضية فلسطين، "إنَّ تجميع التجزئة العربية هو القانون الموضوعي لعصر الإمبريالية، أي القانون الموضوعي لعمل الإمبرياليـة في الوطن العربي"[19])، وبـذلك ظهـرت الدعوة إلـى الوحـدة العربيـة والقوميـة "فالقومية العربية ليست ميـداناً، وليسـت فكرة مدعوا لها، فالمبدأ والفكـرة أشـياء طارئة، يمكن أنْ توجد اليوم لتنتهي غـداً، وإنَّما القومية العربية، "وجود" قائم ليس لنا حيلة في الإبقاء عليـه أو إلغائـه، ونحـن حينما ندعو إلى القومية العربية فـنحن لا ندعو إلى الإيمان بفكرة، وإنَّما ندعو إلـى الوعي على "موجود" وعلى حقيقة غابـت عن الأذهان مـدة مـا بسـبب الانشـغال الخاطئ بالقضايا المحلية البحتة"[20]).

وقد ارتبط طرح الفكر القومي بقضـية الوحدة والاشتراكية في مراحلـه الأولـى، حيث "الشـيوعية انشـقت عـن الإطـار الاشتراكي" في أوربا بعد ظهور اللينينية " أمَّا الوضع في أمتنا فقد كان غيـر ذلـك تمامـاً، ففـي الـبلاد العربيـة ظهـرت الاشتراكية إمَّا انشقاقاً عن الشـيوعية، أو جواباً للتحدي الخيري الذي أوجدتـه"[21])، "إنَّ الإنسان العربي لا يجد ذاته، ولا تكمل إمكاناته إلا عن طريقة الوجـود القـومي الموحَّد، فهذا الوجود القومي شرط لوجود حضـارته، شـرط الوقـوف فـي وجـه أعدائه"[22]). لهذا لم يتمكَّن الخطاب القومي من تشييد نظرية قومية تفسر الواقع العربي تفسيراً علمياً، وترسم الطريقة إلى تغييره، نظرية تقدم البديل العلمي الممكن وتعمـل على تحقيقه.

فلم يتجاوز الخطاب القومي المقـولات العاطفية الوجدانية المرتبطة باللغة والتاريخ والمصير إلى المقولات العقليـة الواقعيـة

التي لها علاقة بالهياكل الاقتصادية، والصراع الاجتماعي والتنمية والسياسة الدولية[23].

إنَّ الساحة العربية وطنياً وقومياً لا تزال مهيأة ومترقبة لأعمال سوسيولوجية تقدم فيهما أكثر شمولية وعمقاً وانضباطاً للواقع الاجتماعي العربي المعاصر(24)، والواقع أنَّنا نتميز بخطابنا العربي المعاصر بين النهضة وإشكالياتها، وبين التنمية والتخطيط وقضاياهما، وفي اعتقادنا أنَّنا نفعل ذلك على أساس أنَّ إشكاليات النهضة هي إشكاليات فكرية، بينما أنَّ قضايا التنمية والتخطيط هي قضايا الواقع، قضايا الاقتصاد والاجتماع والتعبير... إلخ[25]، وبذلك فالخطاب القومي يحتاج إلى إعادة صياغة يتم خلالها استيعاب كل مكوِّنات الوطن العربي وتنميته نحو بناء مؤسسات معرفية و إنتاجية واقتصادية.

ب- الخطاب السلفي:

يذكر الخطاب السلفي حول سياسة الماضي حول "الخلافة" و"حقيقة الإسلام في أصول الحكم"، و"النظريات السياسية الإسلامية" و "نظام الحكم في الإسلام" وكل ما يتعلق بالسياسة في إطار الدولة الإسلامية، وبقوة العقل، ويدعو إلى الاحتكام إليه، والذي يرجع في اشتقاقه إلى "عقلنت البعير إذا جهت قوائمه"، وسمي العقل عقلاً لأنَّه يعقل صاحبه عن التورُّط في المهالك أي يحبه"[26].

والعقل الذي حدَّده الغزالي تحديداً صريحاً وواضحاً في وصفه "العقل الذي يدل على صدق الشيء ثم يعزل نفسه"[27]، وكذلك يتحدَّث عن رائد السلفية الحديثة "تحرير الفكر من قيد التفكير، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى تباينها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه، فالعقل الذي يصبح على هذا الوجه صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً بالتحويل إليها في أدب النفس وإصلاح العمل"[28].

فإذا كان المصلح السلفي قد فكَّر في الإصلاح والتحرير بعقل ينتمي إلى الماضي العربي الإسلامي، و يتحرَّك ضمن إشكاليته، فالليبرالي العربي قد بشَّر بالنهضة والتقدم بواسطة "مركَّبات ذهنية"[29] وفي الفكر الإسلامي الحديث بعض المفاهيم القلقة التي لم تعالج بكيفية

حاسمة رغم ما بذل من عطاء فكري، واجتهاد ثقافي على طول التاريخ الإسلامي الحديث، ومن هذه المفاهيم (المرأة، الاجتهاد الشرعي، الشورى، التراث والمعاصرة، العقل، السلطة، وكذلك مفهوم الديمقراطية[30]، فأنْ يكون الخطاب محكوماً بـ "سلف" معناه أنَّه خطاب لا يرى الواقع كما هو، ولا يعبِّر عنه ولا يعرف به، وبالتالي لا يرى المستقبل إلا من خلال التمثال "الذي يقيمه في ذهنه لـ "السلف" الذي يستكن إليه، بل يستسلم له، فهو إذن خطاب وعي مستلب[31].

ج- الخطاب السياسي:

"من الملاحظ في تاريخ الحركة العلمية عند المسلمين أنَّ حظ العلوم السياسية فيهم كان بالنسبة لغيرها من العلوم أسوأ حظاً، فلسنا نعرف لهم مؤلفات في السياسة، ولا في التراجم، ولا نعرف لهم بحثاً في شيء من أنظمة الحكم وأصول السياسة، اللهم إلا قليلاً لا يقام له وزن إزاء حركتهم العلمية في غير السياسة من الفنون"[32]، ويؤكد أحد الكتَّاب المعاصرين بأنَّه "بصورة عامة، في المدينة الإسلامية، كانت الإنسانية مفتقدة، والتعددية حداثة، والانفصال بين الشعب والسلطة قائمة. لذا كانت السياسة مجموعة الأمر الذي أدَّى مع مرور الزمن إلى تكوُّن روح الفروق لدى الشعب"[33]، و"لذلك كان المزج بين هاتين السلطتين المتلازمتين طبعاً، والمتضادتين في موضوعهما من شأنه أنْ يوقع خللاً بيِّناً وضرراً واضحاً في الأحكام والأديان حتى لا نبالغ إذا قلنا إنَّه يستحيل معه وجود التمدُّن وحياته ونموه"[34].

وفي إطار الصراع بين ما يدعو له الليبرالي العربي وما يدعو له السلفي حيث يقول: "ما تراه من حالة ظاهرة حسنة فينا، من حيث الرقي والأخذ بأسباب التمدن هو عين التقهقر والانحطاط، لأنَّنا على تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوروبية، وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب والاستكانة لهم، و الرضا بسلطانهم، وبذلك تتحوَّل صبغة الإسلام التي من شأنها رفع راية السلطة والغلبة إلى صبغة خمول وصنعة واستئناس لحكم أرضي"[35].

ولم يكن السلفي يستطيع التفكير في جامعة إسلامية بدون عروبة، ولم يكن الوالي العربي يفكِّر في دولة وطنية إقليمية، أو عربية قومية بدون الإسلام(36)، وينطلق الخطاب القومي لإعادة ترتيب العلاقة بين الهوية والإسلام

تاريخياً وقانونياً، إنَّ "الإسلام في حقيقته الصافية نشأ عن قلب العروبة، وأفصح عن عبقريتها حسن الإفصاح، يساير تاريخها وامتزج بها في أمجد أطواره، فلا يمكن أنْ يكون ثمَّة صدام(37).

الخاتمة:

يحاول الخطاب السوسيولوجي العربي بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية أنْ يقدِّم المعلومات بطريقة معيَّنة؛ لتحقيق أغراض معيَّنة، تتعلق بفرض سيطرة الدولة ومؤسساتها من خلال القضايا والبرامج المطروحة بخطاب يتجه الأفراد لتقديم معلومات أو أحداث حولها، بوجهة نظر معيَّنة وبأسلوب معيَّن ولغة معيَّنة، هدفه تحقيق البرنامج السياسي والاقتصادي والثقافي الأيديولوجي المطروحة من قبل الدولة، أي نهج السلطة الحاكمة وتوجهاتها الأيديولوجية.

لهذا نجد لغة الخطاب السوسيولوجي العربي تظهر من خلال مجموعة من الخصائص التي تتعلق بالآتي:

1- تعدُّد صور الخطاب العربي.

2- تأثر الخطاب السوسيولوجي العربي بالإرث الثقافي والدين والتاريخي للمجتمع العربي.

3-تأثر الخطاب السوسيولوجي العربي بالخطاب السلفي للمدارس السلفية المتعدِّدة.

4- خضوع الخطاب السوسيولوجي العربي للخطاب الليبرالي الرأسمالي العالمي.

5- تأثر الخطاب السوسيولوجي العربي بالخطاب القومي وحركات التحرُّر في الوطن العربي والقضية الفلسطينية.

6- تأثر الخطاب السوسيولوجي العربي بالخطاب السياسي بتوجهات السلطة الحاكمة وتأثير الأفراد والجماعات داخل كل دولة.

7- فشل الخطاب السوسيولوجي العربي في مخاطبة العقل العربي.

8- يغلب على الخطاب السوسيولوجي العربي الخطاب التعبوي المؤقت، الذي ينتهي بنهاية موضوع الخطاب.

9- انفصال الخطاب السوسيولوجي العربي عن محاكاة الواقع الاجتماعي بموضوعية علمية.

هوامش البحث ومراجعه:

(1) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، المكتبة الانجلو المصرية، 2003، ص76.

(2) أمير فرهانج، تحليل الخطاب الأبدي في فهم البلاغة، 2016/12/25.

(3) سيد قطب، معالم الطريق، دمشق، دار دمشق للنشر والطباعة والتوزيع، (د.ت)، ص10.

(4) منيف الرزاز، معالم الحياة العربية الجديدة، بيروت، دار العلم للملايين، 1956، ص14.

(5) عبد الرحمن الكواكبي، ذكره أديب نصور في الجامعة الأمريكية في بيروت، هيئة الدراسات العربية، الفكر العربي في مائة سنة، ص94.

(6) سعيد شبار، النخبة والأيديولوجيا والحداثة في الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات المعرفة والحضارة، طبعة ثانية، 2012.

(7) برايدوك دافيد، في دائرة معارف الفلسفة، سج 4 ص 124-127، نقلا عن أسامة عبد الحليم زكي، مفهوم الأيديولوجيا فلسفياً وسياسياً حين قدم الترجمة أنَّ البولية للمفهوم عند بر ايدوك، مجلة الفكر العربي، س 13، أبريل/يونيو، 1992، ص28.

(8) جورج لبيك "من أجل هو صرح من مفهوم الأيديولوجيا" في مجلة العالم الثالث، محرر السلطة، والأساطير، والأيديولوجيات، ترجمة كمال طور، في دمشق، وزارة الثقافة والإراديو الشهيق، 1980، ص37.

(9)HanfedBuhrndAlfedKosing, KleinsWokterbtichdermarxistisch, Leninistischenphilosophie (1974), p 138.

(10) المرجع السابق، ص 138.

(11) مراد وهبة "الأيديولوجيا والحضارة" قضايا عربى، السنة 8، العددان 11، 42، تشرين الثاني نونبر كانون الأول، ديسمبر 1985، ص10.

(12) جوران تريورن، إيديولوجية السلطة وسلطة الأيديولوجيا، ترجمة إلياس مرقص، بيروت، دار النهضة، 1982، ص18.

(13) العروي، مفهوم الأيديولوجيا، ص 29

(14) المرجع السابق نفسه، ص 131.

(15) سعيد شبار، مرجع سابق، ص56.

(16) تركي الحمد ، كراسات إيديولوجية في الحالة العربية، 1992، ص 81.

(17) باري هندس، ترجمة ميرفت يعقوب، خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو، دار النشر للترجمة، 2005، ص33.

(18) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة السادسة، 1999، ص107.

(19) إلياس مرقص، الأمة، المسألة القومية (بيروت: دار الحقيقة، 1971)، ص81.

(20) سيف الرزاز، دراسات في القومية، ص58.

(21) كلوفيسر مقصود، نحو اشتراكية عربية (بيروت: دار سنيمنة، 1957)، ص 58.

(22) عبد الله عبد الدائم، الوطن العربي والثورة (بيروت: دار الآداب، 1963)، ص 20.

(23) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص145.

(24) سعد الدين إبراهيم، نكو علم اجتماع عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، 2010، ص349.

(25) محمد عابد الجابري، الخط العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 101

(26) مادة العقل، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العزكبر، 2010، (بيروت، دار صادر ، 1956/1955).

(27) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، السطفي من علم الأصول (القاهرة: المطبعة الأميرية ، 1322هـ)، ج1، ص6.

(28) محمد عبيدة، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ص327.

(29) سلامة موسى، تربية سلامة موسي (القاهرة : مؤسسة الخانجي، 1958)، ص 101.

(30) زكي أحمد، الحركات الإسلامية الديمقراطية – دراسات في الفكر والممارسة، نشر البحث في المستقبل

العربـــي، الســـنة 15، العـــدد 154، أكتوبر 1902، ص64.

(31) محمد الجابري، الخطـــاب العربـــي المعاصر، مرجع سابق، ص 56.

(32) علي عبد الرزاق الإسلام وأصـــول الحكم، ط 3 (القاهرة : مطبعة مصر ، 1925) ص 22.

(33) ياســـــمين الحـــــافظ، الهزيمـــــة والإيديولوجية المهزومة، الإشارة إلى أمل، 2 (بيـــروت : دار الطليعـــة : (1974)، ص238.

(34) بطرس البناني، ذكرة أديب منصور في الجامعة الأمريكية في بيروت، من الدراسات العربية، الفكر العربي فـــي مائة سنة (بيروت الجامعـــة، 1967) ص 88.

(35) جمال الـــدين الأفغـــاني، الأعمـــال الكاملة بجمال الدين الأفغاني الحقيقـــة الكلية، تحقيق ودراسة محمد عمـــارة (القاهرة : المؤسسة المصرية العامـــة للتأليف والنشر، 1968)، ص327.

(36) محمد عابـــد الجـــابري، الخطـــاب العربي، مرجع سابق، ص75.

(37) مشيل عفلق، فـــي ســـبيل البعـــث، (بيـــــروت: دار الطليعـــــة، 1959)، ص26.

دور الحقائب التعليمية في تطوير التعليم الجامعي

د. سعاد مصطفى فرحات
كلية الآداب/جامعة الزاوية

مقدمة

يتميز هذا العصر بتغيرات سريعة، تتمثَّل في سرعة نقل المعلومات عبر وسائل الاتصال المرئية والمسموعة والمقروءة، فهو عصر الاختراعات والابتكارات في جميع المجالات، وهو عصر الانفجار المعرفي والسكاني، وعصر التنافس بين مختلف دول العالم المتقدِّمة علمياً وصناعياً وتقنياً.

يؤدي مفهوم التعليم والتعلُّم إلى تطوير معلومات الشخص وقدراته وأفكاره، مثل إكساب الشخص القدرة الفنية، وإكسابه المهارة السلوكية، والقدرة على فهم الناس وكيفية التعامل معهم.

ويعد التعليم الجامعي في معظم دول العالم الركيزة الأساسية التي تقوم عليها حياة المجتمعات في الحاضر والمستقبل، وهو حلقة الوصل التي تنقل الطالب من المرحلة الأولى في المدرسة إلى مراحل الإنتاج والتقدم في أوقات لاحقة.

ويرتكز التعليم الجامعي على مجموعة من المبادئ والأسس الموجَّهة إلى خدمة وأهداف المجتمع، ويستخدم في سبيل ذلك مجموعة من البرامج والسياسات التربوية والتعليمية التي تعد استجابات لمؤثرات بيئية كثيرة، وأنَّ ما يمثِّله الطالب لهذه العملية يشكِّل أساساً لهذه البيئة، فهو لا يتأثر بالمعرفة الإدراكية فقط، وإنَّما بالمواقف التفاعلية التي تمليها العلمية التعليمية وطرق التدريس والتدريب المستخدمة، التي تعبِّر عن مدى تقدُّم النظام القائم على التعليم في مؤسسات الدولة وأجهزتها المختلفة.

ويعد التعلم الفردي أحد سمات هذا العصر، وقد ساعد على ظهوره وانتشاره عدَّة عوامل منها: زيادة عدد السكان، وتقدُّم وانتشار وسائل التعليم الاتصالي، بالإضافة إلى نتائج البحوث التي تناولت هذا المجال.

وتعد الحقائب التعليمية أحد برامج التعلُّم الفردي، وخير أسلوب للتدريب على اكتساب المهارات، من خلال تدريب الطالب عليها بمفرده في أحد برامج التعلم الفردي.

ويواجه التدريب بشكل عام، والتدريب في الجامعات بشكل خاص في العالم المتقدم والنامي كالدول العربية تحديات تتناول فلسفة التدريب ومحتواه وأساليبه، ممَّا يدفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنَّ الربع الأخير من القرن العشرين يمر بفترة يمكن أنْ يطلق عليها (الثورة التدريبية)، التي تتبنَّى مداخل تجديدية تميز التدريب الحديث عن التدريب التقليدي، فالتدريب الحديث يتميَّز بالنظرة الشمولية الكلية للعملية التدريبية، الذي يعد التدريب استثماراً في القوى البشرية، وجزءاً لا يتجزأ من التنمية التعليمية الشاملة، ويعتمد التدريب الحديث على أساليب تدريبية متنوعة، كالمحاضرة وأنماط تدريبية أخرى، إضافة إلى اعتماده على التقنيات السمعية والبصرية الحديثة، كوسيلة اتصال وجزء من العملية التدريبية التعليمية، كما يعد المتدرِّب محور العملية التدريبية، إضافة إلى استخدام مبادئ ونظريات التعلم الحديثة، ومراعاة الفروق بين المتدربين.

أولاً- مشكلة الدراسة:

تهتم الاتجاهات التربوية المعاصرة في التعليم بالكفايات التعليمية التي تعمل على إعداد معلمين ومتعلمين، قادرين على الوصول إلى التعليم الفعَّال، والإنجاز بدرجة عالية من الإتقان والكفاية، وهذا لا يتأتى بطرق التدريس التقليدية التي تتبع في معظم جامعتنا الليبية.

فالطريقة التدريسية جزء من منظومة متكاملة، وهي العملية التعليمية، فالاهتمام ينبغي ألا ينصب على المادة التعليمية، والأداة التي تقدَّم بها فقط، ولكن على الاستراتيجية المستخدمة، وعلى كيفية استخدام الوسائل التعليمية لتحقيق الأهداف السلوكية المحدَّدة مسبقاً، وضرورة مراعاة الإمكانات البشرية وتوفرها، وقدرات المتعلمين على اختيار الوسائل وكيفية استخدامها، فنجاح التعليم يرتبط إلى حد كبير بنجاح الطريقة، وتستطيع الطريقة الناجحة أنْ تعالج كثيراً من طرق التدريس من فساد المنهج، وضعف الطلاب، وصعوبة الكتاب المنهجي، وغير ذلك من

مشكلات التعليم الجامعي (ليلى سهل، 2016: 54).

فالطريقة عملية فنية، تحتمل اختلاف الآراء، بل ينبغي أنْ تكون مرنة، تختلف باختلاف الأحوال، بمعنى أنَّها تتطوَّر مع التطوَّر العلمي، وكذلك تختلف باختلاف الغرض من التعليم، وتبعاً لطبيعة الطلاب، فهناك فروق فردية بين الطلاب ينبغي أنْ يكون لها أثر في اختيار الطريقة الملائمة، وهذا ما أكَّده (رياض الكريطي) بقوله: "إنَّ منهجاً فقيراً في محتواه وجيداً في طريقة تدريسه، أفضل بكثير من منهج غني في محتواه، إلا أنَّ طريقة تدريسه غير موفَّقة" (رياض الكريطي، 2014: 482).

وتعد الحقيبة التعليمية من أهم الطرق التعليمية فائدةً في إثراء الموقف التربوي، وإغنائه بالمثيرات المتعدِّدة، التي تؤدي إلى تكوين خبرات متنوِّعة، وتمثل نمطاً من أنماط التعليم الفردي، أو تفريد التعليم، وقد زاد الاهتمام في الآونة الأخيرة؛ لأنَّها تمكِّن المتعلم من الممارسة العملية للخبرات والمهارات، والحصول على المعلومات واكتسابها، وهي مصمَّمة لكي تستخدم بأسلوب يساعد في مراعاة الفروق الفردية، وتمكِّن المتعلم من السير بالبرنامج حسب قدرته وسرعته، وقد أثبت هذا النوع من أنواع التعليم الذاتي فاعليته في التعليم والتعلم.(عبدالرحمن سليمان، 2009: 459).

من هنا تتمثَّل مشكلة البحث الحالي في التساؤل العام التالي:

س1/ ما دور الحقائب التعليمية في تطور العملية التعليمية بجامعتنا الليبية؟

ثانياً- أهمية البحث والحاجة إليه:

تؤكد الفلسفة القديمة في التعليم بأنَّ المعلم هو الذي ينفِّذ جميع النشاطات التعليمية، أمَّا الفلسفات الحديثة فتؤكد على الدور الإيجابي للمتعلم؛ لأنَّه محور العملية التعليمية، ولذا ظهرت أنماط جديدة في التعلم متأثرة بالتطور العلمي والتكنولوجي في مجال التربية والتعليم من أجل رفع كفاءة العملية التعليمية عن طريق الاستثمار الأمثل للتكنولوجيا الحديثة، وتوصيفها بالشكل الذي يلائم الحاجة إليها، والحقيبة التعليمية واحدة من هذه التطبيقات التي أثبتت كفاءتها في مختلف المجالات، حيث توفر للمتعلم أكثر من وسيلة للتعلم إضافة للمعلم، وهذا بطبيعة الحال سيسهم في تقدم عملية التعلم.

فالتطور التقني والتكنولوجي أخذ يتزايد يوماً بعد الآخر، وشمل مجالات الحياة جميعها، منها العملية التعليمية، التي استفادت من التقنيات مثل(الحاسوب والفيديو والنماذج المصوَّرة) في إدخالها كأدوات مساعدة على عملية التعلم، إذ أنَّ استخدامها بكونها وسيلة جديدة لم يسبق له أنْ تعلم عن طريقها تثير فيه حب للتعلم، والحقائب التعليمية أثبتت فاعليتها في التعليم كونها تهيئ للمتعلمين مجالات مختلفة من الخبرة المرئية المسموعة الحسية، إذ يكتسب المتعلم خلالها خبرات تعليمية مختلفة، عن طريق التفاعل والممارسة والمشاركة والاتصال بمعطيات البيئة المحيطة من خلال تنوُّع مصادر المعرفة التي تلائم ميوله وحاجته.

وتتعلق أهمية البحث بالآتي:

1- تطوير وتحسين أسلوب التدريس لدى طلبة الجامعة بجامعتنا الليبية.

2- جذب انتباه مصمِّمي المناهج والمقررات الجامعية إلى ضرورة توظيف أساليب التعلم الفردي بالمناهج الدراسية.

ثالثاً- هدف البحث:

تهدف هذه الورقة العلمية إلى التعرُّف على أهمية ودور استخدام الحقائب التعليمية، ومحتواها كأسلوب حديث في تطوير التعليم الجامعي في جامعتنا الليبية.

رابعاً- مصطلحات البحث:

1ـ تعريف الحقيبة التعليمية:

Learning kit

عرَّفها **(صبحي عزيز، 2005 : 151)** بأنَّها "مجموعة من المواد التي تساعد في عملية التعليم والتعلم، وتتكوَّن من أكثر من نوع واحد من الوسائل التعليمية، وتتركَّز كلها حول موضوع تعليمي واحد"، والحقيبة التعليمية يمكن أنْ تتكوَّن من مجموعة من الوسائل التالية: (أفلام ثابتة، شرائح فيلمية، تسجيلات صوتية، صور ثابتة مطبوعات، شفافيات، خرائط، رسوم بيانية، مسابقات تعليمية، أفلام سينمائية، نماذج، شرائط فيديو، حاسب آلي...) **(لمياء الديوان، 2007: 11)**.

وتعرِّف الباحثة الحقيبة التعليمية إجرائياً بأنَّها: نظام تعلمي متكامل صمم بطريقة منظَّمة موضوعية، تساعد المتعلم على التعلم الفعَّال بتزويده بإرشادات مفصَّلة، توجِّه للتعلم من خلال تضمنها مواد تعليمة

مطبوعة أو تقنيات مسموعة أو مرئية؛ ليختار منها ما يناسب قدراته وأسلوبه وسرعته للوصول إلى مستوى الإتقان في تعلمه.

2ــ تعريف التعليم الجامعي:

تعرف الباحثة التعليم الجامعي إجرائياً بأنَّه مرحلة عليا من التعليم تدرَّس في الجامعات، أو في المعاهد العليا (كليات الفنون النوعية وكليات التقنية... الخ)، أو في مؤسسات جامعية أخرى تمنح شهادة جامعية، ويختلف التعليم العالي عن التعليم المدرسي، بأنْ يدرس الطالب في التعليم العالي مجالاً متخصِّصاً يؤهله للعمل في تخصُّص معيَّن أثناء دراسته الجامعية.

خامساً-الإطار النظري للدراسة:

تمهيد:

تسارعت وتيرة التطور التقني والعلمي والمعرفي بشكل ملفت للنظر في العقود الأخيرة، وتزامن ذلك مع مبادرات الشعوب والأمم لتطوير نشاطها المتعلق بالتعليم والتعلم والتدريب كضرورة ملحَّة لمواكبة التطور الذي طرأ على مختلف مناحي الحياة، مما حدا بالمعلمين والمدرسين إلى الخروج من عمليات الحشو والتلقين إلى فضاءات التفكير والاستقراء والاكتشاف.

ومن أهم العوامل التي أدَّت إلى ظهور الحركات التجديدية في التعليم والتدريب، منها حركة تفريد التعليم و التدريب ما يلي:

- ظهور حركات واتجاهات فكرية تربوية تأثر بها التدريب ومنها (نظرية النظم).
- ظهور وتطور العلوم السلوكية الحديثة، منها علم النفس وعلم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان، وقد انبثقت عن هذه العلوم السلوكية نظريات ومفاهيم تأثر بها التدريب.
- الاهتمام بالتدريب وتنمية القوى البشرية في المؤسسات والمنظَّمات الإدارية.
- التطور التكنولوجي الذي شهده العالم في الفترة الأخيرة، واستخدام التقنيات السمعية والبصرية كوسائل تدريبية.(**سلمى الناشف، 1999: 57**).

الهدف من الحقيبة التعليمية:

تهدف عملية إنتاج الحقائب التعليمية إلى توفير وسيلة تعليمية تخدم المنهاج المدرسي، وتسهم في تطوير العملية التربوية، ويمكن توظيفها والاستفادة منها بيسر وسهولة، شريطة أنْ تكون سهلة

الحمل والنقل، وآمنة عند استخدامها **(توفيق مرعي وآخرون، 1998: 70).**

مزايا تفريد التدريب وأهميته في تعزيز المناهج التربوية:

تكمن أهمية الحقيبة التعليمية في أنَّها تمكِّن المتعلم من الممارسة العملية للخبرات والمهارات المسموعة والمرئية والحسية المناسبة، كما أنَّها تمكِّنه من الحصول على المعلومات واكتسابها، وتفسح المجال للملاحظة والتدقيق والتعامل مع المواد بشكل مباشر إلى الدرجة التي تمكِّن من تحقيق الأهداف المرجوة، ويمكن إجمال مزاياها وأهميتها فيما يلي:

أ- التركيز على المتعلم واعتباره محور العملية التدريبية.

ب- تتيح الفرصة لإيجاد نوع من التفاعل النشط بين المعلم والمتعلم.

ج- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين لكي تتحقق الذاتية في التعليم.

د- تشجع على تنمية صفتي تحمُّل المسؤولية واتخاذ القرار لدى المتعلمين.

ه- يكون دور المتدرب في عملية التخطيط والتصميم للبرنامج، وتوجيه المتعلمين والإشراف عليهم عند التنفيذ.

و- استخدام أساليب ووسائط تدريبية متنوِّعة، ممَّا يبعد الملل عن المتعلمين.

ز- استخدام التقنيات السمعية والبصرية لمساعدة المتدرب المتعلم على الفهم السريع، وإتقان المعارف والمهارات والاتجاهات التي يهدف البرنامج إلى تحقيقها.

ح- التقويم الفوري والتعرُّف على النتائج وتصحيح الأخطاء.

ط- المرونة حيث يسهل تعديل وتحديث المحتوى التعليمي. **(بشرى زبون، 158:2010).**

معايير استخدام الحقيبة التعليمية وتوظيفها في عملية التدريس:

لطريقة استخدام الحقيبة التعليمية شروط عدَّة منها:

1-الاطلاع المسبق من قبل المعلم على الحقيبة التعليمية، ودراستها ومعرفة مدى ملاءمتها للمتعلمين.

2-تحديد دور الحقيبة وكيفية استخدامها بما يتناسب وطريقة التعلم المتبعة.

3-إمكانية استخدام بعض موضوعات الحقيبة بما يتناسب وحاجة المتعلمين.

4-قد تستخدم الحقيبة لتدريس لعدَّة نشاطات، وقد تستخدم أكثر من حقيبة لنشاط واحد.

5-ضرورة التنسيق المسبق ما بين دور الحقيبة، ودور المعلم في الحصة الصفية.

6-ضرورة الانتباه إلى أنَّ الحقيبة التعليمية وسيلة إيضاح، وليست وسيلة تقويم (سيد عبد الحليم،75:1997).

مقارنة بين أسلوب التدريب المعتمد على الحقائب التعليمية، والتدريب التقليدي:

تختلف البرامج التدريبية في شكل حقائب عن التدريب التقليدي المرتكز على أسلوب المحاضرة، ونلاحظ هذه الاختلافات في عدَّة نواحي منها: هيكل البرنامج، الخصائص العامة للبرنامج، دور المتعلم في كلا الأسلوبين، الاختبار في نهاية البرنامج.

وسأتحدث عن هذه الاختلافات بالتفصيل فيما يلي:

Conventional Training التدريب التقليدي	Packaged Programs البرامج التعليمية في شكل حقائب
Course Structure **(أ) هيكل البرنامج**	
❖ يقسم المشاركون إلى مجموعات كبيرة ويقضون معظم الوقت في الاستماع للمحاضرات، وقد يضاف إلى ذلك قراءات منفصلة أو أعمال مختبريه.	❖ ثمة سلسلة كاملة من النشاطات تشتمل على القراءة والمراجعة وتمارين للمجموعات الصغيرة، وممارسات مختبريه.
❖ التركيز على أداء المدرِّب.	❖ التركيز على أداء المتعلم.
❖ يتصف سلوك المتدرب بشكل رئيسي بأنَّه معط للمعلومات.	❖ يعمل المدرب على تشخيص الاحتياجات الفردية ويقوم بالتعليم ويدير النظام التعليمي.
❖ غالباً ما تكون الأهداف عامة وغير واضحة وعادة مالا يعرفها المتعلم بدقة.	❖ الحقائب مصمَّمة لتخدم أهدافاً محدَّدة يعلم بها المتعلم حتى يكون مهيئاً لها.
	❖ تشتمل الحقائب المصمَّمة جيداً على مجموعة متنوِّعة من الاستراتيجيات التعليمية حيث يتمكَّن المتعلم من اختيار الوسيلة التي يرغبها لإنهاء كل وحدة دراسية.
❖ لا يمكن للمتدرِّب إلا استخدام استراتيجية واحدة، أو اثنتين (المحاضرة والمناقشة مثلاً) وهذا يسري على جميع المتعلمين.	
❖ تستخدم نفس وسائل الاتصال مع الجميع، ويتم اختيارها تبعاً لذوق المدرب.	❖ وسائل الاتصال مختلفة ومتنوعة ويتم اختيارها على أساس علمي تبعاً للموضوع، واحتياطات المتعلم(عبد الحافظ سلامة،77:1998).

Overall Qualities of Course (ب) الخصائص العامة للبرنامج	
❖ نادراً ما تتم مراجعة البرنامج، وتعتمد المراجعة بشكل رئيسي على الحدس. وتكون المراجعة كذلك صعبة نظراً للمجموعات الكبيرة التي يتألف منها البرنامج.	❖ توجد مرونة أكبر في تقديم البرنامج حيث يمكن التعامل مع الوحدات الصغيرة بالطريقة المطلوبة من ناحية تسلسلها وطريقة ربطها مع بعضها بعضاً.
❖ لا توجد مرونة كافية في تقديم البرنامج إذ يعد وحدة واحدة لا يتجزأ.	❖ نظراً لتسجيل المحتوى بشكل مؤكد نوعاً ما، يصبح التعليم القياسي المنظَّم Standardized ممكناً. ❖ يمكن إعادة التعليم الناجح وتقديمه للغائبين ولغيرهم من المتعلمين في برامج مستقبلية.
❖ قابلية النقل Portability ضعيفة وبما أنه لا يمكن الاحتفاظ بالمحاضرة المناقشة يصبح من المتعذر نقلها إلا بنقل المعلم نفسه.	❖ إمكانية النقل مرتفعة، لأنَّ المادة أصبحت مسجَّلة. فيمكن نقل الحقائب أو إرسالها إلى أي مكان حتى إلى المنزل أو موقع العمل.
❖ عملية المراجعة أكثر سهولة، لأنَّ المادة مجزأة إلى وحدات صغيرة، ولتوفر معلومات كافية حول أداء كل متعلم(رياض الجبان، 154:1989).	

Learner's Role

(ج) دور المتعلم

- ❖ يستلزم أنْ يكون المتعلم سلبياً أثناء المحاضرة.
- ❖ تتطلب الحقائب عملاً حيوياً، وقد تستلزم سلسلة من الاستجابات والتغذية العكسية التفاعلية التتابعية.
- ❖ يتقدم جميع المتعلمين (أو يفشلون في التعلم) بنفس السرعة.
- ❖ تعتمد سرعة التعلم على المتعلم نفسه حيث يمضي سريعو التعلم قدماً، في حين قد يعيد المتعلم البطيئ دراسة بعض الأجزاء الصعبة.
- ❖ غالباً ما يتناسب الإنجاز الفردي مع القدرة الفطرية بحيث يفشل المتعلمون الضعفاء أو ينسجون من البرنامج دون تحقيق أية فائدة لهم أو للمدرسة.
- ❖ نتيجة لتوفير الوقت الكافي ومراعاة الفروق الفردية للمتعلمين، فأنَّهم يمكن أنْ ينجحوا جميعاً.
- ❖ حضور المتعلمين إلزامي، ويجب التقيد ببرنامج عمل محدد.
- ❖ يمكن تعديل أوقات الدراسة حسب رغبات المتعلمين الشخصية. وعلى المتعلم أنْ ينمِّي لديه نوعاً من الشعور بالمسؤولية الشخصية نحو تعلمه.

Testing and Remediation

الاختبار والمعالجة:

- ❖ الاختبارات قليلة، وتعتمد في الغالب على معايير غير واضحة.
- ❖ يتم إجراء اختبار لكل وحدة من الوحدات وتعتمد الاختبارات على أهداف واضحة ومحدَّدة.
- ❖ نظراً لأن الاختبارات قليلة ومتباعدة، يكون التصحيح متأخراً وغير واضح على الأغلب.
- ❖ يمكن تحديد الصعوبات وتقديم العون المحدَّد بعد كل وحدة صغيرة.
- ❖ لا يمكن اكتشاف فشل المتعلم على الفهم إلا في النهاية، وعندها لا يوجد أمامه أي بديل سوى إعادة البرنامج بأكمله.
- ❖ يمكن اكتشاف المشاكل في وقت مبكر والعمل بالتالي على معالجتها قبل أنْ يؤثر ذلك على أداء المتعلم لاحقاً في البرنامج.
- ❖ يعتمد النجاح في البرنامج على الرأي الشخصي للمدرب.
- ❖ يمكن الحكم على النجاح بمقارنته مع الأهداف الواضحة، وبالاعتماد على مجموعة كبيرة من المعلومات المتعلقة بإنجازات المتعلم(**محمد بغدادي،101:1997**).

أهمية التقنيات السمعية والبصرية كوسيلة معينة للتدريب:

تعد التقنيات السمعية والبصرية من الوسائل المهمة في العملية التعليمية والتدريبية. بل همزة الوصل بين المدرب والمتدرب لتوصيل المعلومات الأساسية سمعياً وبصرياً؛ ممَّا يسهِّل عليه الفهم والإدراك والتذكر، أمَّا أهمية استخدام التقنيات السمعية والبصرية كوسائل تدريبية في أسلوب الحقائب التدريبية فيرجع إلى:

أنَّ التعليم والتدريب بواسطة التقنيات السمعية والبصرية أكثر فاعلية حيث تثير ذاكرة المتدرب، وتساعده على ربط خبراته المشابهة، كما تسهم في إكسابه مهارات وتغير اتجاهاته؛ لأنَّها تحرِّك الأعضاء الحسية، ومن خلال دراسة أجريت لاكتشاف مدى قابلية الإنسان على التعلم تبيَّن أنَّ الإنسان يتعلم حسب النسب المئوية التالية:

1% بواسطة حاسة الذوق.

1.5% بواسطة حاسة اللمس.

3.5% بواسطة حاسة الشم.

1% بواسطة حاسة السمع.

83% بواسطة حاسة البصر.

كما يتذكر حسب النسب المئوية التالية:

10% بواسطة القراءة.

20% بواسطة ما يسمع.

30% بواسطة ما يراه.

50% بواسطة ما يراه ويسمعه معاً.

90% بواسطة ما يقوله ويفعله (**سعيد جابر وآخرون،93:1995**).

وذلك من خلال الفيلم التلفزيوني، الشرائط الناطقة، الشريط الصوتي، الملصقات، الشفافيات، الأفلام الثابتة.

لا يعني هذا أنْ تحتوي كل الحقائب التدريبية على كل التقنيات المذكورة أعلاه، وإنَّما يجب أنْ تتواجد بعض هذه التقنيات، ويتوقَّف على الاحتياجات التدريبية، والهدف الذي يرمي البرنامج إلى تحقيقه، واختيار الوسيلة المناسبة التي تتناسب مع الاحتياج التدريبي والهدف من البرنامج.

مكوِّنات الحقيبة التعليمية وعناصرها:

للحقيبة التدريبية المتكاملة مكوّنات وعناصر أهمها:

1- **النظرة الشاملة : Overview**

وتتضمن ما يلي:

- مقدمة وخلفية عن الحقيبة وكيفية إعدادها.
- الفئات المستهدفة من الحقيبة.
- الأهداف المنشودة وتنقسم إلى قسمين : أهداف عامة، وأهداف تفصيلية خاصة.
- اللوحة الانسيابية، وتعليمات لاستخدام الحقيبة.

2- الرزم (الوحدات المنمطة) المطبوعة

Written Modules

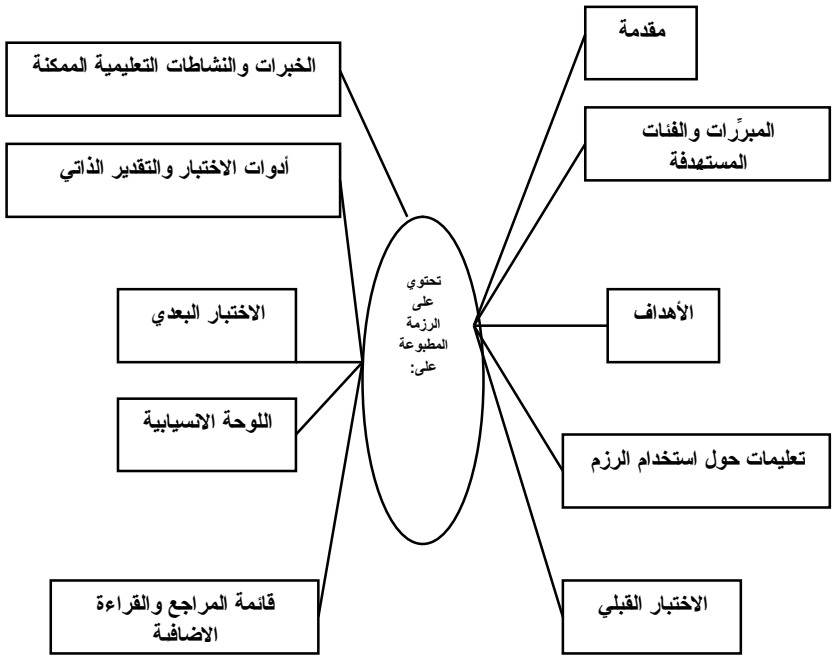

وتشتمل كل رزمة على العناصر التالية:

- مقدمة.
- المبررات والمسوَّغات والفئات المستهدفة.
- الأهداف.
- تعليمات حول استخدام الرزمة.
- اللوحة (أو الخريطة) الانسيابية،(أو التدفقية أو التتبعية).
- الخبرات أو النشاطات التعليمية الممكنة.
- أدوات الاختبار والتقدير الذاتي.
- الاختبار البعدي (أو الختامي).
- قائمة المراجع والقراءة الإضافية.
-

3 ـ التقنيات السمعية البصرية Audio – Visual Technologies

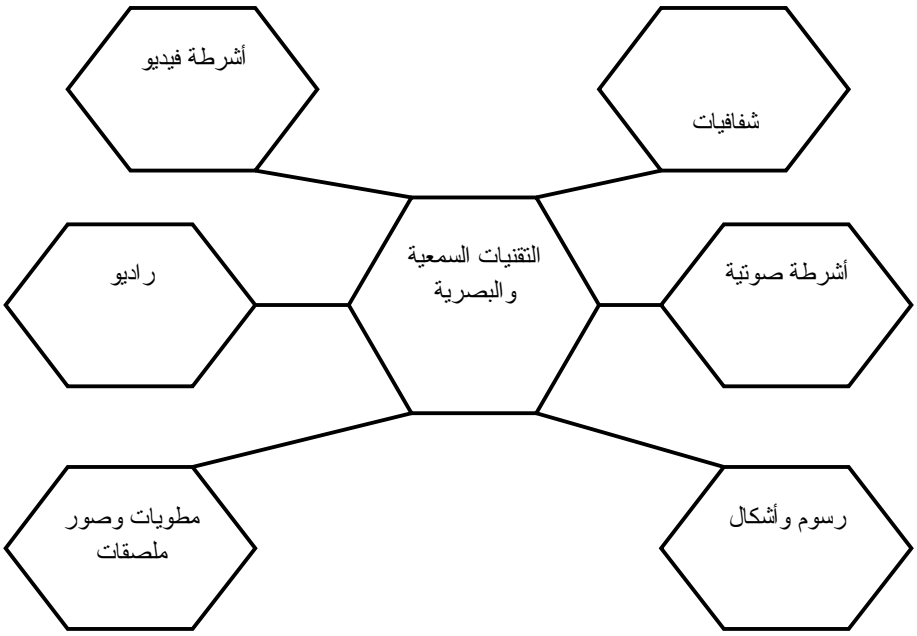

- الاختبار القبلي (أو المدخلي).

وتشمل التقنيات السمعية البصرية:

- شفافيات.
- أشرطة فيديو.
- أشرطة صوتية.

3-دليل (المشرف) Leader's Guide

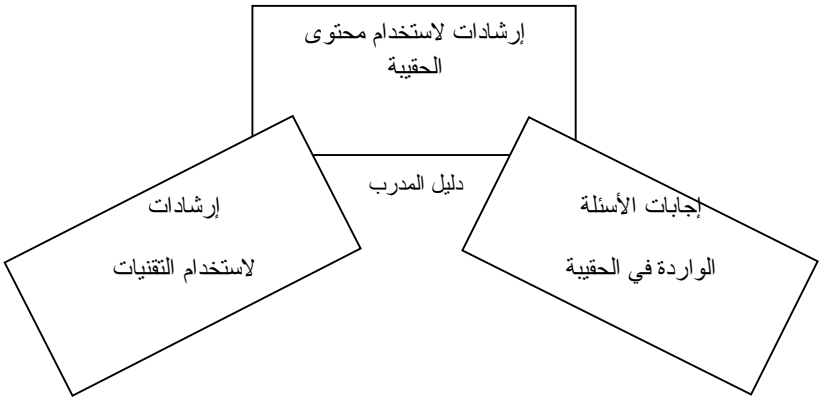

دليل المدرب ويضم:

- إرشادات للمشرف (المدرب) لاستخدام محتوى الحقيبة.
- إرشادات للمشرف (المدرب) لاستخدام التقنيات السمعية البصرية.
- مطويات وملصقات.
- رسومات وأشكال مختلفة.
- برمجيات حاسوبية.
- إجابات الأسئلة الواردة في الاختبارات القبلية، و البعدية والذاتية أو الحالات، أو التمارين المتضمنة في وحدات الحقيبة.

5 ــ دليل المشـــارك: Participant's Guide

يتضمَّن إرشـــادات عامـــة للمشـــارك لاستخدام الحق

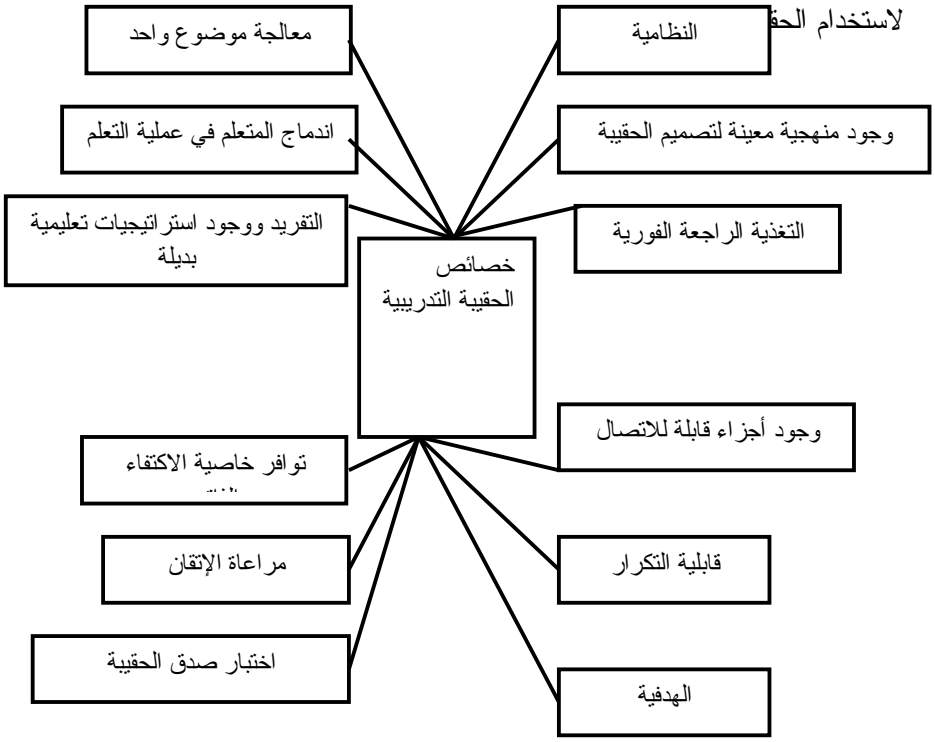

(مصطفى عبد السميع وآخرون، 2004 : 271)

خصائص الحقائب التدريبية التعليمية

للحقيبة التدريبية خصائص نجملها فيما يلي:

1- النظامية (Systemic)

الحقيقة التدريبية كل متكامل، يتكوَّن من عناصر ومكوِّنات مترابطة، ومن هذه العناصر والمكوِّنات: الأهداف والأنشطة والتقويم، المتدرب والمدرب، والوسائط التعليمة والتغذية الراجعة.

ومن الجدير بالذكر أنَّ أي تغيير على أي من هذه العناصر، يؤثر في العناصر الأخرى.

2- وجود منهجية معيَّنة لتصميم الحقيبة (Methodology)

ثمة خطوات وعناصر اتفق عليها المختصون توضع وفق منهجية معيَّنة تشمل ما يلي:

- النظرة الشاملة.
- الأهداف الأدائية.
- الاختبار المدخلي (القبلي).
- النشاطات التعليمة الممكنة.
- الاختبارات الذاتية والتدريبات العملية.
- الاختبار البعدي.

3- التغذية الراجعة الفورية (Immediate feedback)

لقد صممت الحقيبة بحيث يتلقَّى المتعلم تغذية راجعة فورية، إمَّا من خلال المواد والأنشطة التي تتضمَّنها الحقيبة، أو المدرب الذي يقود المتعلم.

4- وجود أجزاء قابلة للانفصال والتقسيم إلى أجزاء (Separable parts)

تقسَّم الحقيبة التدريبية عادة إلى وحدات مستقلة، بحيث يمكن للمتعلم استخدام أجزائها المختلفة حسب الحاجة.

5- قابلية التكرار (Replicable)

تعرض الخبرة في الحقيبة التدريبية بشكل يمكِّن من تكرارها في أوقات مختلفة، ومن قبل متدربين مختلفين.

6- الهدفية (Aimed at specific objectives)

توضِّح في الحقيبة المعارف والمهارات التي سيتعلمها المشاركون، والتي تشكِّل أهدافها المحدَّدة **(لمياء الديوان، 2007: 99)**.

7- معالجة موضع واحد

تركز الحقيبة التدريبية على موضوع واحد متميز، ممَّا يساعد على استخدامها

في برامج التدريب المختلفة. فقد يكون موضوع الحقيبة الاتصالات أو القيادة أو الحوافز أو تبسيط الإجراءات.

8- اندماج المتعلم في عملية التعلم (Active learner participation)

إنَّ إشراك المتعلم في عملية التعلم أمر ضروري لجذب انتباهه؛ ولإحداث سلوك يمكن تعزيزه ونقله إلى الواقع العملي الحقيقي. وفي الحقيبة من الأنشطة والوسائط التعليمة ما يدمج المتعلم، ويشركه في عملية التعلم.

9- التفريد ووجود استراتيجيات تعليمة بديلة (Individualization and alternative learning strategies)

التفريد في التدريب في أحد معانيه هو: مراعاة ما بين المتعلمين من فروق فردية في استعداداتهم وقدراتهم ومعارفهم ومهاراتهم واتجاهاتهم وخبراتهم وشخصياتهم وأساليب تعلمهم.

ولمراعاة هذه الفروق الفردية بين المتدربين فالحقيبة التدريبية توفر مجالات بديلة أمام المتعلمين، ومن تلك البدائل:

- مستويات صعوبة مختلفة.
- طرق ومسالك متفرِّعة ومتنوِّعة.
- نقاط دخول متعدِّدة، تتناسب مع مهارات الدخول.
- وسائل عرض مختلفة.
- أنماط تعلم مختلفة.
- أهداف تتناسب وسرعة المتعلمين في التعلم(**يعقوب نشوان،53:1993**).

10- توافر خاصية التكامل الذاتي : Self - Contained

تتميز الحقيبة التدريبية الجيدة باحتوائها على كافة المواد التدريبية اللازمة لتحقيق أهدافه ، كما تضم إرشادات وتوجيهات تيسير عملية توظيفها في التعلم والتدرب، وبهذا تكون حقيبة قائمة أو مكتملة بذاتها.

11- مراعاة الإتقان: Mastery

إنَّ توافر إبدال مختلفة في الحقيبة، وتزويد المتعلم بتغذية راجعة، وتقييم مستمر، ومشاركته الفعَّالة في عملية التعلم كل ذلك يؤدي إلى أنْ يتقن أجزاء المهمة التعليمية والمهمة التعليمية ككل، والواقع أنَّ الإتقان هو أحد خصائص تفريد التدريب باعتبار أنَّ المتدرب يسير بحسب خطواته وسرعته الخاصة.

12- اختبار صدق الحقيبة Validation

يجب أنْ ترفق كل حقيبة تدريبية بمعلومات توضِّح أين ومتى تم اختبارها ميدانياً؟ وماذا كانت نتائج ذلك الاختبار؟. **(يسرية فرج، 2001 : 73)**

سلبيات الحقيبة التدريبية:

إنَّ الحقائب التدريبية هي إحدى التقنيات الحديثة التي تجسد تفريد التدريب وتساعد المتعلم على التعلم الفعَّال، ولكنها ليست:

- علاجاً حاسماً لكل المشكلات التعليمية والتدريبية.
- بدعة ظهرت في سماء التدريب والتربية سرعان ما يزول بريقها.
- منحنى تدريبي لم تثبت فاعليته في بعض الموضوعات.
- وسيلة للاستغناء عن بعض المعلمين والمدربين.
- أسلوب تعليمي طابعه الميكانيكية والابتعاد عن النزعة الإنسانية**(حسين طويجي، 85:1993)**.

أنواع الحقائب التدريبية

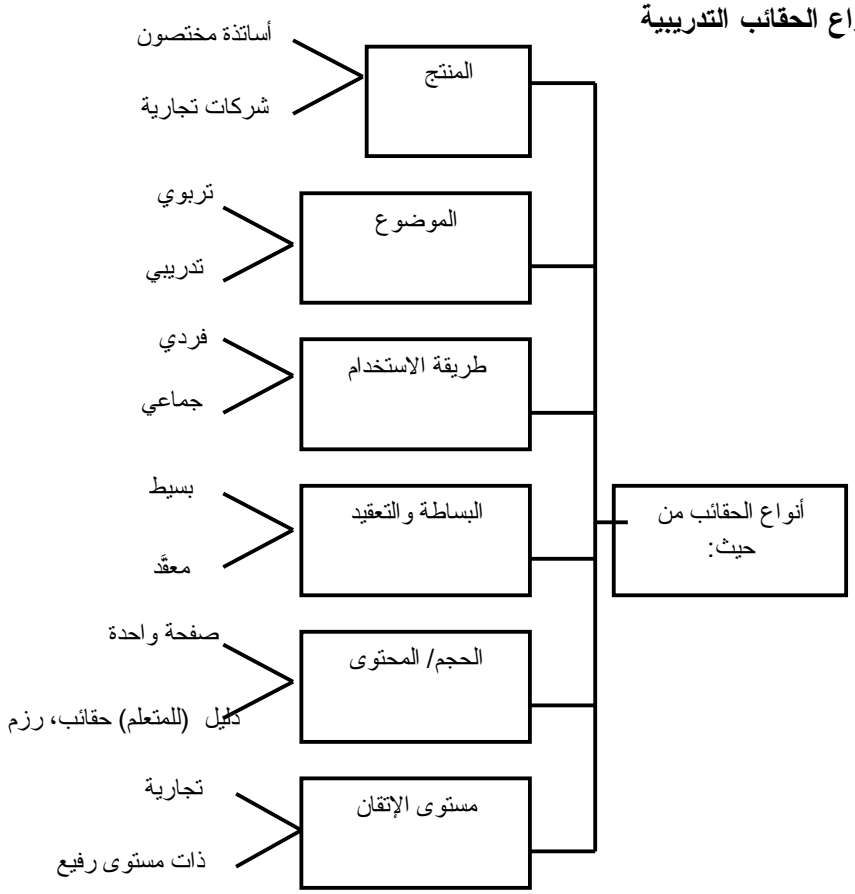

أنواع الحقائب التدريبية

بين أيدي المربين والمدربين أعداد هائلة ومتنوعة من الحقائب التدريبية، ذلك أنَّ هذا النوع من التقنية التعليمية قد أثبت نجاعته في كثير من المؤسسات، ومن ثم بدأت كثير من المؤسسات التربوية والتدريبية والمهنية تغرق السوق بأعداد وأنواع وأشكال مختلفة من الحقائب التعليمية والتدريبية، ويمكننا أنْ نقسِّم الحقائب التدريبية إلى الأنواع والأشكال التالية؛ استناداً إلى المعيار المستخدم في تصنيفها:

1- من حيث المنتج

فقد ينتج الحقيبة أساتذة مختصون في مؤسسة تدريبية، يستخدمون الحقيبة التدريبية لأغراض معيَّنة، وقد تنتجها شركات تجارية تحاول أنْ تلبِّي حاجة السوق إلى حقائب تدريبية متنوعة وعامة.

2- من حيث موضوع الحقيبة

تغطِّي الحقائب التعليمية موضوعات متنوِّعة، فقد تكون موضوعات تربوية مثل الرياضيات أو الفيزياء أو الكيمياء، أو موضوعات في التدريب مثل الاتصال، أو ديناميات الجامعة، أو إدارة الوقت، أو شؤون الموظفين. أو موضوعات في الصناعة والتدريب المهني كالإطفاء واللحام والميكانيكا والصيانة.

ومن الجدير بالذكر أنَّه صدر في الولايات المتحدة دليل للحقائب التدريبية ويحمل العنوان التالي:

Leonard Nadler and Eugene fetteroll (eds)
The trainer's Resource: comprehensive Guide to packaged training programs (Amherst , Massachusetts :human Resource De).

ويحتوي هذا الدليل على (500) عنوان لبرامج تدريبية في (19) موضوع مثل التخطيط المهني، والعلاقات بين الزبائن، وإدارة المبيعات ومهارات التدريب الفني، وغيرها من الموضوعات.

أمَّا في بريطانيا فيصدر دليل للحقائب التعليمية سنوياً، ويحمل العنوان التالي:

C.Osborn (nd) .International Yearbook of Educational and Instruct – tional Technology.

ويتضمن الدليل العديد من الموضوعات **(حسن شحاته،1997:53)**.

3- من حيث طريقة الاستخدام

قد يستخدم الحقيبة التدريبية المتدرب دون أنْ يستعين بمدرب، وقد يستخدمها المدرب لوحده دون مساعدة من هيئة فنية خارجية، وقد يستخدمها بالاستعانة بخبراء مختصين خارجيين. ومن ناحية أخرى فالمستخدمون للحقيبة من متدربين ومدربين قد يأخذون ما تتضمَّنه الحقيبة حرفياً ويطبِّقونه، أو قد يقومون بتعديل محتويات الحقيبة لتتلاءم وحاجات خاصة في منظَّماتهم.

4- من حيث البساطة والتعقيد

قد تعالج الحقيبة التدريبية موضوعاً بسيطاً، وقد تكون موجَّهة لمتدربين قليلي الخبرة، ومتوسطي الخلفية العلمية، وقد تعالج موضوعاً معقَّداً يوجه لعلماء أو مديرين أو مدربين كبار.

5- من حيث الحجم والمحتوى

قد تكون الحقيبة من صفحة واحدة، توجَّه لمتعلم في شكل توجيهات وإرشادات One page Student Direction Sheet، وقد تكون دليلاً للتعلم (Learning Guide)، وقد تكون حقيبة متكاملة أعدَّها مختصون خبراء، وقد تتضمَّن الحقيبة رزما ًأو وحدات منمَّطة (Modules) مطبوعة فقط، وقد تضم إلى جانب ذلك تقنيات سمعية بصرية، ووسائل تعليمية معقَّدة.

6- من حيث مستوى الإتقان المهني في الإعداد

قد تكون الحقيبة التدريبية حقيبة تدريبية تجارية لم تراع المستويات المهنية المعروفة في إعدادها. فالموضوعات والأهداف عامة، والإرشادات ناقصة، والنشاطات غير ذات علاقة بالأهداف، والتقنيات السمعية البصرية غير ملائمة، والمعلومات غير دقيقة. كذلك قد لا تتضمَّن الحقيبة معلومات عن صدق تجربتها في الميدان، وعن نواحي القوة والضعف بها. وقد تكون حقيبة ذات مستوى مهني رفيع، روعيت فيها كل الاعتبارات التي تتلافى النقائص التي سبق ذكرها. **(مصطفي عبد السميع وآخرون، 2004 : 276- 278)**

الحقيبة الإلكترونية:

أ ــ تعريف الحقيبة الإلكترونية:

هي تجمع للأنشطة والمواقف التعليمية ومصادرها إلكترونياً.

وتعد الحقيبة الإلكترونية بمثابة تسجيلات لعمليات التعلم والنمو التعليمي لدى المتعلمين، والتغييرات التي تطرأ على العملية التعليمية، كما تتضمَّن توثيق محدَّد لقدرات المتعلم ونشاطاته العملية والتعليمية، وإمكانياته المختلفة، وتسجيل لأنشطة المعلم، وتفاعلاته في المواقف التعليمية المباشرة وغير المباشرة، كما تزوِّد الحقيبة الإلكترونية المتعلمين وهيئة التدريس والإدارة وأولياء الأمور والمهتمين بالمعلومات حول عملية وقدرات المتعلم، والإمكانيات التي تم توظيفها في ذلك، ومن ثم فهي جامعة لكل من المنهج

وعمليات التعليم، والتقويم للحكم على إنجاز المتعلم، وبصفة عامة تعد الحقيبة الإلكترونية تاريخ التعليم(**حسين طويجي، 43:1993**).

والحقيبة الإلكترونية تؤدي إلى تطبيق فعلي للتعليم المتمركز حول المتعلم، حيث يتحمَّل المتعلم المزيد من المسئوليات، ويصبح له الدور الفاعل في تعلمه، وتتضمَّن الحقيبة الإلكترونية الوسائل المتعددة التفاعلية Multimedia Interactive بما تشمله من رسوم وصور وفيديو وحركة ومؤثرات صوتية، وارتباط بالشبكات التعليمية، وعرض متنوع الأشكال وفق تنوع الفروق الفردية بين المتعلمين، وهي تمثل الخيار الأحدث من المستحدثات التكنولوجية.

ب- أشكال الحقيبة الإلكترونية:

تصمم الحقيبة الإلكترونية على أي من الأشكال التالية:

1- كتاب إلكتروني E-Book ــ ويتم تحميل عشرات من المصادر المتنوعة، والإنترنت والمواقف التعليمية وهيئة التدريس في أي وقت وأي مكان.

2- قرص الفيديو الرقمي DVD : وتنقل إليه محتويات الحقيبة كاملة عن طريق شبكات المعلومات والسبورة الإلكترونية E-Board.

3- القرص المدمج C.D : ويحتوي على مميزات القرص D.V.D إلا أنَّ سعته تقل عن ما يقارب أربعون مرة حيث أنَّ سعة القرص D.V.D تعادل 17 جيجابايت، بينما سعة القرص CD تعادل 680 ميجابايت.

4- الكمبيوتر المحمول: Not Book وتسجل به محتويات الكتاب الإلكتروني بالإضافة إلى تسجيل المواقف التعليمية المباشرة .(**محمد الحيلة،70:1996**)

ج ــ أهمية الحقائب الإلكترونية في تعليم اللغات بالتعليم الإلكتروني:

تهتم الحقيبة الإلكترونية بتعليم اللغات كأحد المستحدثات التكنولوجية وأدوات التعليم الإلكتروني كما توضحه النقاط التالية:

1- زيادة دافعية المتعلم للتعلم: إذ يعد تسجيل أنشطة المتعلم والمواقف التعليمية، وإعادة عرضها عند الحاجة دافعاً له، فالمتعلم يرغب دائماً في

عرض أعماله والاهتمام بها، وتساعده الحقيبة على عرضها بشبكة المعلومات؛ ليشاهدها أقرانه والآخرين في العالم، كما يساعد ذلك المتعلم في التأمل الذاتي لأنشطته المتنوعة.

2- مساعدة المتعلم على التعلم الفعال للمهارات اللغوية: فالتعليم الفعَّال لا يتوقف عند مجرَّد نقل المعلومات للمتعلم، بل يتم من خلال ممارسة الطالب للمهارات اللغوية وعرضها وتحمل مسئولية تعلمه، وتساعد الحقيبة المتعلم في وضع أهداف خاصة به؛ لتعليم المهارات اللغوية ومراجعتها بين الحين والآخر، كما تساعد هيئة التدريس والإدارة والآباء متابعة تعلمه وقياس مدى فاعليته.

3- استخدامها كأداة للتغذية الراجعة: إذ تتيح الحقيبة الإلكترونية للمتعلم فرصة تقييم فاعلية أهدافه التعليمية، واستراتيجية تعلمه، واستخدام المصادر التعليمية، ممَّا يوفر للمتعلم نظام لتقييم العمليات التعليمية، وتبادل الآراء مع هيئة التدريس التعليمية، ثم إعادة التخطيط لتطوير مستواه التعليمي كتغذية راجعة(**زيد هويدي، 54:1990**).

4- استخدامها كأداة لمناقشة المتعلم: تستخدم الحقيبة كأداة للمناقشات التي تتم بين المتعلم وهيئة التدريس، وهيئة التدريس وولي الأمر، وولي الأمر والمتعلم، ومن ثم يتم تكوين صورة شاملة عن الطالب وقدراته وأنشطته التعليمية، وتوقعات هيئة التدريس والإدارة التعليمية له، ومستويات المناهج المستخدمة وتحصيل المتعلم بها.

5- عرض الأداء المتميز للمتعلمين: حيث يرغب كثير من هيئة التدريس والإدارة التعليمية في مقارنة أداء المتعلمين فيما بينهم، ومقارنته بأداء المتعلمين من المناطق الأخرى، وتساعد الحقيبة الإلكترونية في توضيح الأداء المتميز للمتعلمين لأقرانهم والإدارة، وكل من يرغب في التعرُّف على مستواهم التعليمي.

6- توفير الوسائل المتعدِّدة بالحقيبة يثري تعلم اللغة: إذ تتضمَّن الحقيبة عناصر الوسائل المتعدِّدة من القراءة الشفهية، وعرض أنواع الخطوط العربية،

والكتابات المتنوعة، والنماذج الثلاثية الأبعاد، والأعمال الفنية والرسوم المتحركة، والصور والفيديو والمؤثرات الصوتية، كما تتضمَّن وسائل ارتباط بالكتب ومصادر التعلم الأخرى، وعرضها مباشرة عند الحاجة والاتصال المباشر بالمؤلف وهيئة التدريس؛ مما يثري تعلم اللغات، ويعزِّز تعلم مهاراتها(**محمد غزاوي، حسين طويجي، 1991 :93**).

اختيار محتوى الحقيبة الإلكترونية:

يجب ألا تقتصر الحقيبة على أفضل أنشطة وأعمال المتعلمين، بل يجب أنْ تتضمَّن عينات متنوعة منها؛ ممَّا يسمح للمراجع ولمقيم أداء المتعلم بالتأكد من تقدم مستوى المتعلم، وتحديد مدى التقدُّم التعليمي، ويجب وضع أدلة وملاحظات تشير إلى التقدُّم الحادث في مستوى المتعلم.

من الذي يحدِّد محتوى الحقيبة الإلكترونية؟

يجب على المتعلم الشعور بأنَّ الحقيبة الإلكترونية ملكه، ولمَّا كانت الأنشطة المتوفرة بالحقيبة نتاج جهد مشترك مع أهمية التدريس، ويجب أنْ يشترك كل من المتعلمين وهيئة التدريس في مراجعة الحقيبة بين الحين والآخر، وإضافة الجديد إليها، كما يجب تشجيع المتعلم على مراجعة حقيبته، وتقديم التغذية الراجعة له.

أسلوب تنظيم الحقيبة الإلكترونية:

يتم تنظيم الحقيبة بحيث تعكس المستوى الحقيقي لتقدم المتعلم، وعلى ذلك فأنَّها كما يلي:

- قائمة المحتويات.
- تاريخ تنفيذ الأنشطة والمهام اللغوية.
- وصفة النشاط أو المهمة اللغوية.
- تعليق المتعلم على التمهيد وأنشطة الحقيبة.
- التقديم للنشاط أو المهمة (**بشير كلوب،60:1988**).

إرشادات لاستخدام الحقيبة:

يتم تنفيذ الحقيبة وسط صعوبات تكنولوجية وفنية متنوعة، فضلاً عن أهمية تغيير ثقافة المؤسسة التعليمية لاستخدام الإلكترونية بفاعلية، لذا يجب وضع إرشادات لخطوات استخدام الحقيبة الإلكترونية داخل المؤسسة التعليمة وخارجها.

إنتاج الحقائب التعليمية في تكنولوجيا التعليم:

لإنتاج حقيبة تعليمية جيدة هناك عدد من المبادئ والأسس التربوية التي يجب أنْ تؤخذ في الاعتبار عند إنتاج حقيبة تعليمية، ويمكن إيجاز هذه المبادئ والأسس التربوية فيما يلي:

1- التعبيرات السلوكية عند صياغة الأهداف التعليمية، وأنْ تكون هذه الأهداف قابلة للقياس.
2- أنْ تقيس بنود التقويم حصيلة الأهداف التعليمية.
3- أنْ يشتمل دليل دراسة الحقيبة على تعليمات وتوجيهات وإرشادات للطالب؛ حتى يسهل له السير في دراسة الحقيبة دون مدرس.
4- أنْ يجزأ المحتوى إلى قطاعات صغيرة، يعالج كل منها هدفاً أو مفهوماً منفرداً.
5- ضرورة وجود خطوط السير الواضحة للطلبة.
6- أنْ تخدم الأنشطة الموجودة الطلبة على اختلاف مستوياتهم.
7- أنْ تتنوَّع الأنشطة وتكون مشوِّقة.
8- أنْ تشتمل الحقيبة على وسائل أخرى غير المطبوعة.
9- ضرورة توافر ظروف الممارسة المستمرة وتطبيق المعرفة والتقويم.
10- إطلاع كل طالب على نتائجه بعد كل اختبار ذاتي. **(زيد هويدي،1990:32)**

الخلاصة:

إنَّ الحقيبة التدريبية ذات مزايا وفوائد في العملية التدريبية التعليمية نجملها فيما يلي:

- تزويد المشارك بأنواع مختلفة من المصادر والأنشطة التعليمية كالزوم المطبوعة، والتقنيات السمعية البصرية الملائمة للمهمة التعليمية.
- تزويد المتعلم بمواد تعليمية يستطيع أنْ يستخدمها وفقاً لحاجاته وسرعته في التعلم.
- تزويد المتعلم بتعليمات تفصيلية توجهه في عملية التعلم.
- التركيز على المهمة التعليمية المحددة (Learning Task) وبالتالي لا تضيع المهمة في الفصول والتفصيلات غير الضرورية.

- توفير نقاط مراجعة ذاتية للمتعلم (Built – in Check points) ووجود هذه النقاط تعين المتعلم على مراجعة إتقان لجزء من المهمة التعليمية.
- تهيئة الفرصة لتحسين نوعية التدريب. فالحقائب التدريبية تخضع لعملية اختبار قبل تعميمها، كما أنَّها تحدث باستمرار، ممَّا يتيح الفرصة للمتعلم للإفادة من هذه التحسينات، حتى ولو لم يكن هناك مدرب بجانبه.
- توفير التنويع والبدائل وتحرير الطلبة من قيود الزمان والمكان، وزيادة التحصيل الدراسي.
- تنمية المهارات لدى الطلبة من خلال البحث والتلخيص والتحليل والتركيب والتقييم واستخدام الوسائل التعليمية.
- تغيير الاتجاهات من الطرق التقليدية لدى الطلبة إلى الطرق الإيجابية من خلال إشراك المتعلم في عملية التعلم بشكل نشط، وتحمُّلهم المسؤولية في التعلم من أجل الإتقان.

التوصيات:

1- تدريس المقررات التي يغلب عليها الطابع العملي بالكليات العلمية بأسلوب من أساليب التعلم الفردي ولاسيما الحقائب التعليمية.

2- تدريب المعيدين والمدرسين المساعدين بمختلف الكليات العلمية بالجامعة على كيفية إعداد الحقائب التعليمية.

3- إعداد أماكن وورش التعلم بمختلف الكليات بما يتناسب وطبيعة التعلم الفردي، وتوفير كل ما يمكن أن يحتاج إليه .

4- الاستفادة من الحقائب التعليمية في تدريب المدرسين وأخصائي تكنولوجيا التعليم أثناء الخدمة على استخدام الحقائب التعليمية.

5- تدريب طلبة المراحل الدراسية المختلفة ابتداء من مراحل التعليم الأساسي وانتهاءً بطلبة الجامعات على إتباع أساليب التعلم الفردي في التعلم ومنها الحقائب التعليمية.

المقترحات:

في ضوء الأدبيات السابقة اقترح ما يلي:

1- إعداد برنامج لتدريب الطلبة على كيفية إعداد الحقائب التعليمية.

2- إعداد حقائب تعليمية لتدريب الطلبة على كيفية استخدام المواد التعليمية الموجودة في كل مؤسسة تعليمية بطريقة صحيحة.

3- إعداد حقائب تعليمية لتدريب الطلبة على مهارات تشغيل وصيانة أجهزة عرض تعليمية.

هوامش البحث:

1- ليلى سهل(2016)، دور الوسائل في العملية التعليمية، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.

2- رياض الكريطي، (2014) واقع استخدام التقنيات التربوية في صفوف التربية الخاصة، جامعة بابل، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد الثاني عشر.

3- عبد الرحمن سليمان،(2009) التكنولوجيا التعليمية والمعلوماتيتة، الإمارات العربية المتحدة، العين، دار الكتاب الجامعي.

4- صبحي عزيز، (2005)، تقنيات التدريب، العراق، مطبعة الأديب للنشر والتوزيع، العراق

5- لمياء حسن الديوان،(2007)، أثر استخدام الحقيبة التعليمية على مستوى تعلم بعض المهارات لدى طلبة التربية البدنية، أطروحة دكتوراه كلية التربية، جامعة البصرة، العراق.

6- سلمى زكي الناشف، (1999)، طرق تدريس العلوم، عمان، الأردن، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

7- توفيق مرعي وآخرون، (1998)، تفريد التعليم، عمان، دار الفكر للطاعة والنشر.

8- بشرى فاضل زبون،(2010)، توظيف الحقائب التعليمية كوسيلة لتعزيز المناهج الدراسية في الكليات الإنسانية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد الحادي والستون.

9- سيد عبد الحليم، (1997)، توظيف تكنولوجيا التعليم، القاهرة، الجمعية النصرية لتكنولوجيا التعليم.

10- عبد الحافظ سلامة، (1998)، مدخل إلى تكنولوجيا التعليم، ط2، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

11- رياض الجبان، (1989)، الرزم التعليمية (تطورها- خصائصها- مكوناتها - تصميمها- تقويمها- شروط استخدامها)، مجلة تكنولوجيا التعليم، العدد21، السنة 13.

12- محمد رضا بغدادي، (1997)، موازنة بين أثر كل من التعليم المبرمج والتعليم التقليدي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض.

13- سعيد جابر وآخرون،(1995)، المدخل إلى التدريس الفعال، الرياض، الدار الصولتية للنشر والتوزيع.

14- مصطفى محمد، عبد السميع وآخرون، (2004)، تكنولوجيا التعليم مفاهيم وتطبيقات، عمان، الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع.

15- يعقوب حسين نشوان،(1993)، التعليم المفرد بين النظرية والتطبيق، الأردن، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

16- يسرية عبد الحميد فرج، (2001)، "أثر استخدام الحقائب التعليمية على تنمية مهارات تشغيل وصيانة أجهزة العرض التعليمية لطلاب كلية التعليم بكليات التربية النوعية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية النوعية ــ جامعة المنوفية.

17- حسين حمدي طويجي، (1993)، التكنولوجيا والتربية، ط3، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع.

18- حسن شحاته، (1997)، الجديد في تدريس العلوم، القاهرة، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع.

19- محمد محمود الحيلة، (1996)، اثر التعليم الفردي في تحصيل طلبة السابع في مادة العلوم دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، السودان.

20- زيد محمد هويدي، (1990)، اتقان تعليم العلوم باستخدام تفريد التعليم، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، عمان، الأردن.

21- محمد غزاوي، حسين طويجي، (1991)، كفايات التدريس في وسائل الاتصال التعليمي، عمان، الأردن، مركز البحث العلمي.

22- بشير عبد الحميد كلوب، (1988)، التكنولوجيا في عملية التعلم والتعليم، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع.

أثر مساهمة الشمول المالي في تحقيق النجاح الاستراتيجي

دراسة ميدانية لمصرف الجمهورية الفرع الرئيسي

د. أبوبكر محمد الرباع
د. أبوعجيلة أبوبنينه عثمان عبدالسلام

ملخَّص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة موضوع الشمول المالي، وأثره في تحقيق النجاح الاستراتيجي، ولغرض تحقيق أهداف الدراسة تم تصميم قائمة استقصاء، وزعت على عيِّنة من موظفي مصرف الجمهورية الفرع الرئيسي، تضمَّنت القائمة عبارات ذات علاقة بالشمول المالي والنجاح الاستراتيجي، (المحاور الاجتماعية والاقتصادية والاستراتيجية)، وخلصت الدراسة إلى عدَّة استنتاجات، أهمها وجود علاقة بين محاور الشمول المالي، والنجاح الاستراتيجي والأثر الذي يمكن أن تعكسه تلك المحاور في تحقيق ذلك النجاح.

الإطار العام للدراسة:

مقدِّمة:

دأبت العديد من المصارف على تقديم العديد من الخدمات المصرفية، وبخاصة التي تمس جوانب عديدة منها: الاجتماعية والاقتصادية و الاستراتيجية، ومدى تأثير تلك الجوانب على مفهوم الشمول المالي، ومن المعروف أنَّه لم يعد تقديم الخدمات المصرفية من قبل المصارف مقتصراً على فئة معيَّنة أو نشاط معيَّن، بل تجاوز ذلك ليصبح ضمن مفهوم الشمول المالي، الذي يشير إلى ضمان حصول جميع فئات المجتمع، سواء أفراد أو مؤسسات على خدمات مالية، بغض النظر على مستوى الدخل. ومن الملاحظ أنَّه خلال السنوات الأخيرة لوحظ اندماج العديد من الشركات في الاقتصاد الرسمي، الأمر الذي أدَّى إلى زيادة شدَّة المنافسة في القطاع المصرفي من حيث مستوى تقديم الخدمات المصرفية، مع مراعاة التركيز على مفهوم حماية المستهلك. ونظراً للأهمية النسبية للقطاع المصرفي باعتباره العمود الفقري في النظام المالي، فهو من القطاعات الأكثر عرضةً للمخاطر، على الرغم من

التطورات المهمة التي تعتمد عليها بعض المؤسسات.

أولاً- مشكلة البحث:

نتيجة للتحديات والصعوبات التي يواجهها الأفراد المتعاملين مع المصارف، وتتباين شدتها بتباين الخدمات المقدَّمة لهم من حيث العدد والنوعية، والشمول للعديد من الأغراض التي تودي إلى الاستقرار المالي (Yang, David C,2004)، وتسعي المصارف إلى تحقيق الأهداف كالبقاء في السوق، ومدى استجابتها للظروف المحيطة؛ سعياً منها لتحقيق النجاح ببعده الاستراتيجي، وهنا لابد من الإشارة إلى أنَّه لابد من اتخاذ القرار السليم والرشيد لإدارات المصارف بالشكل الذي يضمن حماية زبائنها وتحقيق أهدافها الاستراتيجية، التي تضمن نجاحها من جانب آخر. والسؤال الرئيسي الذي يطرح نفسه هنا هل مستوى الخدمات التي تقدمها المصارف تنعكس على نجاحها الاستراتيجي؟ وهل الزبائن والأفراد راضون عن مستوى الخدمات المقدَّمة إليهم؟

وللإجابة على هذا التساؤل لابد من الإجابة على الأسئلة الفرعية الآتية:

- هل يوجد أي أثر للشمول المالي على النجاح الاستراتيجي للمصرف؟
- هل توجد علاقة واضحة بين الشمول المالي والنجاح الاستراتيجي؟

ثانياً- الدراسات السابقة:

1- دراسة (معالي عبد اللطيف، 2015م)، اعتمدت هذه الدراسة على الوقوف على أهم الإجراءات والقرارات التي اتخذها بنك المغرب، التي تهدف إلى تسهيل الخدمات المصرفية، وتعزيز وترسيخ الثقة والشفافية بين البنوك والعملاء، ومن أهم الإجراءات، تلك التي اتخذها بنك المغرب لدعم الشمول المالي، ومنها ما يلي:

- تعزيز ممارسات الشفافية.
- إنشاء مكتب للمعلومات الائتمانية.
- تسهيل إجراءات الخدمات المصرفية وتخفيض سعرها.
- تسهيل حل النزاعات بين مؤسسات الائتمان وعملائها.

2- دراسة (سمير عبد الله،2016م) تستهدف هذه الدراسة الاتفاقية بين هيئة سوق المال وسلطة النقد في فلسطين، وهي تهدف إلى بناء استراتيجية وطنية للشمول المالي من أجل زيادة الوعي المالي وحماية المستهلك، إضافة إلى تعزيز الأطر الرقابية

والقانونية التي تحكم عمل النظام المالي، وشكل الأفراد الذين يستخدمون بطاقات الصرف الآلي3.3% من البالغين فقط، أمَّا الأفراد الذين يستخدمون الانترنت في عمليات الشراء ودفع الفواتير، فبلغت نسبتهم 1.6% من البالغين فقط.

ثالثاً- فرضيات الدراسة:

- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الشمول المالي، والنجاح الاستراتيجي للمصرف محل الدراسة.
- لا يوجد أثر واضح للشمول المالي في تحقيق النجاح الاستراتيجي للمصرف محل الدراسة.

رابعاً- أهمية الدراسة:

نتيجة للتطورات التكنولوجيا المتسارعة، وللظروف الاقتصادية والسياسية المتغيرة في جميع المجالات، الأمر الذي جعل المصارف الليبية تتخذ إجراءات سريعة حول كيفية جذب الزبائن والمحافظة عليهم؛ لكي تضمن بقائها ونموها وتطورها في السوق، وكذلك التفكير ملياً بالعمل وفقاً لمبدأ الشمول المالي لتواكب تلك التطورات.

خامساً- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرُّف على مفهوم الشمول المالي، لما له من علاقة وارتباط قوي بالنجاح الاستراتيجي للمصارف على الأمد البعيد، وإمكانية قياس الأثر الذي يمكن أنْ يعكسه على نجاح تلك المصارف في المراحل المختلفة.

سادساً- منهج الدراسة:

1- **مجتمع الدراسة:** يتمثَّل مجتمع البحث في المصارف التجارية الليبية.

2- **عيِّنة الدراسة:** تم اختيار عيِّنة الدراسة والمتمثلة في مصرف الجمهورية (الرئيسي).

3- **أسلوب الدراسة الميدانية:**

تم أتباع المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنَّه يتناسب والأغراض التي تسعى إليها هذه الدراسة، وقد اعتمد الباحث للحصول على المعلومات على نوعين من مصادر جمع البيانات، وهي:

1- **المصادر الثانوية:** بأنْ تم الرجوع إلى مصادر البيانات الثانوية، التي تتمثَّل في الكتب والمراجع العربية والانجليزية ذات العلاقة، والدوريات والمقالات والتقارير والأبحاث التي تتناول موضوع الدراسة.

2- **المصادر الأولية:** لجأ الباحث لمعالجة الجوانب التحليلية لموضوع الدراسة إلى جمع البيانات الأولية من خلال قائمة الاستبيان، كأداة رئيسة للدراسة صممت لهذا الغرض.

سابعاً- حدود الدراسة:

1- الحدود المكانية: تستهدف هذه الدراسة أحد أهم أكبر المصارف التجارية في ليبيا (مصرف الجمهورية).

2- الحدود الزمانية: أجريت هذه الدراسة في الفترة من2018/11/1م، إلى 2019/4/30م.

الإطار النظري:

Financial inclusion: الشمول المالي

يشير مصطلح الشمول المالي إلى ضمان حصول جميع فئات المجتمع، سواء أفراد أو مؤسسات على خدمات مالية بغض النظر عن مستوى الدخل، ونظراً لما يقدِّمه الشمول المالي من إتاحة أكبر قدر ممكن من الفرص والخدمات المالية لمختلف الفئات التي يقدمها القطاع المصرفي من حسابات توفير، وخدمات دفع وتحويل وتمويل وائتمان نقدي (الركابي ،كاظم 2004) لتفادي عزوف بعض الأفراد، ولجوئهم للتعامل مع وسائل غير رسمية، الأمر الذي يجعل هذه القنوات والوسائل تستغل احتياجات هؤلاء الأفراد من الخدمات المالية والمصرفية.عليه فقد عرَّف البنك الدولي في تقريره الدولي عام 2014م الشمول المالي على أنَّه نسبة السكان المستخدمين للخدمات المالية من إجمالي عدد السكان(البنك الدولي 2014م).

: The importance of financial inclusionأهمية الشمول المالي:

تنعكس أهمية الشمول المالي في جمله من المحاور منها:

1-المحور الاقتصادي الذي يمكن أنْ يسهم في النمو الاقتصادي.

3-المحور الاجتماعي الذي يشير بدوره إلى تحسين الحالة المعيشية للعملاء (البنك العربي الإفريقي الدولي2014م).

3-المحور الاستراتيجي، باشرت العديد من الدول إدراج الشمول المالي كهدف من الأهداف. الاستراتيجية (العزاوي2008م) وتهتم بعض الدراسات الحديثة بكيفية المواءمة بين الشمول المالي كهدف استراتيجي، وبين الأهداف المتعارف عليها، وهي الاستقرار المالي والنزاهة المالية وحماية المستهلك، وقد أجمل

صندوق النقد العربي أهمية الشمول المالي في الآتي (صندوق النقد العربي 2015م).

– تسهيل القيام بالمعاملات اليومية بما في ذلك عملية تحويل الأموال واستقبالها.

– حماية المدخرات التي تساعد على إدارة التدفُّقات النقدية، والاستهلاك المريح وبناء راس المال العامل.

– إدارة النفقات المتعلقة بالأحداث غير المتوقعة، مثل حالات الطوارئ والكوارث الطبيعية.

– تمويل المشروعات الصغيرة، ومساعدة أصحاب الشركات على الاستثمار في الأصول وتنمية أعمالهم.

– تحسين مستوي المعيشة بشكل عام.

The goals financial inclusionأهداف الشمول المالي:

أصبح الشمول المالي يمثِّل أولوية بالنسبة لواضعي السياسات والهيئات في جميع أنحاء العالم، إذ يعد عاملاً رئيساً للحد من الفقر، وتعزيز الرخاء حيث وضع العالم وأرسى بعض الآليات لتسريع وتنفيذ الشمول المالي عالمياً ومحلياً، والنقاط الآتية توضح أهم الأهداف.

1- تسهيل استخدام التكنولوجيا ودخول المؤسسات المبتكرة والمتطورة حيث يستفيد مقدمو الخدمات المبتكرة والمتطورة من التكنولوجيا، ومن البنية التحتية والبيانات الكبيرة من أجل تخفيض تكاليف الخدمات المالية المناسبة (صندوق النقد العربي 2016م).

2- مكافحة تمويل الإرهاب وغسيل الأموال، ومن أجل التغلُّب على هذه المشكلة يجب وجود نظام قائم على مكافحة الإرهاب وغسيل الأموال، وسهولة التعرُّف على الهوية من خلال استخدام التقنيات الرقمية في هذا المجال.

3- تشجيع تطوير المنتجات المالية المبتكرة والمنخفضة التكاليف(Essadiq,t2006).

4- تعزيز البنية التحتية المالية، من خلال التوسُّع في نظام إعداد التقارير الائتمانية، وتحسين الكفاءة وسهولة الوصول إلى نظم مدفوعات التجزئة.

5- حماية المستهلكين، بأنْ يجب حماية المستهلكين من ضرر مقدمو الخدمات المالية(البكري 2008م).

6- تعزيز تنوُّع المؤسسات المالية، حيث أصبح من الضروري وضع

الأطر القانونية والتنظيمية التي تسمح بدخول هذه المؤسسات المتنوِّعة.

7- الاستثمار في الإشراف واستخدام التكنولوجيا لتحسين الموارد المحدودة، لأنَّه من الصعب إدماج أي قطاع مالي لا يخضع للإشراف، لذا يجب الاستثمار واستخدام التكنولوجيا؛ لتسهيل عملية الرقابة والإشراف.

عوامل النجاح في الشمول المالي The success factors of financial inclusion:

لتحديد عوامل النجاح الرئيسية التي يمكن أنْ توثر في تقدم الصناعة، والخدمات المقدَّمة في أي منظَّمة، لابد من معرفة ما هي متطلَّبات الزبائن، ومدى قدرة المنشأة على البقاء في بيئة شديدة المنافسة، وهنا يمكن تحديد بعض العوامل على النحو الآتي:

- تحديد الأبعاد الأساسية للمنافسة.
- تحليل رغبات الزبائن من خلال القيام بجمع المعلومات عن مدى رغبة وميول الزبائن ونوعية الخدمة المقدَّمة إليهم (Bedard, J.2003)
- القدرة على المنافسة والنمو.

يمكن تحديد بعض المقاييس الأساسية للنجاح، فمؤشر الربحية يعد مقياساً في الأمد القصير، والقدرة على البقاء يعد مقياساً جيداً في الأمد الطويل، وأنَّ التعرُّف على الطريقة التي بموجبها تعمل المنشأة على إثبات جدارتها وقدرتها في بيئة العمل، يكمن في الحصول على الأرباح وهذا مؤشر جيد لنجاح تلك المنشآت.

أبعاد النجاح الاستراتيجي:

تباينت العديد من وجهات النظر في تحديد الأبعاد الرئيسية للنجاح الاستراتيجي، فقد تناول (Thomson ,1997) الأبعاد على أنَّها تشمل الجوانب (التعلم، الاستراتيجية، التغير الاستراتيجي) في حين ذكر(Albrchts,kart,2004) أنَّ الإبعاد تشمل (الرؤية، الرسالة، الأهداف، المخرجات) أمَّا (الركابي،2004) فقد ذكر أنَّ الأبعاد الأساسية للنجاح الاستراتيجي تتمثَّل في (البقاء، التكييف، النمو) وأشار(Sukasame,2005) بأنَّها (جودة الخدمة، رضا الزبون، نسبة النمو، ثقة الزبون) وذكر (العزاوي،2008) أنَّ الأبعاد هي (البقاء، النمو، والتكييف)وعليه فأنَّنا سوف نركِّز على أبعاد النجاح الاستراتيجي (البقاء في السوق، التطور

والنمو، التكييف مع الظروف المحيطة، التعليم المستمر) في الجانب العملي كونها كانت الأكثر تكراراً من الأبعاد الأخرى.

الإطار العام لمنهجية الدراسة الميدانية:

- **وصف مفردات عيِّنة الدراسة:**

اعتمد الباحث على المنهج الميداني الذي جمع بين الوصف وتحليل البيانات، التي جمعها ميدانياً من العيِّنة العشوائية من مجتمع الدراسة، والمتمثلة في موظفي مصرف الجمهورية (الفرع الرئيسي) وقد تم توزيع عدد 50 استمارة استبيان على عدد 50 موظفاً، يمثلون مفردات العيِّنة، وتم استعادة 50 استمارة استبيان، أي ما نسبته 100% من إجمالي عدد استمارات الاستبيان الموزَّعة، والجدول التالي يوضِّح عدد الاستبيانات الموزَّعة، والخاضعة للتحليل.

جدول رقم 1 يبيِّن عدد الاستبيانات الموزَّعة والمرجَّعة والخاضعة للتحليل.

اسم المصرف	الاستبيانات الموزَّعة	الاستبيانات المرجَّعة	الاستبيانات المستبعدة	لاستبيانات الخاضعة للتحليل
الجمهورية	50	50	لايوجد	50

المصدر: إعداد الباحث.

-التحليل الوصفي للبيانات:

يشتمل هذا التحليل على وصف لبعض خصائص مفردات عيِّنة البحث الديموغرافية، وهي العمر والمؤهل العلمي وسنوات الخبرة، والجدول التالي يوضِّح الإجابات حول المعلومات الشخصية (الديموغرافية).

جدول 2 يوضِّح أهم الخصائص الديموغرافية لمجتمع الدراسة.

ت	الخصائص	البيان	التكرارات	النسبة المئوية
1	الجنس	ذكر	39	%78
		أنثي	11	%22
2	العمر	35-44	9	%18
		45-55	24	%48
		56 فأكثر	17	%34
3	المؤهل العلمي	دبلوم متوسط	15	%30
		بكالوريوس	22	%44
		ماجستير	13	%26
4	سنوات الخبرة	أقل من 5 سنوات	10	%20
		5-10 سنوات	15	%30
		10 سنوات فأكثر	25	%50

المصدر: إعداد الباحث أستناداً إلى نتائج الدراسة.

نلحظ في الجدول السابق أنَّ 78% من أفراد العيِّنة هي من الذكور، وأنَّ ما نسبته 22%من الإناث.

كمل يلحظ أيضاً من خلال الجدول رقم (2) أنَّ ما نسبته 18% تشير إلى الفئة العمرية 35-44، بينما48 % تمثِّل الفئة العمرية 45-55 سنة، في حين أنَّ نسبة 34% تمثِّل الفئة العمرية 56 سنة فأكثر، وهذا يدل على أنَّ ما يقرب من نصف أفراد العيِّنة هم من الفئة العمرية 45-55، يليها في ذلك الفئة 56 سنة فأكثر.

أمَّا بالنسبة لمتغير المؤهل العلمي فيشير إلى أنَّ معدل 30% يمثِّل أفراد العيِّنة الحاصلين على شهادة الدبلوم، فيما يمثِّل معدل 44% أفراد العيِّنة الحاصلين على شهادة البكالوريوس، وأنَّ معدل26% يدل على أفراد العيِّنة الحاصلين على شهادة الدبلوم العالي.

ويمثِّل متغير السنوات الخبرة معدل 20% ممَّن لديهم سنوات خبرة أقل من 5 سنواتــ ومعدل 30% ممَّن لديهم سنوات خبرة 5-10 سنوات، ويبين معدل 50%

ممَّن لديهم خبرة أكثر من 10 سنوات، وهذا يدل على تحلِّي أفراد العينة بالخبرة والمهارة في العمل.

تحليل متغيرات الدراسة:

يمثِّل المحور الثاني في الاستبيان تعريف الشمول المالي والنجاح الاستراتيجي، حيث وضعت تلك التعريفات كخيارات لمعرفة مدى استيعاب ومعرفة المستجيب لها، والجدول رقم(3) يبين ذلك.

جدول 3 يبين التكرار والنسب المئوية لكل من الشمول المالي، والنجاح الاستراتيجي:

	Y1	Y2	Y3	W1	W2	W3	W4
Freg	8	6	24	18	14	36	45
Perc	12.6%	11%	41.4%	31.3%	23%	62.2%	79.4%

المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى نتائج الدراسة.

بالاطلاع على البيانات الواردة بالجدول (3) يتبيَّن أنَّ ما نسبته 12.6% قد اختاروا المحور الاجتماعي ويرمز له (y1)، والمتمثِّل بحصول الثقة لدى الزبون بتعامله مع المصرف، ومحاولة المصرف مراعاة احتياجاته ومتطلباته، ويراعى مبدأ الشفافية في طرح البيانات.

بينما ما نسبته11% قد اختاروا المحور الاقتصادي المتمثِّل بالرمز(y2)، الذي يمثِّل زيادة دخل الزبون، وتقليل نفقاته وكيفية جذبه من قبل المصرف، وبما يحقِّق احتياجاته الاقتصادية وبأقل المخاطر.

في حين يشير معدَّل 41.4% قد اختاروا المحور الاستراتيجي المتمثِّل (y3) الذي كان أعلى معدل مقارنة بالمحاور الأخرى (y1،y2) للشمول المالي ممَّا يدل على أهميته.

أمَّا فيما يخص أبعاد النجاح الاستراتيجي فقد دل معدل 31.3% للبعد **w1** قدرة المصرف على البقاء والعمل في السوق في ظل البيئة والظروف المحيطة،

ويشير معدل 23% للبعد **w2** قدرة المصرف على التكييف والاستجابة السريعة للظروف المتغيرة والمحيطة.

أمَّا المعدل 62.2% للبعد **w3** متمثلاً ببعد النمو وقابلية المصرف على ممارسة نشاطه من خلال تنوُّع الخدمات، وزيادة رأس المال البشري.

هذا وقد أشار المعدل 79.4% المتمثِّل في البعد **w4** الخاص بالتعليم المستمر والتدريب، وبالمقارنة مع الأبعاد السابقة فقد تحصَّل البعد **w4** على أعلى النسب لما له من أهمية كبيرة في تهيئة المناخ الملائم للنجاح الاستراتيجي للمصرف على الأمد البعيد.

تحليل العلاقة بين متغيرات الدراسة:

1. العلاقة بين(**y1**،**y2**،**y3**) مع **w1** حيث أشارت النتائج إلى وجود علاقة طردية بينهما، أي أنَّه كلما زاد **y1**،**y2**،**y3** فأنَّه يودي إلى زيادة **w1**، لكنها ليست معنوية.

2. العلاقة بين (**y1**،**y2**،**y3**) مع **w2** أشارت النتائج إلى أنَّ العلاقة **y1** مع **w2**علاقة عكسية، لكنها ليست معنوية؛ لأنَّ (p.eulav) أكبر من 0.05 بينما **y2** مع **w2** علاقة معنوية طردية وعلاقة **y3** مع**w2** علاقة عكسية غير معنوية.

3. العلاقة بين (**y1**،**y2**،**y3**) مع **w3** أشارت النتائج بوجود علاقة طردية بين كل من**y1**،**y2**،**y3**و **w3** أي أنَّه أي زيادة في y ستؤدي إلى زيادة **w3** لكنها ليست معنوية.

4- العلاقة بين (**y1**،**y2**،**y3**) مع **w4** أشارت النتائج لوجود علاقة مختلفة بين كل من **y1**،**y2**،**y3** مع **w4** فعلاقة **y1** مع **w4** علاقة عكسية، بينما علاقة **y2** مع **w4** علاقة طردية و**y3** مع **w4** هي علاقة طردية.

تحليل الأثر بين متغيرات الدراسة:

Model Summary جدول 4

Model	R	R square	Adjusted R square	Std Error of the estimate
W1	0.332	0.111	0.007	0.4492
W2	0.510	0.279	0.195	0.208
W3	0.4336	0.05-	0.096	0.312
W4	0.52	0.141	0.053	0.386

المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى نتائج الدراسة

1- **تحليل الأثر بين المتغيرات y1،y2،y3 مع w1:**

من النتائج الإحصائية الواردة بالجدول رقم(4) بلغ قيمة الانحراف المعياري المقدَّر 0.4492 وأنَّ erouqs R تساوي 0.111 وبلغت قيمة R 0.332 وهذا يدل على أنَّ المتغيرات المستقلة **y1،y2،y3** ذات تأثير طردي ضعيف.

2-تحليل الأثر بين المتغيرات y1،y2،y3 مع w2:

بالاطلاع على البيانات الواردة في الجدول بلغت قيمة الانحراف المعياري المقدَّر 0.208 وأنَّ erouqs R تساوي 0.279 وقيمة 0.51R وهذا يدل على أنَّ المتغيرات المستقلة **y1،y2،y3** جميعها ذات تأثير طردي متوسط.

3-تحليل الأثر بين المتغيرات y1،y2،y3 مع w3:

بلغ الانحراف المعياري المقدَّر 0.312 وأنَّ erouqs R تساوي 0.05- وبلغت قيمة R 0.4336 وهذا يدل على أنَّ المتغيرات المستقلة **y1،y2،y3** ذات تأثير طردي.

4-تحليل الأثر بين المتغيرات y1،y2،y3 مع w4:

بالاطلاع على البيانات الواردة في الجدول بلغت قيمة الانحراف المعياري المقدَّر 0.386 وأنَّ erouqs R تساوي

0.141 وبلغت قيمة 0.52R وهذا يدل على أنَّ المتغيرات المستقلة **y1،y2،y3** جميعها ذات تأثير طردي ضعيف.

النتائج والتوصيات:

مما تقدم توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. توجد علاقة واضحة للشمول المالي، وبين النجاح الاستراتيجي بأبعاده (القدرة على البقاء في السوق- التكييف مع الظروف المحيطة- التطور والنمو- التعليم المستمر) وهذا يتعارض مع الفرضية الأولى للدراسة، فهناك اختلاف واضح في نوع العلاقة الموجودة بين الشمول المالي والنجاح الاستراتيجي بمحاوره، وهو ما تم توضيحه في السابق.

2. يوجد أثر للشمول المالي على تحقيق النجاح الاستراتيجي بأبعاده الأربعة (القدرة على البقاء في السوق- التكييف مع الظروف المحيطة- التطور والنمو- التعليم المستمر)، وهو ما يتعارض مع الفرضية الثانية للدراسة، الأمر الذي يدل على أنَّ اتباع المصارف لأسلوب الشمول المالي سيؤدي بالنتيجة إلى تحقيق النجاح الاستراتيجي على الأمد البعيد.

3. أظهرت النتائج أنَّ هناك العديد من الأسباب التي جعلت من المحاور الرئيسية للشمول المالي (الاجتماعية، الاقتصادية، الاستراتيجية) توثر بشكل أو بآخر في تحقيق النجاح الاستراتيجي بأبعاده الأربعة.

بناءً على النتائج السابقة يوصي الباحث بالآتي:

1. يجب أنْ تسعي المصارف إلى استغلال كافة إمكانياتها البشرية والمادية لجذب الزبائن من خلال زيادة الكفاءة المالية، وتقديم أفضل مستوى من الخدمات وصولاً للأهداف الاستراتيجية.

2. يجب أنْ تهتم المصارف المتبنية لأسلوب الشمول المالي، بجانب التعليم المستمر الأمر الذي يؤدي بالمصارف إلى توظيف هذه المعرفة في معالجة الأخطاء وحل المشاكل.

3. إدراك المصارف أنَّ إتباع المحاور (الاجتماعية، الاقتصادية، الاستراتيجية) في مجال الشمول المالي له تأثير على بقائها في السوق والقدرة على المنافسة.

4. ضرورة اهتمام المصارف بالاستغلال الأمثل للشمول المالي بكافة جوانبه، كخدمات التحويل المالية، وأنظمة الدفع الالكتروني، وخدمات الصرَّاف الآلي،

وخدمات التعامل بالأوراق المالية والصكوك بما يحقِّق النجاح الاستراتيجي في المستقبل.

مراجع البحث:

أولاً- المراجع العربية

- البكري، تامر ياسين، استراتيجيات التسويق، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2008م.
- البنك العربي الدولي، "البنوك تتبني 3 محاور أساسية لتطبيق الشمول المالي" جريدة المال، القاهرة،2014م.
- الركابـــــي، كاظـــم نزار، الإدارة الإستراتيجية، العولمة والمنافسة. دار وائل للنشر، عمان الأردن ،2004م.
- العزاوي، بشري محمد، "أثر المواءمة بين الذكاء الاستراتيجي وقرارات عمليـــات الخدمـــة فـــي النـــجـــاح الاستراتيجي" جامعة بغداد ،2008م.
- سمير عبد الله وآخرون، الشمول المالي في فلسطين، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية ،2016، ص23-24.
- صندوق النقد العربي، "العلاقة بين الاستقرار المالي والشمول المالي"، 2015م.
- صندوق النقد العربي، دورة أعمال حول مؤشرات السلامة المالية أبوظبي، ص10 ديسمبر،2016.
- معالي عبد اللطيف، تجربة بنك المغرب في مجال تعزيز الخدمات المالية، مجلس محافظي المصارف المركزية ومؤسسات النقد العربية، صندوق النقد العربي، 2015م.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

-Albrecht&kremieier" **pensionsperfehaltuaqim land writsh of licheu:management,baulichean aleqen in der pferdehaltung**" ,land wirschaftsvig munster,lsbn,2004

-Essadiq، T.&Latifa، N (2006). Effort sand obstacles of privatization in Arab countries. Abu, Dubai.

-Bedard, J. Etterdge, M. &Johnston, k. (2003). "The Effect of Training on Auditors Acceptance of An Electronic Work System. International

Journal of Accounting Information System. 4(4).

-Thompson,johnl,"**strateqic management awareness and chaqe**",3rd .thompson business ,press,usa,1997

-sukasame,nittana "**E-service quality a paradiqm for competitive success of eservice entreprneurs**"2005

-Yang، David C.، and Liming Guan.(2004) "The evolution of IT auditing and internal control standards in financial statement audits: The case of the United States."Managerial Auditing Journal.

ثالثا المواقع على الانترنت

www.blogs.worldbank.org

www.hbr.org

www.indexpolls.de

www.forbes.com

المواطن الليبي ومساهمته في النشاط السياسي

د. محمد عبدالرحمن الحنين
كلية التربية جنزور - جامعة طرابلس

مقدِّمة:

يمر العصر الحالي بتغيرات سريعة في مختلف المجالات، كالتقدُّم العلمي والتطور التكنولوجي، والانفتاح على العالم المتمثل في العولمة والتواصل الاجتماعي والثقافي والسياسي، ومن أجل هذه التطورات السريعة لزاماً علينا الاهتمام بالعقول البشرية وتنميتها؛ كي تكون قادرة على مواجهة القضايا والمشكلات، فقد أصبح من الضروري تنمية القدرات العقلية للمواطن ولاسيما في مجال الجانب السياسي.

من هذا المنطلق يمكن القول بأنَّ مساهمة المواطن في النشاط السياسي تعد من أهم المكونات العامة له، إذ يجب عليه فهم كل الأفكار التي تدور حول المواطنة والسياسة؛ حتى يكون قادراً على اتخاذ القرارات الصائبة في بناء شخصيته، ورسم سياسة مجتمعه، وهذا يتطلَّب بنائه اجتماعياً وسياسياً؛ ليكون عنصراً فاهماً وواعياً لكيفية التعبير عن مصالحه.

إنَّ مشاركة المواطن –الواعي المثقَّف– في رسم سياسة المجتمع تعد هي الدور البارز في الحياة السياسية، فمشاركته في مناقشة الأهداف العامة لمجتمعه من خلال الأنشطة السياسية المباشرة وغير المباشرة تعد من المبادئ الأساسية التي تسهم في تنمية المجتمع في جميع المجالات سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية أم سياسية.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الجانب السياسي، فيمكن القول إنَّه من المبادئ الأساسية لهذا الجانب هو مشاركة المواطن في الانتخابات التي تعد أفضل وسيلة لدعم الشخصية الديمقراطية على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع، فالفرد عندما يمارس ثقافة التنافس والاختلاف في الرأي يتعوَّد على قبول الرأي الآخر، ويحترمه فيقبل الهزيمة ويفرح بالفوز.

فالذي يجدر ذكره في هذا السياق أنَّ مشاركة المواطن في وضع الخطط الاستراتيجية التنموية والسياسية هي حق أساسي يجب أنْ يتمتَّع به كل مواطن في

مجتمعه، فمن حقه اختيار النواب الذين يراهم أكفاء في تسيير العملية السياسية من خلال الرقابة على الحكومة وتوجيهها لما فيه مصلحة المجتمع.

وتوضيحاً لما ذكر رأيت أنْ أتناول هذا الموضوع المعنون باسم: مساهمة المواطن الليبي في النشاط السياسي متتبعاً في دراسة عناصره المنهج التحليلي الوصفي.

أولاً– مشكلة الدراسة:

تعد ثقافة وتوعية المواطن من أهم المراحل التكوينية في حياته الاجتماعية والسياسة، لاسيما في هذا العصر الذي يمر بمختلف التغـيرات في كل المجالات، فالمجتمعات أصبحت منفتحة على بعضها، وامتزجت ثقافاتها من خلال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، فمن أجل هذا الانفتاح وتلك التطورات السريعة ظهرت كثير من الأفكار السياسية والثقافية، فسببت كثيراً من الصراعات الطبقية والطائفية والجهوية بين أفراد المجتمع.

ثانياً– أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة إلى أهمية الدور الذي يلعبه المواطن الليبي في المجال السياســي من خلال مشاركــته في الانتخابات، ووعيه في اختيار النواب الذين لهم القدرة والكفاءة في تسيير العملية السياسية في مدى فهم المواطن لمعنى المواطنة، وأيضاً مدى انتمائه لهويته وحرصه على مصالح مجتمعه.

ثالثاً– تساؤلات الدراسة:

1– ما مفهوم المواطنة والوطنية والهوية؟

2– هل كل المواطنين الليبيين يشاركون في عملية الانتخابات؟

3– ما مدى وعي المواطن الليبي لفهم الأحزاب السياسية؟

4– كيف تتم توعية المواطن الليبي؟

رابعاً– أهداف الدراسة:

1– التعرُّف على معنى المواطنة والوطنية والهوية.

2– التعرُّف على الصعوبات والعوائق التي تواجه المواطن الليبي في المساهمة السياسية.

3– توضيح أهمية التنشئة السياسية للمواطن الليبي.

خامساً– مصطلحات الدراسة:

1– المواطنة (Citizenship)

2– الهوية (Identity)

3– القومية (Nationalism)

4– السياسة (Politics)

5- التنـــشئـــــــة السياسيـــة (Political upbringing)

6- الأحـــــزاب السياسية (political parties)

سادساً- مفهوم المواطنة:

تناول المهتمون بمجال السياسة والاجتماع والقانون موضوع المواطنة ومفهومها، فاجمعوا على أنَّها تعني: العلاقة بين فرد طبيعي {إنسان} يرتبط بدولة من خلال القانون {الجنسية} التي تمنحه حقوقاً، وتفرض عليه واجبات، فالمواطنة إذاً هي الصفة التي تُمنح للمواطن، والتي بموجبها تحدَّد الحقوق والواجبات لأفراد المجتمع. ومن هنا فالمواطنة خصوصيّة ليست لأي صفة أخرى، فهي تتضمَّن انتماء وولاء المواطن لوطنه في كافة الأوقات، والعمل على خدمته دائماً[1].

ولمفهوم المواطنة مضامين عملية تكمن في نشر وتعزيز ثقافة التواصل والتفاهم، وإرساء ثقافة الحوار، والإحجام عن اللجوء للقوة والعنف عند الاختلاف في بعض القضايا، والاتجاه إلى الأسلوب المتحضر لحل النزاعات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّه هناك من يخلط بين مصطلح الوطنية والمواطنة، فالوطنية تعني: شعور الفرد بالالتزام لبلد أو أمة أو مجتمع سياسي، وحبه لذلك البلد.أمَّا المواطنة فهي الصفة التي تمنح للمواطن، وتحدَّد خلالها حقوق وواجبات أفراد المجتمع.

وفي هذا السياق يمكن الإشارة أيضاً إلى مفهوم القومية، وذلك لبيان الاختلاف بين هذا المفهوم ومفهوم الوطنية من حيث المعنى، لأنَّه هناك من يرى أنَّ هذين اللفظين مترادفين، ولكن هما ليس كذلك.

سابعاً- مفهوم القومية لغةً واصطلاحاً:

اشتق لفظ القومية من المادة اللغوية الأصلية وهي (ق.و.م.) وقوم قيل اسم للجمع، والقوم جماعة من الرجال والنساء جميعاً، وقيل يختص بالرجال دون النساء، فالذي يبرهن على ذلك هو قول الله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿**لا يسخر قومٌ من قوم عسى أنْ يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أنْ يكن خيراً منهن**﴾[2]، وقد ورد في بعض المعاجم "أنَّ الفعل الثلاثي من هذه المادة **قام** يقال قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسَّك به، والمقام والمقامة **المجلس** ومقامات الناس **مجالسهم** أيضاً، المقام الموضع الذي تقوم

فيه، ويقال للجماعة يجتمعون في المجلس"[3].

أمَّا التعريف **الاصطلاحي** لمفهوم القومية فقد تناوله الكثير من الكتَّاب والباحثين لعل من أشهرها التعريف الذي يرى أنَّ القومية هي "الرابطة التي تجمع بين أفراد الأمة الواحدة وتشدهم إلى بعضهم، وتشعرهم بأنَّهم متميزون عن الأمم بجملة مميزات ثقافية أو حضارية أو تاريخية أو سياسية"[4]

ومن خلال ما كتب عن مفهوم القومية نستنتج أنَّها شعور جماعة من الناس تربطهم رابطة اجتماعية وثقافية تدفعهم إلى اتخاذ مواقف موحَّدة، في كثير من المواجهات الرئيسة أهمها القضايا السياسية، ثم الميادين الثقافية الأخرى.

ومن خلال ما ذكر يتضح لنا أنَّ القومية تعني: الولاء لأمة واحدة، أمَّا الوطنية فهي تتضمَّن حب الوطن والتضحية من أجله، ومن أجل حماية الحرية المشتركة، ويمكن أنْ يكون الوطن منطقة أو مدينة، ولكن الوطنية عادة ما تنطبق على دولة لها حدود ومؤسسات ومقوِّمات.

إضافة إلى ذلك أنَّ مصطلح القومية ظهر بعد مصطلح الوطنية، حيث ترجع أصول الوطنية إلى إلفي سنة منذ العصور القديمة، فالجذور التاريخية لمفهوم الوطنية السياسية ظهرت على أيدي اليونانيين والرومان، وهي التي تصور الولاء للوطن كولاء للفكر السياسي للجمهورية.

ثامناً- المواطن والسياسة:

يعبِّر أغلب الناس عن ولائهم لأمة معيَّنة، وينمو شعـــــورهم بالولاء لتلك الأمة، وهذا الولاء أو الانتماء يعد من أهم الروابط الاجتماعية الفعَّالة، فكل مواطن في أي أمة يتقاسم مع أفراد مجتمعه شعوراً بالانتماء القومي الذي يميزه عن غيــره من المواطنين الآخــرين في الأمم الأخرى، فالمواطن الذي يتميز بتلك الصفات، ونشأ نشأة اجتماعية وسياسية بداية من الأسرة نجده هو الذي يشارك بفاعلية في الحياة السياسية، وذلك من خلال التصويــت فــي الانتخابــات وحضــور الاجتماعـــات السياسيــة، والاتــصال بالمسئولين، والتعبير عن انخراطه في الأمور السياسية بمختلف الطرق، وفي نفس الوقت نجد المواطن الآخر الذي لم

يصقل سياسياً لا يشارك في الحياة السياسية إلا بقدر محدود.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى توضيح مفهوم التنشئة السياسية وأهميتها، فهي تساعدنا على تفسير أوجه الشبه والاختلاف في الحياة السياسية بين أفراد المجتمع.

تاسعاً- مفهوم التنشئة السياسية:

يرجع تاريخ أوجه التنشئة السياسية إلى عهد الإغريق القدماء، إلا أنَّ الاهتمام بدراستها بشكل واضح ابتدأ في عصر الثورات الاجتماعية خلال القرن الثامن عشر، فمع قيام الثورة الصناعية في النظام الاقتصادي، والثورة الديمقراطية في النظام السياسي، أدرك المنظِّرون الاجتماعيون أنَّ وجهات النظر لأفراد المجتمع لها تأثيرها في النظام الاجتماعي والسياسي باعتبار أنَّ هذين النظامين- ولاسيما النظام الاجتماعي- يعتمدان على ميول وطباع العامة بنفس درجة اعتمادهما على القوانين المكتوبة وسلوكيات النخبة[5].

والواقع أنَّ مفهوم التنشئة السياسية تعدَّدت الآراء في تعريفه من قبل الكتَّاب والباحثين، فهذا المفهوم ينبثق من مفهوم التنشئة الاجتماعية بوجه العموم، وهذا يمكن إرجاعه إلى فكرة دور كايم عن الحتمية الثقافية، أو الحضارية التي تنطوي على فكرة إذابة الفرد في الجماعة.

ورغم تعدُّد الآراء حول معنى مفهوم التنشئة السياسية يمكن اختيار تعريف أرى أنَّه قد يكون شاملاً، ويجمع بين أغلب التعريفات التي اطلعت عليها في كتابة بعض الباحثين في هذا المجال. وهو "أنَّ التنشئة السياسية هي ذلك المجال من مجالات التنشئة الذي يتم عن طريقه تأهيل الفرد؛ ليصبح مواطناً (كائناً سياسياً) يمتلك المقدرة على التفاعل الإيجابي ضمن نسق سياسي معيَّن، ومن خلال الدور الذي يتقلَّده في إطار ذلك النسق، ويتم هذا ضمن نظام التدرُّج الاجتماعي، وطبيعته ومعاييره ودرجة المرونة والانفتاح فيه"[6].

وإذا نظرنا إلى علاقة التنشئة السياسية بحياة المواطن السياسية يمكننا القول بأنَّهما مرتبطان يبعضهما ارتباطاً وثيقاً حيث أنَّ التنشئة السياسية تهتم بالجذور الشخصية والاجتماعية لتوجهات أفراد المجتمع السياسية، فالحياة السياسية تتسم بوجود أوجه اختلاف وتشابه من حيث الارتباطات السياسية والشعور السياسي، فالمواطنون في أي أمة لهم شعور مشترك بالانتماء

القومي والولاء لوطنهم، وذلك وفق العوامل الاجتماعية التي تضبط المجتمع كالدين والأسرة والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية.

والأسرة تعد هي العامل الاجتماعي الأساسي في التنشئة الاجتماعية والسياسية؛ لأنَّها تربِّي أبنائها من خلال توظيف العوامل الاجتماعية الأخرى، فالأسرة تعد من أهم مؤسسات المجتمع

الذي يتطلَّب وجودها نمو واستمرار الجنس البشري بمظهريه الفردي والجماعي "فما كان للكائن البشري أنْ يصبح إنساناً وعضواً فعَّالاً في مجتمع بشري دون تربية تشكِّله، وتطبعه بطابع مجتمعه، وتكسبه ثقافة وقيم وعادات مجتمعه، وكثيراً من صفاته الإنسانية والاجتماعية، التي ما كانت لتظهر لديه لو لم يتربَّى في مجتمع إنساني، يتعرَّض لمؤثرات تربية هذا المجتمع المختلفة"[7].

ورغم الدور الفعَّال الذي تتميز به الأسرة في تنشئة وتربية الأبناء، نجد أنَّ الأسرة في المجتمعات العربية لم يحض دورها باهتمام كاف لدى الباحثين، فأغلبهم ركـــزوا علـــى تكوينـــها ودورهـــا الاجتماعي من حيث تنمية القيم والتمسك بالعادات والتقاليد، وأهملوا الجانب السياسي الذي يعد مهماً في البناء الأسري. وفي هذا الصدد قد طالب الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة بوجوب منح الأسرة المساعدة والحماية الواسعة، باعتبارها الوحدة الاجتماعية الطبيعية في المجتمع، وهي التي تقوم برعاية أبنائها وتثقيفهم وتنشئتهم اجتماعياً وسياسياً.

وهنا تستوجب الإشارة إلى تعريف قانون حقوق الإنسان، وفق أراء بعض المفكرين الذين نذكر منهم: تعريف جان بكتيه "هو ذلك الجزء الخاص من القانون الدولي الذي شكَّله الإحساس بالإنسانية، والذي يستهدف حماية الفرد الإنساني"[8]، وعرّفه سان لارج بأنَّه "ذلك القانون الذي يتكوَّن من مجموعة القواعد القانونية الدولية المكتوبة أو العرفية، التي تؤكد احترام الإنسان الفرد وازدهاره"[9].

وهناك الكثير من التعريفات من قبل العلماء والمفكرين لقانون حقوق الإنسان، كلها تكاد أنْ تتفق

في المعنى العام، حيث تؤكد على أنَّه مجموعة من القواعد الدولية التي تتضمَّن حرية شخص الإنسان ورفاهيته، وتقرر أنَّه

مجموعة القواعد القانونية المكتوبة وغير المكتوبة التي تكفل احترام الإنسان.

عاشراً- مساهمة المواطن الليبي في المجال السياسي:

لو تتبعنا الوضع السياسي العربي منذ العصر الجاهلي نجده متفكِّكاً، وينقسم إلى وحدات متعدِّدة، قائمة بذاتها تتمثل في القبائل المختلفة، ولاشك أنَّ العصبية والقبلية هي التي كانت عائقاً لفكرة الترابط السياسي، وكذلك قسوة الطبيعة وصعوبة التنقل وتفشي البداوة منعت نشؤ دولة موحَّدة، لها نظام سياسي قائم على أسس صحيحة، ويمكن أنْ يكون العائق الأكبر في عدم وجود نظام سياسي شامل في المجتمع العربي آنذاك هو افتقاد النزعة والشعور بالقومية الشاملة، لذا كان وعي أفراد المجتمع في العصر الجاهلي ضعيفاً ومحدوداً، لا يتجاوز الانتماء للقبيلة التي تنهي عند الجد المشترك، فمجتمع شبه الجزيرة العربية كان مجموعة من مجتمعات القبائل كل قبيلة تشكِّل مجتمعاً قائماً بذاته، مستقلاً في إدارة شؤونه الاجتماعية والسياسية، فطبيعة مرحلة البداوة الجاهلية لا يمكن أنْ تفرز مؤسسات سياسية على صعيد التنظيم الاجتماعي.

وفي هذا الصدد ذكر بعض الباحثين "بأنَّ الحقيقة الأولى والأساسية في الفكر السياسي في المجتمعات القبلية هي أنَّ قرابة الدم هي الأساس الوحيد للأمة في تلك المجتمعات"[(10)].

ولكن رغم ذلك يمكننا القول بأنَّ طبيعة حياة المجتمع العربي في الجاهلية تعد مرحلة من مراحل التطور التاريخي لأنَّ القبيلة كانت وحدة التنظيم الاجتماعي في ذلك العصر، ومازالت حتى وقتنا الحاضر تلعب دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية والسياسية، فالترابط السياسي وليد عملية تطور تاريخية طويلة طرأت على العلاقات الاجتماعية.

والذي يجدر ذكره هنا أنَّ الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع العربي لا تزال حتى وقتنا الحاضر تخضع للانتماء القبلي والعصبية و الجهوية، على الرغم من أنَّ مبادئ الدين الإسلامي الذي يعتنقه أغلب سكان المجتمع العربي ينبذ القبلية والعنصرية و الجهوية.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار نظرة واتجاهات المواطن الليبي في ممارسة الحياة السياسية فلا نجد اختلافاً بينه وبين بقية المواطنين في الأقطار العربية

الأخرى؛ لأنَّ عاداته وتقاليده وانتماءاته هي نفسها لدى المواطن العربي. كذلك مرَّت بالمواطن الليبي حقبة من الزمن لم يمارس فيها السياسة وفق المتغيرات والتطورات السياسية التي تطرأ على العالم باستمرار، بل كان يمارس حياته السياسية وفق مفاهيم ومصطلحات كانت سائدة في النظام السياسي الليبي، تختلف عن النظام السياسي العالمي، فكانت أساليب مساهمة المواطن الليبي في الحياة السياسية تنطلق من تلك المفاهيم التي رسَّخت القبلية و الجهوية في ذهنه، فأصبح يسعى لمصلحته ومصلحة قبيلته فقط .

والجدير بالذكر أنَّ المواطن الليبي في النظام السياسي السابق لم يحض بثقافة سياسية مواكبة لتطورات العصر، وتؤهله ليكون عنصراً فعَّالاً في بناء المجتمع، فحجم ومدى مساهمة المواطن في الحياة السياسية مرتبط بالمتغيرات الاجتماعية والثقافية المختلفة، التي تكمن في التعليم والدخل والمهنة والسن وما إلى ذلك، فعادة نجد الإنسان المتعلم وصاحب الدخل الجيد هما من يشاركان في الحياة السياسية، ولكن المواطن في المجتمع الليبي وإنْ كان متعلماً أو غنياً لا يعطي اهتماماً للشأن السياسي، واعتقد أنَّ سبب ذلك هو الشعور بالاغتراب السياسي، وهو شعور الفرد بالغربة عن العمل السياسي، واعتقاده بأنَّ السياسة والسلطة في مجتمعه يسيرها بعض الأفراد الآخرين، لذا فأنَّه لا يرى مجالاً لشخصه في المشاركة الفعَّالة، فيصبح عدم الاكتراث صورة مجسِّدة لوجوده داخل الدولة.

والمتطلِّع إلى حالة الإنسان في المجتمع الليبي والمجتمع والعربي ككل، يدرك أنَّ هذا الاغتراب الشامل الذي أصبح في وقتنا الحاضر سمة اجتماعية لسلوك المجتمع، وعليه يمكننا القول بأنَّ المشاركة السياسية إنَّما هي ظاهرة تتميز بها المجتمعات الأوربية والمجتمع الأمريكي؛ لأنَّ المجتمع الشرقي والعربي لم يسهم في الحياة السياسية، واعتقد أنَّ السبب الأول هو اللامبالاة السياسية، وهي وهن في العزيمة. أمَّا الشعوب الأوربية التي اتخذت الديمقراطية هدفاً للحاضر و المستقبل فقد جسَّدت ظاهرة المشاركة السياسية من خلال العمل الحزبي والنقابي والانتخابات.

الحادي عشر- المواطن الليبي ودوره في الانتخابات:

يتفق المتخصِّصون في مجال العلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي، على أنَّه لا يمكن فهم وضعية المشاركة السياسية دون أخذ السياق السياسي بعين الاعتبار، والذي يكمن في مدى احترام حقوق الإنسان، وبخاصة تلك المرتبطة بالمشاركة مثل حرية الضمير، وحرية الرأي والتعبير عن الاتجاه الفكري والسياسي بحرية تامة من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

إنَّ هذه العناصر التي ذكرت هي الأساس في عملية المشاركة السياسية وتحقيق الديمقراطية، ولكن لم تكن لها فاعلية في الأنظمة العربية حيث نجد ملاحقة الصحفيين واعتقالهم وعقاب من يكتبون تعبيراً عن آرائهم، وإغلاق أي صحيفة معارضة للنظام السياسي، وملاحقة المثقفين والفنانين الذين ينشرون وجهات نظر نقدية، وهذه الانتهاكات قد لا تبرز فيها صورة النظام السياسي للدولة، وإنَّما تقوم نيابة عنه قوى محافظة مجتمعية تسايرها الدولة خشية الانتقاد الشعبي.

وإذا نظرنا إلى مدى مساهمة المواطن الليبي في الانتخابات سنجدها ضئيلة، وذلك لعدَّة أسباب أهمها: القيود على الدعاية الانتخابية، وعدم ثقة المواطن في نزاهة الانتخابات، والتزوير الذي يحصل في عملية التصويت، وبعض القيود التي تمنع المرأة من الترشح في الانتخابات.

كل هذه العناصر تعد عائقاً أساسياً في عزوف وابتعاد المواطن عن المشاركة السياسية، "فالفرد الذي يشعر بعداء تجاه المجتمع بصفة عامة، أو تجاه النظام السياسي بصفة خاصة، إمَّا أنْ ينسحب من كل أشكال المشاركة، وينظم إلى صفوف غير المبالين، وإمَّا أنْ يتجه إلى استخدام صور من المشاركة تتسم بالجدة والعنف"[11].

وفي نفس السياق يمكن إضافة بعض الأسباب الأخرى التي تعد عائقاً بين المواطن الليبي والمشاركة السياسية في المجتمع، التي تكمن في أنَّه هناك قدر من الارتباط بين المشاركة السياسية، والمشاركة في المجالات الأخرى غير السياسية مثل مشاركة الفرد في صنع القرار فيما يخص الاتجاهات الاجتماعية داخل أسرته والمؤسسة التعليمية التي يدرس فيها ، فمشاركة الفرد في المجال الاجتماعي تؤثر في اتجاهه السياسي لأنَّ

المشاركة في المجال السياسي عادة ما تصاحبها مشاركة واسعة في المجالات الأخرى، ولكن "هذا لا يعني أنَّ كل فرد ناشط اجتماعي يصبح ناشطاً سياسياً، ولكن يصبح من السهل عليه الانضمام إلى المشاركة السياسية"[12].

وعلى الرغم ممَّا ذكر فأنَّنا لا نجزم بأنَّ المواطن الليبي لا يسهم في العملية السياسية، فهناك الكثير من المواطنين الذين لا يذهبون إلى صناديق الاقتراع؛ لانتخاب من يمثِّلهم، لكنَّهم يسهمون في المجال السياسي من خلال الاهتمام بالقضايا العامة، وعلى فترات مختلفة، كما أنَّهم يتابعون الأحداث السياسية، ويشاركون في مناقشة قضاياها مع أفراد عائلاتهم أو زملائهم، وقد تزداد حدَّة المناقشات أثناء الحملات الانتخابية؛ لترشيح القياديين لمناصب في الدولة.

وفي هذا الصدد تستوجب الإشارة إلى دور المرأة الليبية في المشاركة السياسة باعتبارها مواطنة، ولكن نظراً لوقوع المجتمع الليبي فريسة لسياسة وثقافة الاستعمار في أحقاب متتالية، بقى المجتمع الليبي فترة طويلة من الزمن تحت مسمَّى المجتمعات المتخلِّفة. فالاستعمار بمختلف أشكاله الذي استعمر ليبيا وبقية أقطار الوطن العربية سعى جاهداً إلى طمس الهوية العربية، ومنع المجتمع العربي ككل من التقدُّم العلمي والتكنولوجي والسياسي، الذي هو أساس مبادئ الدين الإسلامي، فالمرأة تعرَّضت إلى قسوة أشد من القسوة التي فرضت على الرجل، حيث تم عزلها عن معركة الحياة الاجتماعية والسياسية، فجنست كرامتها وأصبحت لا مكانة لها في المجتمع، وهذا ما أراده الاستعمار للمجتمع الليبي والعربي ككل، وقد استخدم مبرِّرات واهية كاستخدامه للدين الإسلامي الذي أدخل عليه كثير من التغيرات؛ ليؤكد على موقفه، فالخطط التي رسمها الاستعمار للأقطار العربية توحَّدت، وإنْ اختلفت الأساليب، فهدفه واحد ألا وهو إخضاع أفراد المجتمع للنفوذ والولاء الأوربي "فقد أقام الاستعمار في العالم الإسلامي دعائمه على أساليب مختلفة، كان أخطرها توطين الأوربيين عن طريق التجارة كما فعل في الجزائر التي أوفد إليها نصف مليون فرنسي أوربي، وكذلك أوفد إلى البلدان العربية مئات الألوف من الأوربيين وأغلبهم من اليهود"[13].

إنَّ الخطط الاستعمارية التي رسمت لأجل تخلُّف المجتمع العربي رجالاً ونساءً، انبثقت منها عادات وتقاليد مخالفة للقيم الاجتماعية العربية، ومخالفة لمبادئ الدين الإسلامي الصحيحة، وكان لها الأثر الفعَّال في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الأقطار العربية.

وإنَّني لا أريد أنْ أتوسَّع بالحديث عن المجتمع العربي بصفة عامة؛ لأنَّ الهدف الأساسي في هذا العنصر من موضوع البحث هو توضيح مدى إسهام المواطن الليبي في الانتخابات، فتطرُّقي إلى ما ذكر يمكن أنْ يوضِّح أثر الترسُّبات التي خلَّفها الاستعمار في عقلية المواطن الليبي والعربي، فكانت سبباً في ظهور كثير من المعوقات القانونية الثقافية والاجتماعية والذاتية والسياسية؛ فالمعوقات القانونية تكمن في ضعف الإرادة السياسية في بلورة قوانين تقوم على المساواة في الحقوق، وعدم اقتصارها على المساواة أمام القانون، أمَّا المعوقات الثقافية والاجتماعية فهي تلك الموروثات الاجتماعية والنظام الأبوي القائم على عادات وتقاليد تمييزية، لم تكن عادلة في تقسيم الأدوار بين المواطنين، فقد حدَّدت دور المرأة في تربية الأطفال والأعمال المنزلية فقط، دون مشاركتها في شؤون الحياة العامة، وهناك معوقات ذاتية تعود إلى عدم وعي المواطن بأهمية دوره في المجتمع، وأيضاً معوقات سياسية تكمن في غياب التقاليد الديمقراطية.

الثاني عشر- أهمية التوعية السياسية للمواطن الليبي:

تعد قضية التوعية السياسية ذات أهمية كبرى ولاسيما في المجتمعات التي تسعى لترسيخ المفاهيم والقيم الديمقراطية في أذهان مواطنيها، لأنَّه إذا لم يكون المواطن فاهماً ومدرك للأمور الاجتماعية السياسية، لن يستطع المشاركة الفعَّالة في البناء الاجتماعي والسياسي.

وقبل التطرُّق بشكل أوسع لأهمية الوعي السياسي للمواطن تستلزم الإشارة إلى تعريف هذا المفهوم لغةً واصطلاحاً وفق أراء العلماء والكتَّاب.

معنى الوعي لغة: هو الفهم وسلامة الإدراك[14]، وكذلك يعني في اللغة حفظ القلب للشيء الرديء. والحديث يعيه وعياً أو رآه أي حفظه وفهمه وقبله فهو واع[15].

أمَّا معنى الوعي اصطلاحاً فهو: إدراك الفرد لنفسه وللبيئة المحيطة به[16].

وإذا نظرنا إلى مفهوم الوعي عند الفلاسفة، فهو يرتبط بجذور فلسفية قديمة، عاصرت الفكر الإنساني حيث بدأت التصورات عن الوعي عندما أثار الفلاسفة مشكلة العلاقة بين الفكر والمادة فاتفق كل من هيرقليطس و سقراط وأفلاطون على تعريف محدَّد، وضعوه في كلمة واحدة، وهو الوجود[17]، وقد أعطى علماء النفس لهذا المفهوم عدَّة معاني منها: **الشعور** باعتباره مجموعة

من عمليات إدراك الفرد نفسه والعالم الخارجي والاستجابة، وكذلك عرَّفوه بأنَّه وعي الفرد الكامل وانتباهه، ويشير في هذا الصدد أحد هؤلاء العلماء، وهو **فرنسيس لوكال** بأنَّ الوعي يشمل حالات الحياة من النوم إلى أقصى حالات الحذر، وتركيز الانتباه في اليقظة[18].

وإذا نظرنا إلى معنى مفهوم الوعي السياسي بصفة خاصة، فأغلب الباحثين والكتّاب في مجال العلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي، اتفقوا على معنى لهذا المفهوم، ويمكن إيجازه في هذه السطور وهو: مجموعة من الآراء تجسِّد السياسة التي تنتهجها طبقة معيَّنة، أو جماعة اجتماعية، والسياسة نمط خاص من العلاقـــات بين الطبــقات والجماعــات الاجتماعية، تعتنق أيديولوجية لها أثرها المباشر على حياة الأفراد والمجتمع ككل، وذلك من خلال تأثيرها على العلاقات بين الطبقات ومضمون مناشط أجهزتها ومؤسساتها.

بعد توضيح معنى الوعي بصفة عامة والوعي السياسي بصفة خاصة لزاماً علينا أنْ نعرف وظيفته في المجتمع، لذا يمكننا القول بأنَّه عنصراً مهماً وممهِّداً لطريق ممارسة الحياة السياسة في مختلف المجالات الاقتصادية والعسكرية والقومية والسياسية، وفي مجال البنية الاجتماعية ومجال العلم والثقافة وبناء الدولة.

فالواقع أنَّ الوعي السياسي المزدهر يساعد على ممارسة المشاركة السياسية، وحرية التعبير عن الظواهر السياسية، واتخاذ القرار السياسي، وإذا كان المواطن ليس واعياً لما يدور حوله من ظواهر ومتغيرات ثقافية وسياسية في المجتمعات، لا يمكن أنْ يكون عنصراً فعَّالاً في بناء المجتمع.

فتوسيع دائرة الحرية السياسية في ظل ضعف الوعي السياسي يعد شرطاً أساسياً لتجاوز مواطن الضعف تدريجياً.

الثالث عشر-أهمية مشاركة المواطن الليبي في الحياة السياسية:

لقد ذكرت سلفاً أنَّ الإنسان الواعي بأموره الاجتماعية والسياسية هو الذي يكون عنصراً فعَّالاً في النهوض بالمجتمع إلى التقدم والازدهار، فالاقتدار السياسي حالة ذهنية يشعر فيها الفرد بأنَّه قادر على فهم الوضع الاجتماعي والسياسي، ويستطيع كشف الظواهر السلبية التي تظهر في المجتمع، ويعرف عواقبها على الفرد والجماعة، وكي يكون للمواطن الأثر الفعَّال في الحياة الاجتماعية والسياسية، لابد وأنْ يكون قادراً على التأثير في النظام الاجتماعي العام، بالوسائل السياسية والدستورية سواء من خلال إبداء الرأي في مختلف القضايا التي تواجه المجتمع، أو من خلال توجيه النقد البنَّاء لمن يملكون القرار، عندما يخطئون في قولهم وممارسته لأمور السياسة والاجتماع. وهنا لابد من توفر أمرين: الأول: يكمن في مرونة النظام السياسي في تقبُّل الرأي والرأي الآخر، والثاني: أنْ يقتنع الفرد بأنَّ آرائه النقدية سوف تلقى قبولاً وقيمة عند الآخرين، وهذا يتطلَّب أنْ يكون الفرد لديه قوة من الناحية الشعورية؛ تجعله يمارس السياسة بحرية كاملة، فيتعامل مع غيره من أفراد المجتمع في صياغة السياسات والقرارات، واختيار القيادات السياسية كأعضاء المجالس النيابية وغيرهم.

إنَّ تكوين الوعي السياسي في أي مجتمع يخلق تغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية للفرد، وهذا ما نلاحظه في المجتمعات المتقدِّمة، وما هم العناصر في تكوين الوعي السياسي وسائل الإعلام بمختلف أنواعها المستقلة والرسمية، وكذلك منظَّمات المجتمع المدني، ولا نغفل التثقيف الذاتي، وهو عن طريق القراءة الشهرية والفصلية في الكتب والصحف والدوريات السياسية، فهذه العوامل كلها تثري فكر المواطن، وتحقِّق أهداف المجتمع بشكل يضمن تحقيق الحد الأقصى من التقدُّم الثقافي والسياسي، ويتلاءم مع احتياجات ورغبات المجتمع، فمشاركة المواطن في الحياة السياسية تسهم في الترابط بين أفراد المجتمع، وترفع من شأن الولاء والمسؤولية، كما ترفع من مستوى الأداء وتحقق التكيف الاجتماعي، وتقضي على

صور استغلال السلطة والاغتراب وكذلك تحقق قيمة المساواة والحرية.

فأهمية المشاركة السياسية تأتي من أنَّها عملية لنقل وإبلاغ حاجات المواطنين إلى الحكومة، وكذلك تهدف إلى التأثير على سلوك الحكَّام من خلال توصيل المعلومات الأولية، التي تخدم المجتمع، وأيضاً من خلال الضغط على هؤلاء الحكَّام ليهتموا بتلك الأولويات.

والمشاركة السياسية عادة ما تكون على مستويات، فالمستوى الأول منها يكمن في ممارسة النشاط السياسي باستمرار، كما تكمن في حضور الاجتماعات بشكل متكرِّر، والمشاركة في الحملات الانتخابية، وتوجيه رسائل للمجلس النيابي وذوي المناصب السياسية، وللصحافة بشأن قضايا المجتمع وأيضاً هذه الفئة من ممارسي النشاط السياسي تشارك بالحديث في السياسة مع أشخاص خارج نطاق الدائرة الضيقة المحيطة بالفرد. أمَّا المستوى الثاني فيتعلق بالمهتمين بالنشاط السياسي، الذي يشمل الذين يصوتون في الانتخابات، ويتابعون ما يحدث في الساحة السياسية بشكل عام. أمَّا المستوى الثالث فيكمن في الهامشيين في العمل السياسي وهم من لا يهتمون بالأمور السياسية فلا يميلون للعمل السياسي ولا يخصصون أي وقت، أو موارد له فلا يشاركون في العمل السياسي إلا اضطرارياً، أو في وقت الأزمات، أو عندما يشعرون بأنَّ مصالحهم المباشرة في خطر، ومعرَّضة للتدهور. أمَّا المستوى الرابع فيكمن في المتطرِّفين وهم الذين يعملون خارج الأطر الشرعية القائمة في المجتمع، ويلجئون إلى أساليب العنف، فالمواطن أو الفرد الذي يشعر بأنَّ المجتمع يمقته، أو لا يقبل الوضع السياسي في الدولة، فيكن العداء للمجتمع أو النظام السياسي.

خلاصة القول المشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية تتسم بمجموعة من الخصائص أهمها يكمن فيما يلي:

1- إنَّ المشاركة سلوك تطوعي ونشاط إرادي حيث أنَّ المواطنين يقومون بتقديم مجهوداتهم التطوعية لشعورهم بالمسؤولية الاجتماعية تجاه القضايا والظواهر.

2- المشاركة ليست سلوكاً فطرياً يولد مع الإنسان، بل هي سلوك مكتسب يتعلَّمه الفرد أثناء حياته، من خلال تفاعله مع أفراد ومؤسسات المجتمع.

3- المشاركة سلوك إيجابي واقعي، أي أنَّها تترجم إلى أعمال فعلية وتطبيقية مرتبطة ارتبطاً وثيقاً بحياة وواقع الجماهير، فلم تكن مجرَّد فكرة عامة.

4- المشاركة أيضاً هي عملية شاملة ومتكاملة، متعدِّدة الجوانب والأبعاد، تهدف إلى اشتراك كل أفراد المجتمع في كل مراحل التنمية.

5- لا تقتصر المشاركة على مجال أو نشاط واسع من أنشطة الحياة، بل لها مجالات متعدِّدة اجتماعية واقتصادية وسياسية، يمكن للفرد أنْ يشارك في إحداها[19].

النتائج والتوصيات:

أولاً- النتائج:

تكمن النتائج في النقاط التالية:

1- أفرز الاستعمار الذي استعمر المجتمع الليبي والعربي ككل فترة طويلة من الزمن مشكلات عديدة، كان لها الأثر السلبي على هذا المجتمع ومؤسساته المختلفة، منها تغييب المواطن الليبي عن المشاركة السياسية ومحاولة طمس هويته وتجهيله.

2- كان نظام الدولة في العهد السابق يمنع ظهور الأحزاب، ويعدها منافية للديمقراطية؛ ممَّا جعل أغلب المواطنين الليبيين لا يعرفون معنى الحزب، وكيفية تأسيسه وعلاقته بالديمقراطية.

3- القبلية و الجهوية لا يزال لها الأثر الفعَّال في عملية المشاركة السياسية.

4- بعض العادات والتقاليد السلبية التي عمل الاستعمار على ترسيخها في عقلية وأذهان المواطنين الليبيين، كانت عائقاً في اتخاذ القرار السياسي السليم، الذي يخدم الوطن ويدفعه إلى التقدُّم.

ثانياً- التوصيات:

من أجل النهوض بواقع المستوى الفكري للمواطن الليبي، وتوسيع مداركه في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية أوصي بالتالي:

1- الاهتمام بالأسرة التي تعد النواة الأولى في عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية.

2- إضافة مقرَّر دراسي في المؤسسات التعليمية بمسمَّى (مدخل لعلم الاجتماع السياسي) يدرس من خلاله الطالب الظواهر والسياسية، ومدى ارتباطها بالظواهر الاجتماعية والثقافية.

3- فتح دورات تثقيفية من قبل الدولة تهدف إلى توعية المواطن في المجال السياسي.

4- تسخير وسائل الإعلام العامة والخاصة؛ لنشر الثقافة السياسية بين أفراد المجتمع.

هوامش البحث ومراجعه:

1ــ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية (2014م) التقرير الفني الأول للجنة، مقترح لمشروع مادة التربية الوطنية، تقرير غير منشور.

2ــ سورة الحجرات الآية11.

3ــ ابن منظور، لسان العرب مج 12، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت 2002م، ص 226ــ 228.

4ــ مجموعة من المؤلفين، قراءات في الفكر القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 1993م، ص168.

5ــ مجموعة من المؤلفين، ترجمة: مصطفى عبد الله خشيم، محمد زاهي المغيربي، التنشئة السياسة (دراسة تحليلية) منشورات:جامعة قاريونس، الطبعة الأولى، بنغازي،1990م، ص11.

6ــ إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات،الطبعة الأولى، بيروت،1999م، ص 210.

7ــ عمر التومي الشيباني، الفلسفة الحديثة للتربية، منشورات جامعة طرابلس،الطبعة الأولى. طرابلس: 1996م، ص 293.

8ــ نخبة من الأساتذة المتخصصين بجامعة حلوان، حقوق الإنسان وأخلاقيات المهنة، جهاز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي بجامعة حلوان، الطبعة الثانية2010م، ص19.

9ــ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

10ــ زهير حطب، تطور بني الأسرة العربية، والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة، منشورات معهد الإنماء العربي، الطبعة الثانية ،بيروت، 1980م، ص 3.

11ــ سويم العزي، المفاهيم السياسية المعاصرة، ودول العالم الثالث الطبعة **الأولى، 1987 م، ص80**.

12ــ فتحي البدري الحطاب، الخلفية الاجتماعية للمرأة وأثرها على المشاركة السياسية[رسالة ماجستير] أكاديمية الدراسات العليا 2007 م.ص 50.

13ــ أنور الجندي، العالم الإسلامي، الاستعمار والسياسي والاجتماعي، منشورات دار الكتاب اللبناني والمصري، الطبعة الأولى:1979م. ص394.

14ــ طه نجم، الصحافة المصرية وتشكيل الوعي الاجتماعي، دراسة في تحليل المضمون، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية رسالة ماجستير،1989م ص76، 77.

15ــ أمل عبد الفتاح عطوة، الوعي الاجتماعي للمرأة الريفية ودوره في التنمية، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس،1985م ص24.

16ــ شكري عبد المجيد موسى، الوعي الاجتماعي العربي والفلسطيني، دار المنارة الطبعة الأولى:2002 م ص89.

17ــ عبد السلام الشيخ، علم النفس الاجتماعي، دار النشر والتوزيع الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1992م، ص 119.

18ــ عبد الباسط عبد المعطي، الوعي التنموي العربي، معهد الانتماء العربي، الطبعة الثانية، بيروت، 1989م ص 28.

19ــ عبدا لله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى2005م، ص289- 295.

الإصلاح الديني لعلماء ليبيا في القرنين التاسع والعاشر الهجريين

د. سعاد أبوالعيد علي بن عطيوة
كلية الآداب/جامعة الزاوية

تمهيد:

للدعوة إلى الله مقام عظيم ومرتبة عالية، فهو مقام صفوة خلق الله تعالى من الرسل الكرام وخلفائهم الراشدين، والصالحين من خلق الله، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهي من أجل الطاعات والقربات إلى الله وهي سبب الهداية وطريق السعادة، وبها يقع تذكير الغافل وتحريك الخامل، وهي مفتاح الفهم ومقدمة العلم، وشرفها وفضلها معلوم وخيرها ملموس.

والدعوة إلى الله تطلق على كل عمل يدعى فيه إلى الله، كالتدريس والخطابة، والوعظ، والمحاضرات، والمؤتمرات، والمناظرات والدفاع عن الإسلام، والرد على خصومه، ومن عوامل بقاء الدعوة تعاقب الدعاة لها، ومنذ أنْ كرَّم الله هذه الأمة، وصوَّت الداعي يدوي في أفق المدعويين إلى أنْ أكمل الله الدين وأتم النعمة، ثم توالى الدعاة آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[1].

فيَّض الله لهذه الأمة رجالاً يدعون إلى الله تعالى على بصيرة، يظهرون الحق ويحيون السنة، ويحاربون البدعة، ولقد حبا الله ليبيا بكوكبة عظيمة من العلماء، الذين أخلصوا علمهم وعملهم لله تعالى، فكانوا يتوارثون العلم الشرعي جيلاً بعد جيل، فمنهم من قام بتدوين علومه إلى جانب مهنة التدريس، ومنهم من قام بإنشاء الزوايا الصوفية، والمنارات الشرعية.

لقد شهدت ليبيا خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ميلاد شخصيات فقهية بارزة، أمثال الخروبي، حلولو، وزروق، والتاجوري، وآل الحطاب، الذين كان لهم دورهم الكبير داخل البلاد وخارجها، عمل فقهاء ليبيا على التواصل الاجتماعي والفكري والثقافي، فكانوا يتجولون داخل القارة، ناقلين معارفهم وعلومهم وآخذين من علوم غيرهم، كان كل فقيه وعالم ليبي

أداة تغيير فاعلة ومؤثرة في المجتمع حيث كان يقوم بجولات إصلاحية داخل البلاد، يصحِّح فيها ما أنحرف عن الشريعة الإسلامية من معاملات الناس وعقائدهم وعباداتهم، عبر منهجية الوسطية والاعتدال.

وفي هذا البحث أحاول إلقاء الضوء على الدور الإصلاحي والاجتماعي لفقهاء وشيوخ ليبيا خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وبيان مدى إسهامهم في حل القضايا والظواهر السلبية في المجتمع الليبي.

المدخل التاريخي:

أولاً-الحياة السياسية في ليبيا خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين:

إنَّ الوضع السياسي الذي كانت تعيشه ليبيا لا يختلف عن الوضع الذي كان سائداً في أقطار المغرب العربي، فقد كانت الدول الموجودة في ذلك الوقت تعيش عصر شيخوختها واندارسها، إذ أفلتت زمام الأمور من يد القائمين عليها، كما عانت- ليبيا- من الفتن والثورات في الداخل، ومن الهجمات التي كان يشنها الغرب الصليبي من الخارج ممثلاً في دولة أسبانيا والبرتغال.

وعلى الرغم من أنَّ سلطان الحفصيين "أبو فارس عبد العزيز"[2] قد أعاد طرابلس إلى مملكته في مطلع القرن التاسع الهجري، بعد أنْ قضى على أسرة بن ثابت سنة 803هـ[3] إلا أنَّ نفوذ الولاة الحفصيين لم يكن قوياً، ولم يشمل دواخل البلاد الليبية التي كانت مستقلة، إذ كانت تحكم بالمشايخ، وهكذا فقد ظهرت عدَّة مشيخات في المنطقة الواقعة جنوب طرابلس مثل مشيخة بني سالم، ومشيخة بني زيان، ومشيخة بني تليس[4] وتذكر المصادر أنَّ سلطان الحفصيين لم يدم طويلاً؛ بسبب الثورات المتواصلة، وما لبث أنْ تلاشت سيطرتهم على طرابلس، فعاشت البلاد في نطاق حكم مستقل لا يخضع للحفصيين إلا اسمياً، فشُكِّل مجلس شورى لإدارة البلد من قبل سكانها، وثم تعيين أحد الشيوخ ملكاً على طرابلس، ثم تلاه شيوخ آخرون[5] وفي ظل هذه الظروف سقطت طرابلس في يد الأسبان سنة916هـ" وقبل أنْ تغرب شمس يوم 18من ربيع الآخر سنة 1916هـ/1510م – سقطت مدينة طرابلس في يد الأسبان، سقطت بعد أنْ أريقت دماء الطرابلسيين في كل بقعة منها دفاعاً عنها"[6].

وبقيت تحت احتلالهم مدة عشرين عاماً، ثم سلَّموها إلى فرسان القديس يوحنا، ولم تنج طرابلس من شرهم إلا بقدوم العثمانيين سنة 958هـ[7].

وكانت البلاد مسرحاً للكثير من الثورات والفتن، ففي القرن التاسع تم القضاء على ثورة ابن أبي سانونة سنة833هـ كما قام بنو غراب بثورة على الحفصيين في أواخر القرن التاسع، أمَّا خلال القرن العاشر فقد كانت القبائل الليبية في حالة تمرُّد متواصل على حكم العثمانيين بسبب جورهم واشتدادهم في جباية الضرائب "توالت على طرابلس الفتن في تاريخها القديم، فما تكاد تنتهي فيها ثورة حتى تقوم أخرى، ودامت على هذه الحال مئات السنين حتى أتت هذه الحروب المتواصلة على الرجال والثروة"[8] ولعل أشهر الثورات التي وقعت ضد الأتراك ثورة (يحيي بن يحيي السويدي سنة 986هـ زعيم تاجوراء، الذي وصف بأنَّه "رجل علم وورع قدم من المغرب فوضع نفسه على رأس الثورة التي اندلعت سنة 996هـ بتاجوراء على المذبحة التي قام بها الأتراك لمجموعة من الحجَّاج، وقد وجد أتباعاً له في تاجوراء ومسلاته"[9] ولم يوطد العثمانيون حكمهم في البلاد إلا بعد القضاء على مقاومة الأهالي، الذين كانوا يحاولون أنْ يجدوا لهم مخرجاً من هذه الحالة السيئة تارة بالثورة، وأحياناً باصطناع الخضوع، حتى تتهيأ لهم الظروف المناسبة لتغيير السلطة، والقضاء على الفساد السياسي والظلم.

ثانياً- الحياة الدينية في ليبيا خلال القرنين التاسع والعاشر:

كانت عبادات وإدارة شؤون حياة الليبيين اليومية تسير وفق المذهب المالكي، الذي دخل إليها وبدأ انتشاره فيها في أوائل القرن الثالث الهجري، على يدي فقيهها الطرابلسي المولد والنشأة على بن زياد[10] كما عرف بعض الليبيين المذهب الإباضي الذي انتشر في بعض مناطق الجبل الغربي وزوارة، وظل الوضع كذلك إلى حين مجيء الأتراك إلى ليبيا إذ صاحب مجيئهم دخول المذهب الحنفي أول مرة، وبشكل رسمي إلى ليبيا[11] ولكنهم فشلوا في ذلك، فاكتفوا بتنصيب إمام للأحناف، بجانب أئمة وقضاة المالكية.

وتمثلت مظاهر الحياة الدينية في ليبيا في تمسُّك سكانها بمظاهر الورع والصلاح والتقوى، ولاسيما أنَّ أحوال البلاد – السياسية والاقتصادية – وما واكبها من

كوارث طبيعية جعلتهم يتشبَّثون بالمعتقدات الروحية كثيراً؛ نظراً لحاجتهم إليها باستمرار في ظل تلك الظروف القاسية، ولوجود ليبيا على موقع الخط الديني الرابط بين سكان شمال أفريقيا والحجاز، مع ما يمثله ذلك الاستمرار المتجدد للإشاعات الدينية والفكرية القادمة مع أركاب الحجاج المارين على ليبيا.

ونظراً لما كان عليه بعض أفراد المجتمع الليبي من ثقافة روحية لتتبع أثار الزهاد العباد، انتشرت الحركة الصوفية في عهد العثمانيين بشكل واسع، خاصة عندما قرَّبوا إليهم رجال الدين من علماء ووعاظ، وشيوخ الطرق الصوفية، لما كانوا يتميزون به من تأثير في الأوساط الاجتماعية حيث "شهدت الحركة الصوفية في ليبيا إبَّان العهد العثماني اتساعاً ونفوذاً في طول البلاد وعرضها، حتى أصبح لكل قرية تقريباً شيخها ووليها الصوفي، تتبرَّك به وتقدم له النذور وتخصه بالزيارة، وإقامة الحفلات عند ضريحه"[12].

ثالثاً- الحياة العلمية في ليبيا خلال القرنين التاسع والعاشر:

لقد تواجد في ليبيا عبر عصورها القديمة منذ الفتح العربي الإسلامي نشاط ثقافي تعليمي كان أصيلاً، وإنْ كان يغلب عليه الطابع التقليدي؛ لأنَّه ارتبط بالعلوم التقليدية خصوصاً علوم القرآن، والسنة، والشريعة، وعلوم اللغة العربية.

لقد ساعد موقع ليبيا الجغرافي المتوسط بين الغرب والشرق الإسلاميين على ازدهار الدراسات العلمية والحياة الثقافية فيها، وذلك بكثرة مرور العلماء والفقهاء الذاهبين من الغرب إلى الشرق، وبخاصة في مواسم الحج، أو الذاهبين من الشرق إلى الغرب لأسباب سياسية أو تجارية، لهذا كان مرور العلماء والفقهاء بالمناطق الليبية، يتيح للطلاب الذين لم تكن ظروفهم مناسبة للسفر والرحلة العلمية أنْ يلتقوا مع هؤلاء العلماء، والفقهاء الزائرين، وقد أعطى هذا فرصة لليبيين بأنْ يلتقوا بأعلام العلم دون رحلة، ودون أنْ يخل ذلك بثقافتهم أو ينقصهم من علمهم شيئاً[13] من أولئك الذين نزلوا بليبيا الفقيه شمس الدين لقانة بمصر[14] الذي درس في زاوية الزروق بمصراته فترة من الزمن، عاد بعدها إلى بلده لقانه بمصر[15] لقد جذبت الرحلة العلمية عدداً كبيراً من أبناء ليبيا الذين نهضوا بلهفة وشغف إلى القيام بالرحلات العلمية متجهين ناحية الشرق

والغرب؛ لأخذ العلوم عن أبرز العلماء سواء من جامع الزيتونة بتونس، أو من شيوخ جامع الأزهر بمصر، أو من شيوخ وادي ميزاب بالجزائر، أو غير ذلك من المنارات العلمية التي شاع دور علمها ولمع بريق فكرها.

إنَّ هؤلاء العلماء الليبيين الراحلين إلى البلدان الشقيقة لطلب العلم ولقاء الفقهاء كانوا من الكثرة، بحيث سأكتفي بذكر أهم الشخصيات التي كان لها رحلة علمية خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين.

1- الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي، الفاسي مولداً ونشأة، المصراتي مستقراً ومقاماً، المولود سنة 846هـ، والمتوفى سنة 899هـ في مصراته، له رحلة إلى تونس لطلب العلم، وأخذ عن كبار علمائها الشيخ الرصاع وعبد الرحمن الثعالبي، وارتحل إلى مصر، ودرس بالأزهر وحضر على أساتذته[16].

2- أحمد بن عبد الرحمن بن موسى الزليطني المعروف بحلولو الفقيه الأصولي، رحل إلى تونس في طلب العلم، وأخذ عن الإمام البرزلي وغيره[17].

3- عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المغربي الطرابلسي التاجوري، المتوفى سنة960هـ رحل إلى الأزهر وأخذ الفقه عن الأخويين شمس اللقاني، والناصر اللقاني وغيرهما[18].

أمَّا الطلبة الذين لم تمكِّنهم ظروف المعيشة من السفر إلى الخارج، فكانوا يكتفون بلقاء العلماء الموجودين المقيمين في وطنهم، أو الأساتذة الزائرين، فقد كانت الفرصة متاحة لهم لحضور حلقات العلم، والاستماع لدروس الأساتذة في حلقات المساجد والزوايا، ومن هؤلاء الذين لم تكن لهم رحلة علمية على سبيل المثال لا الحصر – عبد السلام بن سليم بن محمد بن عمران، المعروف باسم الشيخ: عبد السلام الأسمر، المولود بزليطن سنة 880هـ، والمتوفى سنة 981هـ، أخذ عن عمه مبادئ الفقه والنحو والتوحيد والمنطق، ثم قرأ على الشيخ زروق، والشيخ الدوكالي(*)"[19].

لقد شهدت ليبيا ميلاد بعض الفقهاء الذين ساهموا في بث روح التجديد في الفقه، وفي الحركة الفكرية عامة، وعملوا جاهدين على إنعاش مجال التأليف والحركة الفقهية في بلادهم، أمثال الخروبي،

وحلولو، وزروق[20] والحطاب والأسمر وغيرهم، الذين كان لهم دور بارز في مواجهة التقليد[21] آخذين على عاتقهم مسئولية تحقيق الاجتهاد، فجمعوا الآثار ورجحوا الأحكام الشرعية، واستخرجوا من تلك الأقوال والمسائل النوعية أصول الأئمة، والقواعد التي استندوا إليها في فتاواهم وأحكامهم، وعكفوا على تنمية التراث الفقهي الإسلامي للسائقين من فقهاء ومشايخ الأمة العربية، واعتنوا بشرحه واختصاره والتعليق عليه، ممَّا نتج عن ذلك الجهد العلمي والفكري حيث ظفرت المكتبة الليبية بتراث في الفقه والعلوم الإسلامية لا يزال مستمراً إلى الوقت الحاضر.

إصلاح السلوك الفردي لعلماء ليبيا:

الإصلاح العقدي:

إنَّ العقيدة التي ينادي بها الإسلام من خلال نصوصه، ترتكز على أصول ستة هي: الاعتقاد بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره.

وهي لا تقبل التجزئة، فمن اعتقد بها كلها صحت عقيدته وكان مسلماً، ومن أمن ببعضها وكفر ببعضها، عاد الجزء الذي كفر به فنقض الجزء الذي آمن به.

والعقيدة السليمة متى رسخت في الفرد استقام سلوكه في حياته والتجارب الحيوية تؤكد أنَّ صلاح سلوك الإنسان يتناسب طرداً مع مدى سلامة أفكاره ومعتقداته، وأنَّ فساد سلوكه يتناسب كذلك مع تضاؤل العقائد السليمة في فكرة واحتلال العقائد الفاسدة محلها.

وجميع الأعمال الصالحة التي يفعلها الإنسان ابتغاء وجه الله تعالى موقوف قبولها عند الله عزَّ وجَّل على صحة العقيدة؛ لأنَّ الانحراف عنها انحراف عن الإيمان، والانحراف عن الإيمان هو الكفر بالله تعالى، والله لا يقبل من كافر عملاً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[22].

لقد اهتم الفقيه عبد السلام الأسمر ببيان العقدية الصحيحة، فيقرر في إحدى رسائله أنَّ الإيمان بالله هو أول الواجبات، ومعنى النظر والاستدلال أنْ ينظر بين الصانع والمصنوع، وأنَّ كل صنعة تفتقر إلى الصانع الذي صنعها واخترعها وابتدعها،

والصانع هو الله والمصنوع خلقه[23] كما اهتم الفقيه عبد السلام بالقواعد الأساسية لبناء العقيدة الإسلامية الصحيحة لدى مخاطبيه، ولذا نجده يقول في أغلب مقدِّمات رسائله "أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وإتباع سنَّة رسول الله التي هي المحجة البيضاء وبتصحيح إيمانكم، وبالنظر والاستدلال، وذلك أول الواجبات[24]. ويقول في رسالة أخرى"فأول ما أوصيكم بمعرفة الله سبحانه وتعالى، وما يجوز في حقه وما يستحيل"[25]. وفي رسالة أخرى يقدِّم النصح والإرشاد بقوله: "لا يجوز لأحد أنْ يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وفائدة العلم تمييز أحكام الله، فالعالم العاصي خير من العابد الجاهل"[26]. وفي رسالة أخرى يقرر أنَّ الإخلاص في العقيدة، ومدى سلامتها وصحتها وموافقتها للعقيدة الإسلامية هو أساس قبول كل الطاعات والعبادات، فنراه يقول بالخصوص: "عليكم بالإخلاص في كل الطاعات والعبادات، والإخلاص هو إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد، وهو أنْ يريد بطاعته التقرُّب إلى الله تعالى فيما خرج عن هذا فهو رياء[27] وللأسمر رسالة مختصرة في العقيدة الإسلامية وأصولها[28] ويقرِّر الأسمر أنَّ كمال العقيدة السليمة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وتدبيره في مملكته، فيقول في إحدى نصائحه: "وعليكم بمعرفة عقائد الإيمان، وهو ما يجب في حق مولانا – عزَّ وجلَّ– وما يجوز وما يستحيل، وفي حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي حق الملائكة ومن لم يعرف العقائد فليس بعارف"[29] كما حذَّر من مخالفة ما أمر الله به، وعدم التغافل عن السنن التي أمر بها رسول الله والتفريط في الشريعة فنراه يقول: "ولا منجأ لكم من سنة رسول الله، فعليكم بإتباع السنَّة المحمدية على صاحبها –أفضل صلاة وسلام– هو المنجي لكم من الهلاك، وهو باب الله تعالى"[30] فالفقيه الأسمر ومن خلال ما عرض نجد أنَّه يدعو أفراد المجتمع إلى ضرورة حفظ القلب من الاعتقاد الفاحش في حق الله عزَّ وجلَّ، وفي حق رسله، وفي حق أنبيائه، وفي حق ملائكته، وجميع خلقه، وألا يعتقدوا إلا ما يوافق الشرع العزيز.

كما عرف عن الشيخ الخروبي[*] محاربته للبدع ودعوته إلى اتباع السنة المحمدية في الأقوال والأفعال، ممَّا يؤكد دعوته إلى إتباع السنن وترك البدع، ما

جاء في مقدمة كتابه (كفاية المريد وحليه العبيد) حين قال: "أمَّا بعد... فهذا كتاب سميته كفاية المريد وحلية العبيد- جمعت فيه من الوظائف القولية والأوراد الفعلية والأحوال النبوية، الواردة عن خير البرية ما يكون إنْ شاء الله تعالى غنية لأرباب البداية، وكفاية لأهل النهاية تحريت فيها مهيع الأتباع، وتجنبت فيها شعب الابتداع، راعياً في ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي[31] وقد علمت أنَّ عملاً قليلاً في سنة خير من عمل كثير في بدعة، وفي الحقيقة، ما قل عمل في اتباع، وما كثر عمل في ابتداع"[32].

الإصلاح التعبدي:

ركَّز فقهاء ليبيا على إصلاح مجال العبادات، وعدَّوا الفهم الخاطئ، والتطبيق المنحرف للتعاليم الإسلامية فيما يتعلق بمجال العبادات يعد أخطر؛ لأنَّه مرتبط بأساس الدين وقواعده، فنجد الفقيه أحمد زروق ينطلق في نقده لما أحدثته العامة من أمور في مجال العبادات من القاعدة التي يقول فيها: "حق العبد أنْ لا يفرِّط في مأمور، ولا يعزم على محظور، ولا يقصِّر في مندوب"[33] ومن آراء الزروق الصائبة التي تقلِّل المماراة والجدل المعتبرين في الدين بين المسلمين، يقرر مبدأ عاماً، وتلخيصاً لآراء فقهاء الأمة المعتبرين قائلاً: "كل من عمل في وضوئه أو صلاته بما اختلف أهل العلم فيه، فلا إعادة عليه إلا في الوقت"[34].

لقد واكب أحمد رزق مشكلات مجتمعه فنجده يعرض بعض السلوكيات الخاطئة التي يمارسها بعض الأفراد الذين غلب عليهم إتباع الفضائل، وأنواع المندوبات مع بقائهم على المحرَّمات، حتى أنَّ بعضهم يهمل الفرائض أو يقصر فيها، ويكثر من النوافل ويسارع إليها قائلاً: "فترى الواحد منهم في هذا الزمان يقوم الليل كله، ولا يقدر على قضاء فائتة واحدة، ويتصدَّق بالمئين، ولا يؤدي زكاة ماله، ويصوم الدهر ولا يكف عن عرض مسلم، ويذكر الله آناء الليل والنهار، ولا يتعلم قضية في دينه، بل لا تجد أثقل عليه من ذلك، ومن التذكير به، وغالباً ما الناس محتاجون إليه في هذه الأزمنة- ترك الغيبة والكذب والخيانة، ولاسيما في البيع والشراء ونحو ذلك، ومن عزَّ عليه دينه سهل عليه كل شيء، ومن خفَّ عليه دينه صعب عليه كل شيء"[35].

وقد عمل الفقيه الزروق على تصحيح أفعال العباد فيما يتعلق بمسألة الوضوء بعد أنْ رأى أخطاء يقع فيها المصلون بسبب انتشار الجهل بينهم فيقول: "خمسة أمور في غسل الوجه لا يفعلها إلا جاهل، لطم الوجه لطماً بالماء...والتكبير عند الغسل، والتشهُّد عند ذلك، وصب الماء من دون الجبهة، ونفض اليدين قبل إيصال الماء إليه[36].

ومن البدع الإضافية التي أشار إليها أحمد زروق قول المؤذن قبل الإقامة استغفر الله ثلاثاً[37] وهذا شيء يفعله الجهَّال ببلاد المغرب، والتسميع حيث لا يحتاج إليه... ومنها الدعاء بعد الصلوات بكيفية معلومة، أنْ يدعو الإمام ويؤمن الناس، قال بعضهم هي بدعة مستحسنة، وقال بعضهم بدعة مستهجنة، والأصل أنْ يدعو كل أحد لنفسه"[38].

وتحدث الشيخ الأسمر في إحدى رسائله عمَّا أحدثه الناس من البدع في مجال العبادات كالطهارة مثلاً، حيث وجد أنَّ بعض العامة قد تساهل في معرفة وسائلها كالوضوء ونحوه، وعدم التفرقة بين فرائضها سننها مستحباتها، والإسراف في الماء لذلك نجده يتوجَّه بالإرشاد والتوعية للناس في مسألة الصلاة فيقول: "إنَّ الصلاة لا تصح إلا بمعرفة واجباتها وبمبطلاتها وسننها، ولا تكتمل إلا بمعرفة مندوباتها ومكروهاتها، وإياكم وكثرة الحديث على الوضوء والطول فيه، حتى يتفرَّق القلب والحضور فيه، بقدر الحضور في الصلاة والإدمان عليه- أي على الوضوء- موجب لسعة الخلق والرزق، ومحبة الحفظة ودوام الحفظ من المعاصي، المهلكات[39] وفي رسالة أخرى للأسمر تحدث فيها عمَّا أحدثه الناس في الصلاة بتركها، أو تأديتها خارج وقتها، وعلى غير وجهها الصحيح، من حيث الركوع، والسجود، والتلاوة، وأنكر الأسمر اهتمام الناس بلهوهم ومجونهم وإهمالهم لإحياء ليلة القدر، حيث يقول بالخصوص: "عليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس، بأنْ تصلوها في أوائل الوقت مع الجماعة، فإنَّها عماد الدين، وأتقنوها بفرائضها وسننها ومستحباتها، واعرفوا مكروهاتها ومبطلاتها... وإياكم وكثرة الحديث على الوضوء والطول فيه...أحيوا ليالي شهر رمضان بالصلاة والذكر، لكي تنالوا الخير والأجر، وربما تظفرون بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر"[40].

وكان للفقيه الخروبي دور في إصلاح مجتمعه والإسهام في تعليمه وتثقيفه، فقد ألَّف كتاباً أسماه "مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس"[41]، يتحدث في مقدمة كتابه عن دوافع تأليف هذا الكتاب فيقول: "والحامل لي على وضع هذا الكتاب، أنِّي رأيت عامة المؤمنين عن آداب القواعد الخمس معرضين، وخاصتهم عن أسرارها ومواطن القرب منها ساهين، فرأيت أنْ أنبِّه الجميع لذلك؛ توقية لحقوق الأخوة الإيمانية[42] وقد تناول الخروبي ظاهرة إغلاق المساجد في غير أوقات الصلاة، هذه المشكلة التي لا يزال يعاني منها الناس إلى اليوم في بعض المدن والقرى الإسلامية، بحيث إذا تأخر الإنسان عن الحضور إلى المسجد في وقت الصلاة المفروضة لا يجد مكاناً يصلي فيه، أو يقضي حاجته فيه بحجة الحفاظ على نظافة المساجد ومحتوياتها، وعدم تعرضها للسرقة والنهب، وقد كانت هذه المساجد بيوت الله قديماً، ومأوى للغرباء والفقراء وأبناء السبيل، فيقول الخروبي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[43] قال: "المعنى لا أحد أظلم ممَّن فعل هذين الفعلين المذكورين في الآية أحدهما: منع مساجد الله أنْ يذكر اسم الله فيها، والثاني السعي في خرابها ومن منع مسجداً من مساجد الله من تعليم العلم فيه، فهو ساع في خرابه، وقد يمنعون الناس في غير أوقات الصلاة من الجلوس، ويرون أنَّ ذلك من التحفُّظ عليه، وهم مخطئون في منع عبيد الله على العموم من مساجد الله تعالى، إلا أنْ يكونوا كأهل هذا الزمان يجعلون المساجد أماكن لأخذ الرأي، وعقد البيعات فيقامون"[44].

ومن القضايا التي عالجها فقهاء ليبيا قضية الحج، وما يتعرَّض له أركاب الحج من المخاطر، منها مهاجمة اللصوص وقطَّاع الطرق، أو مهاجمة العدو لهم، بحيث لا يبدل لهم الطريق إلا بمال، وقد ناقشوا قضية خروج الحاج في طريق مخوف على غرر يغلب على ظنه أنَّه لا يسلم وأجابوا، إذا خاف على نفسه أنَّه لا يحج، ويسقط فرض الحج في حقه، فالفقيه الحطاب[*] وعند شرحه لشروط وجوب الحج التي منها الاستطاعة بإمكان الوصول بالمشقة عظمت وآمن على نفس ومال، قال:" إذا خسرنا الاستطاعة بإمكان الوصول كما هو المشهور دخل في ذلك

مكان السير وأمن الطريق، فالحطاب قرر وجوب الحج والوصول إلى مكة[45] وأمن الطريق من السباع والأعداء واللصوص، إمَّا إذا تعرَّض الحاج لبعض المخاطر التي منها عدم أمن الطريق، وعدم أمن النفس والمال فيسقط عنه فرض الحج.

والشيخ زروق قال بخصوص هذه القضية: "... أنَّه خلاف في سقوط الحج إذا كان ينكث ولا يؤمن غدره"[46] وقد يسافر الحاج عن طريق البحر إلى مكة المكرمة لقضاء مناسك الحج، ويعترَّض في طريقه لبعض المخاطر، لذا نجد أنَّ الفقهاء ناقشوا قضية الحج عن طريق البحر، وقرَّروا "أنَّ البحر طريق إلى الحج كالبر فيجب سلوكه إذا تعيَّن، ولم يكن طريق سواه، كمن يكون في جزيرة، أو من تعذر عليه سلوك البر لخوف ونحوه، وإنْ لم يتعيَّن سلوكه فيخير في سلوكه وسلوك البر"[47] وكان الشيخ أحمد زروق يستدل على سقوط فرض الحج إذا كان السير إليه في البحر بما روي عن مالك، وإن أمر راكب البحر إليه في الثلث، ومن شرط الحج السبيل السابلة وليس مع الغرر- والغرر المتفق على تحريمه، وهو ركوبه غير في إبانة ووقت هيجانه[48].

والفقيه الخطاب حين ناقش هذه القضية استدل بآراء بعض العلماء فقال: "وقد نص بعض العلماء على أنَّه يرجع في ذلك لأهل الخبرة بهذا الشأن، فإنْ قالوا: إنَّ الغالب فيه العطب امتنع ركوبه، وإنْ كان بحراً مخوفاً تتذر سلامة منه، ولا يكثر ركوب الناس له، فإنَّ ذلك يسقط فرض الحج، ومنها خوف عدو الدين، أو المفسدين من المسلمين والله أعلم"[49].

كما أفتى الفقيه حلولو[*] بأنَّ من غلب أنَّه يميد – أصابه غثيان من ركوب البحر- في البحر، ولم يجز له السفر فيه"لأنَّه يؤدي إلى ترك الصلاة أو سقوط بعض أركانها"[50].

ويستطرد الحطاب واصفاً بعض الناس الذين يشرون الحجات مع أنَّ الحج ساقط في حقهم؛ بسبب عدم القدرة والاستطاعة – مثل ذلك السلطان- أمَّا القادر فأنَّه لا يجوز له أنْ يستنيب باتفاق جميع الفقهاء والعلماء" وهذا الذي يغفل اليوم كثير من شراء الحجات، ويقولون إنَّه على المذهب المخالف هو الله أعلم، إنَّما يفعل في حق من تعذَّر عليه الوصول، وفعله الشيخ أبو عبد الله[51] عام حج فذكر أنَّه اشترى للخليفة سلطان افريقية الأمير أحمد أبي

العباس حجة"[52] ثم يذكر الخطاب المعتمد عليه في المذهب المالكي الذي هو "عدم وجوب الحج عليه ولا يستقر في ذمته، يمتع وأنَّ الحصر الخاص يمنع الوجوب فيمتنع الاستئجار، وعند اليأس لعدم الوجوب والله أعلم بالصواب"[53].

وبالخصوص قال الشيخ زروق: "أنظر هل يجب على أهل الخطوات، وإذا هل يجزئه، أو لابد من اعتبار فعله – صلى الله عليه وسلم–[54].

قال الحطاب معقباً على كلام زروق: "أمَّا الإجزاء فالظاهر أنَّه لا مانع منه، وأمَّا الوجوب فمحل نظركما قال والله أعلم"[55].

لقد لاحظ الفقيه عبد السلام الأسمر أنَّ الحج صار عند البعض لهواً ولعباً، وجلُّ العامة لا يقصد به إلا التسمية بالحاج فقط، فالرجل يتوجَّه للحج ولا يعرف ما يأتي وما يذر، وهذا كله راجع إلى جهله بالأمور والأحكام الشرعية المتعلِّقة بفرض الحج، لذا يتوجَّه بالنصح والإرشاد والتوجيه محاولاً تصحيح ما يقع فيه الناس من أخطاء تعلق بفريضة الحج، نجده يقول بالخصوص وعليكم بتجريد النية، والقصد لحج بيت الله الحرام، وقضاء مناسككم، وتعظيم حرماته، وشعائره، وزيارة قبر النبي، فلا يكون لكم في سفركم غرض ولا أرب سوى ذلك، وما يلحق به من المقاصد المحمودة، واحذروا أنْ تخلطوا بهذه النيات الشريفة طلب نزهة، أو رغبة في تجارة، وعليكم بالإكثار من الطواف بالبيت العتيق، فالطائف به خائض في الرحمة... واحذروا من اللغو فيه... وليكن لكم غاية بزيارة جميع المشاهد المعظَّمة من الاعتمار، ولاسيما في شهر رمضان، فعمرة فيه تعد لحجة مع النبي، وما أحسن حال من أقبل على الله، وعلى طاعته إقبالاً لا يشعر معه شيء ممَّا عليه أهل الزمان من المخالفة لهدي السلف الصالح، والمتابعة لسيرهم المحمودة[56] وعلى الحاج التفقُّه في أحكام الحج، ومعرفة أركانه التي لا يصبح إلا بها؛ حتى يكون حجه مبروراً، وموافقاً لحجة النبي القائل: "خذوا عني مناسككم"[57] تلك كانت دعوة فقهاء ليبيا لمن أراد أنْ يؤدي هذا الركن من أركان الدين الإسلامي الخمسة، يقول أحمد زروق: "كمال العبادة بحفظها، والمحافظة عليها، وذلك بإقامة حدودها الظاهرة والباطنة من غير غلو ولا تفريط، والمفرِّط والغالي مبتدع، ولاسيما إنْ اعتقد القربة في زيادته[58].

إصلاح السلوك الاجتماعي:

إذا كانت قضية الجهاد تعد القضية الأولى، التي شغلت تفكير فقهاء القرنين التاسع والعاشر الهجريين في كل بلاد المغرب العربي، فيمكن القول إنَّ القضية الثانية التي حظيت باهتمامهم ومنهم فقهاء ليبيا هي قضية الإصلاح الاجتماعي ومحاربة البدع الشائعة فمن السمات التي تميز الإنتاج الفكري لهذه الفترة، كثرة تذمُّر الفقهاء من فساد الزمن، وأهله وانحرافهم الملحوظ عن الشريعة المطهَّرة، لذا كرَّسوا جهودهم للإصلاح الاجتماعي ومحاربة البدع الضارة، وعن أسباب شيوع البدع والمعاصي يقول أحمد زروق: "سبب البدعة نقص الإيمان بعدم العلم بحرمة الشارع، وفقد نور الإيمان الهادي إلى اتباع الرسول –صلى الله عليه وسلم–[59] فدعوا الناس إلى نبذها، سالكين سبيل التوعية والتنوير، وذلك بتعريفها وكشف انحرافها عن الشريعة الإسلامية ومقاصدها، ولم يكن دورهم مقتصراً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على التنظير، بل وجدت منهم فئة قرنت القول بالفعل، ونذكر من هؤلاء الفقيه عبد السلام الأسمر الذي كان يبعث برسائل توجيهيه إلى أصحابه وأتباعه، يدعوهم فيها إلى الأمر بالمعروف وينهى الناس عن المعاصي والبدع وإرشادهم إلى الطريق القويم.

فنجد أنَّ أغلب رسائله تدعو إلى التزام مبادئ الشريعة الإسلامية وبإتباع السنة المحمدية، وتجنب البدعة، فنراه يقول ناصحاً أتباعه بقوله: "إياكم ومخالطة أهل الهوى والبدعة والخوارق والمستدرجين، فإنَّكم لا تنالون منهم إلا الظلمة والشك في الاعتقادات الجميلة، فلا تخالطوهم ولا تقربوهم"[60] فهو يقصد الابتعاد عن الذين خالفوا السنَّة، وخرجوا عنها وعن الكتاب والأثر والإجماع، كما اجتهد الفقيه عبد السلام في إيقاظ الوعي في المجتمع الليبي، وذلك بالعودة إلى منابع الإسلام الأصلية من كتاب وسنَّة، وكثيراً ما يوصي تلاميذه بقراءة كتاب الله، والتدبُّر في معانيه، وإتباع السنة النبوية قائلاً أوصيكم بحفظ القرآن، والإكثار من تلاوته... اقرأ القرآن واستظهره، فإنَّ الله لا يعذب قلباً وعي القرآن[61] ويقول في رسالة أخرى: "ولا منجا أنجى لكم من سنة رسول الله، فعليكم بإتباع السنَّة المحمدية، فعليكم بإتباع السنة المحمدية"[62].

كما عمل الفقيه الأسمر جاهداً على توعية أفراد المجتمع الليبي بضرورة تعلُّم العلم الذي يقرِّب إلى الله تعالى، وبه تصحح العبادات، ونصحهم بالابتعاد عن سؤال الجهَّال بالأمور الدينية، بل أمرهم بمحبة أهل العلم وسؤالهم في قوله: "عليكم بتعلم العلم الواجب عليكم، الذي يقرِّبكم من ربكم... وما تصححون عبادتكم به من الطهارة، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وعلم الأحكام لمن احتاج إليه منكم، ولا تفعلوا فعلاً حتى تعلموا حكم الله فيه، فإنْ لم تعرفوا فاسألوا العلماء التابعين لسنِّة النبي، وإياكم أنْ تسألوا الجهلة وتقتدوا بهم فتكونوا مثلهم"[63].

حظر السفور والتبرُّج:

نقل لنا الفقيه أحمد زروق صورة للهيئة التي كانت تتبرَّج بها المرأة في عصره قائلاً: "وقد صار حالهن اليوم حال أنْ صارت لا تخرج إلا بحسن ثيابها، وتستعير من جيرانها وتستعمل الروائح في خروجها، وتتغنج في مشيتها، وعليها ما لو وضع على عود لشق فهن بذلك متعرِّضات إلى مقت الله وغضبه، وكذا من يوافقها عليه، أو يعينها فيها من زوج أو غيره[64].

وممَّا ذمَّه فقهاء ليبيا اختلاط النساء وسماعهم أصواتهن الحسنة بالغناء، وهي ظاهرة أنكرها كل فقهاء بلاد المغرب العربي، فنذكر من الذين اهتموا بهذه الظاهرة وحاربوها وذموها الفقيه عبد السلام الأسمر الذي يحذِّر من مخالطة النساء، بل حتى سماع أصواتهن بقوله: "فخذوا حذركم من النسوان ومخالطتهن، وبالنظر إليهن، ومكالمتهن والذكر فهن من أكبر الفتنة، وأكبر منه سماع زغاريدهن، فاحفظوا جهدكم من مصائد إبليس، والنساء للشيطان مثل الشبكة للصياد"[65] ويقرِّر الأسمر في نصيحة أخرى أنَّ من مفاسد الدين، اختلاط النساء بالرجال في المناسبات الاجتماعية، التي منها الأعراس فيقول بالخصوص:"أمَّا اجتماع الرجال والنساء في العرس، بأنْ ينظر بعضهم بعضاً، فهو من أكبر فساد الدين"[66] كما نجده في موضع آخر يحذِّر من حضور جلسات الذكر، بل يشبِّه المجلس الذي به نساء يحضرن الذكر هو مجلس الشيطان، قائلاً: "عدم دخول النساء للحضرة، وإنْ دخلتها النساء فهي حضرة الشيطان، فاحتفظوا من النساء ومن الذكر معهن جهدكم"[67] ولأنَّ الزمن الذي عاش فيه

الأسمر زمن فساد، وانتشار لمظاهر الخيانة، فإنَّه يدعو إلى المحافظة على النساء؛ لأنّ من يفرِّط في الحفاظ عليهن مقصِّر في واجباته، ولا يلوم إلا نفسه، فنراه يقول بالخصوص: "وعليكم بحفظ الحريم جهدكم فلا تأمنوا حريمكم، ومالكم، إلا من جرَّبتموه ألف مرة أنَّه يخاف الله ويتقيه، ومن خالف لا يلوم إلا نفسه، لأنَّ هذا الزمان زمان فساد وخيانة، لا خير فيه وهو أقبح ممَّا مضى من الزمان"[68].

ومن الظواهر التي عكستها الفتاوى الليبية في هذا الإطار، ظاهرة انكشاف المرأة المسلمة على اليهودي، وعلى الرجال الأجانب، وقد أشار الفقيه أحمد زروق إلى هذه الظاهرة وعدَّها من البدع المحرَّمة، كما عدَّها من قلة الدين، وعدَّ فاعلها- أي من يترك المرأة تتكشف على الأجانب- قليل النخوة وعديم الغيرة على عرضه، فقال بالخصوص :"قيل لا يجوز للذمية أنْ ترى من المسلمة إلا ما يراه الرجل من مثله اتفاقاً، فأمَّا الذمي فلا يجوز أنْ يرى المسلمة بحال، وقد عمَّت البلوى بذلك في هذا العصر، وهو من قلة الدين، وقلة المروءة، وعدم الغيرة، وضعف العارضة، وقوة العقلة... وحقير الدار هو الذي يعمل النوائب، ويفتح اقبح المصائب"[69] ويقول في موضع آخر: "ومن المصائب نظر اليهودي للحرة المسلمة، ودخوله الدار في غيبة صاحبها، والاستخفاف به في ذلك، مع أنَّ النساء غير مأمونات، وللنفوس كمائن، وإذا كان العلماء اختلفوا في اليهودية هاهي مع المسلمة كمثلها، أو تنزَّل منزلة الرجل في رؤيتها، فكيف بالرجل"[70] ومن القضايا التي نوقشت في هذه الفترة، ظاهرة خلوة المرأة مع الرجل دون محرم، ومن الفقهاء الذين أبدوا رأيهم في هذه الظاهرة الدالة على فساد المجتمع الفقيه الحطاب عند شرحه قول ابن أبي زيد: "لا يخلو رجل بامرأة ليست منه بمحرم" وبعد أنْ عرض الآراء التي تقول بعدم جواز خلوة المرأة مع الرجل قال: "لم يجز خلافاً لما ذهب إليه أهل زماننا المبتدعين، الذين يقولون إذا جاهد نفسه بالصوم، يجوز له أنْ ينظر إليها، ويجلس معها ويضاجعها، لأنَّها أخته في الله، لا تقوم له بها همة، لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم، فإذا خلى رجل بامرأة أجنبية على الشروط المتقدمة، فإنَّه يعاقب بعدم اجتهاد الحاكم"[71] والفقيه أحمد زروق نراه في بعض المواقف يستشهد

بآراء علماء وفقهاء مذاهب أخرى – وهذا دليل على عدم التعصب المذهبي – فمثلاً في قضية تحريم الخلوة بين الرجل والمرأة، يميل إلى الأخذ بالمذهب الشافعي الذي ينص على "تحريم الخلوة مع الشاب الجميل، وإنْ آمنت فتنته...ومذهب الشافعي أمر بسد الذرائع وأقرب للاحتياط، ولاسيما في هذا الزمان الذي أشيع فيه البلاء، واتسع فيه الخرق على الراقع"[72].

محاربة بدع الأعراس والمآتم:

كانت المناسبات الخاصة كحفلات الأعراس، والختان، والعقيقة من المناسبات التي اهتم فقهاء ليبيا بتقويم سلوك الناس فيها، وتصحيح ما انحرف من عاداتهم وتقاليدهم فيها عن سبيل الشرع القويم، وقد انتقد الفقهاء العادات المذمومة في الأعراس التي قد يكون منها سببه ارتكاب أمور محرَّمة، لا يجوز فعلها في ذاتها لو سلمت من صرف المال عليها فنجد أنَّ الفقيه عبد السلام الأسمر انتقد ما يمارسه الناس في حفلات أعراسهم، منها جلب نوع من النسوة يحترفن الغناء في الأعراس بمبالغ مالية باهظة، ويكون غناهن أحياناً وسط رجال ونساء وكذلك ما يفعله الرجال في تلك الحفلات بالإتيان بفرقة تسمى (الزكرة) تقوم بالغناء "لا يستحيون ولا يتقون الله وإذا لم يمنعهم أحد يدخلون إلى قعر بيت العروس وسط النساء يضربون، وترقص النساء وتصفق وتزغرد لهم، فقال بالخصوص: "إياكم أنْ تفعلوا العرس بشيء من المحرَّمات، مثل الغناء والزغاريد، والصراخ، والتصفيق، والرقص والمزامير كالعود والرباب، والشبابة، والفحيل، والزكرة، والطبل، فهذه كلها حرام في العرس وغيره، ولا تنصتوا لصوتها، فإنَّها من الشيطان– لعنه الله – وتجمع جنوده كما يجمع المؤذن جماعة المسلمين للصلاة، فافهموا" [73].

كما شارك الفقيه أحمد زروق في انتقاد ظاهرة الضرب على بعض الآلات الموسيقية، وإقامة الحفلات التي فيها الطعام والشراب مع الإسراف الشديد على ولائم الأعراس، والمنافسة في إقامتها بكثرة المصاريف على الطعام والشرب، إلى جانب اختلاط الرجال بالنساء فيها، واستعمال الآلات الموسيقية، ذات الأصوات العالية، صاحبة مع ما يصاحبها من غناء ذات كلام فاحش يهيج الشهوات، فنراه يبيح استعمال الدف في النكاح،

لإعلانه بشرط عدم وجود منكر في ذلك[74].

كما يحرِّم زروق سماع المزامير – سواء كانت في العرس أو في غيره– مطلقاً سواء كانت معها آلة أو لا، كانت بوقاً أو غيطة، أو عوداً أو طاراً؛ لأنَّ ذلك لا يحل سماعه اختياراً"[75] وهذا الفقيه حلولو يؤكد على عدم اشتراط على الزوج في عقد الزواج أنْ يدفع أجرة الطبَّال، بل ذهب إلى القول بأنَّ ضرب الطبل إذا كان فيه مفسدة فهو حرام، وخروج عن السنة فقال: "العادة اليوم أنَّ أجرة كاتب الصداق على الزوج، وكذلك ما يعطونه لكاسية الحلي، إذا زينتَّها له، وأمَّا الهدوة، وضرب الطبل وما يترتب على ذلك فلا يجب إلا بالشرط، وهذا إذا لم يكن في ذلك مفسدة، وخروج عن السنة، فإنْ كان كذلك، فلا يجوز، ولا يجوز اشتراطه ولا الوفاء به"[76].

ولم يقتصر الفقهاء على توجيه عادات الناس وتقاليدهم في مناسباتهم السعيدة من أعراس وأعياد، بل تناول هذا التوجيه حتى المناسبات المؤلمة كالمآتم التي كانت –وما تزال– مجالاً لانتقادات عدَّة؛ نظراً لبعض الممارسات التي رأى فيها الفقهاء انحرافاً عن السنة المطهرة، وتعارضاً مع روح الشرع القويم، فقد انتقدوا عادات الناس في المآتم، من لطم الخدود، وشقها بالأظافر، وحلق الشعر، وتلطيخ الرأس بالتراب، إلى ما في ذلك كله من خرق لشرع الله ولسنة نبيه، وإتباع لأوامر الشيطان، ودعوا إلى نهي النساء عن تلك الأفعال الشنيعة المحرَّمة، وإرشادهن إلى ما ينبغي أنْ يكون عليه الحال في مثل تلك المناسبات من سكون ورضا بقضاء الله وقدره، وحمل النفس على الصبر وحسن التعزِّي أجمل من البكاء مصداقاً لقول الرسول –صلى الله عليه وسلم –"ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"[77] وبالخصوص ورد عن الفقيه عبد السلام الأسمر، قوله في إحدى رسائله: "وإياكم والصراخ عند موت الميت، والنياحة ونقر الطار– الذي هو الطبل في عرف أهل بلدنا – والنديب الذي هو ضرب الخدود– وتقطيع الأثواب، ولبس الهدوم، والتحزم بالحبال، وتقطيع الشعر من رأس النساء والخيل، والنداء على الميت الذي هو يا كذا ويا كذا، سواء كان فيه أهو بما ليس فيه، فإنَّ ذلك من أفعال الجاهلية، فمن فعل شيئاً ممَّا ذكرنا عند موت أحد فقد تبرأ من الله

ومنا، وهو محارب لله ورسوله، نعوذ بالله من ذلك، بل إذا بكيتم على ميتكم فاخشعوا لله عز وجل ولا تقولوا شيئاً ممَّا يكره الشرع، واعملوا بما قال نبيكم عليه الصلاة والسلام: "العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول إلا ما يرضي الرب"[78].

منع الوشم واللعب بالنرد والشطرنج:

من القضايا التي عالجها فقهاء ليبيا ظاهرة الوشم، التي انتشرت في ليبيا وكل بلاد المغرب العربي، وسيلةً من وسائل الزينة التي تتزيَّن بها المرأة – خاصة في المناطق الداخلية والأرياف– غالباً قبل الزواج، ويتم الوشم عن طريق عملية تقوم بها (الوشَّامة) بواسطة أدوات ومواد خاصة، فترسم على أعضاء الفتاة أشكالاً فنية بلون يميل إلى الخضرة، وتبقى هذه الرسوم ثابتة، وغير قابلة للزوال، وقد تعرَّض الفقيه أحمد زروق لهذه الظاهرة معرِّفاً أولاً بعملية الوشم، ثم ذكر حكمه في الشريعة الإسلامية، مستشهداً على كلامه بحديث نبوي شريف، ثم يذكر آراء فقهاء الشريعة بالخصوص ذاكراً حكم ثقب الأذن لوضع الأقراط فيها فقال: "حرم الوشم بالمعجمة، وهو جرح العضو بما يخرج دمه على وضع بقصد الواشم، ثم جعل سواد عليه يغيِّر لونه إلى الخضرة، فلا يحل منه قليل ولا كثير، لحديث ابن عمر رضي الله عنه "لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة"[79].

وقد علَّل ذلك في الحديث بتغيير خلق الله، وعلَّله بعضهم بما فيه من الغرر وفيه نظر، وليس من الوشام يكون بالحرقوص بالحديد ونحوها، وتكلَّم العلماء من جهة أخرى أنَّه حائل في الطهارة فقط... فما عمَّت البلوى به ثقب الأذنين للأقراط، وقد بالغ الغزالي وغيره في إنكاره، وقارب أنْ يدعي في تحريمه الإجماع...غير أنَّ الإمام أحمد أدلى بجوازه ... فقال بعض من لقيناه من أئمة المدينة المشرَّفة في سنة خمس وسبعين وثمانمائة هذا الذي ينبغي أنْ يقلَّد لأنَّ غيره يؤدي إلى تحريج الأمة كلها والله أعلم، ولا حديث على الرجال والصبيان في ذلك لقبح أمرهم عادة ومنعه شرعاً"[80] ونظراً لتفشِّي هذه العادة – عادة الوشم – في ذلك العصر، فقد أثارت انتقاد المصلحين الاجتماعيين من الفقهاء والعلماء لأنَّ عادة الوشم بقدر ما كانت تعمل على تشويه الأجسام، وتسيء إلى الحلقة، كانت تزاول في جو يسيء إلى الأخلاق والفضيلة؛ ممَّا جعل تلك الظاهرة مثار

انتقاد شديد، واستنكار لاذع بحيث اتفقت كل الفتاوى التي صدرت في الموضوع على تحريم الوشم، وعدها مسخاً وتشويها لخلق الله.

ومن المظاهر السلبية التي عرفها المجتمع الليبي في فترة الدراسة – ظاهرة اللعب بالنرد– والنرد لعبة وضعها أحد ملوك الفرس، وتعرف عند العامة بلعب الطاولة، والشطرنج، هذه اللعبة الدخيلة على المجتمع الإسلامي، ولما لها من تأثير سلبي على من يلعب بها، ويدمن عليها، قرَّر الفقهاء تحريم اللعب بها، وفي كل بلاد المغرب العربي، وقد تطرَّق فقهاء وشيوخ ليبيا لهذه الظاهرة السلبية، وكان لهم رأيهم فيها، فنجد الفقيه أحمد زروق قد تصدى لمحاربة هذه اللعبة السيئة معلناً أنَّها محرَّمة؛ لأنَّها تؤدي إلى ارتكاب المعاصي والفواحش، كترك الصلاة أو تأخير أدائها وما تسببه من شجار بين اللاعبين بها عند الفوز من قبل أحدهما وبالخصوص، ورد عنه قول "لا يجوز اللعب بالنرد، ولا بالشطرنج، والنرد لعب بأعواد ونحوها على كيفية مخصوصة يقع بها القهر في القلب والتضييع للعبادات بالاسترسال غالباً، وغالب الأمر لعبها بالقمار، وكان ذلك حراماً، فقال الرسول –صلى الله عليه وسلم– : "من لعب بالنرد مثير فكأنما غمس يده في لحم الخنزير ودمه) [81].

وفي الموطأ من "لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله"[82] وقاس مالك عليه الشطرنج بطريق الأحروية إذ قال: الشطرنج، الهى والهى منه وجه القياس كونهما شاغلين عما يفيد في الدين والدنيا، وداعين للتشاجر الحادث فيهما عند التغالب مع كونهما غير مقيدين في الدين ولا في الدنيا، ولا خلاف في تحريم الشطرنج بالقمار إنْ أدَّى إلى الفواحش، أو ترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها المختار، وإنَّما الخلاف مع السلامة من ذلك، والمذهب رد الشهادة بلعبه، وإنَّما يسلم على من يلعب به لاختلاف العلماء فيه، ولا ينظر إليهم ولا يجلس لهم لئلا يدعوه إلى مثل فعلهم"[83] كما ورد عن أحمد قوله بالخصوص: "لا تلعب لعباً ولهواً يشغلك عن طاعة ربك، كالشطرنج والنرد، ونحو ذلك ممَّا منعه الشارع – صلى الله عليه وسلم–[84].

وقد ناقش الفقيه محمد الحطاب قضية اللعب بالنرد والشطرنج، وقرَّر كراهة اللعب بهما، وأوجب ضرب اللاعب بهما تأدباً فقال: "الصواب كراهة اللعب بها –

أي الشطرنج – وكسرها والأدب على اللاعب بها قياساً على ما فعله عبد الله بن عمر في النرد[85] حدثنا نافع عن عبد الله بن عمر أنَّه كان إذا وجد أحداً من أهله يلعب بالنرد ضربه وكسرها[86].

وتطرَّق الشيخ عبد السلام الأسمر لهذه الظاهرة، وقرَّر في إحدى رسائله أنَّها محرَّمة شرعاً، واللعب بها باطلاً، قائلاً بالخصوص: "إياكم... والتبرُّج والفال، وتقليب القلوب.... واللعب بالنرد والشطرنج كل ذلك من الباطل"[87].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تعد قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الدعائم الأساسية التي تقوم عليها دعوات الإصلاح داخل المجتمع الإنساني، وذلك بتصحيح ما يقع فيه من انحرافات وأخطاء وبدع، وتقويمها التزاماً بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[88].

ولا شك أنَّ قضية النهي عن المنكر تعد جوهر عملية الإصلاح في كل دعوة قويمة، وهي أول ما يبدأ به في كل إصلاح، ويعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمراً واجباً على كل مسلم" لقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه"[89].

وقد اشترط العلماء فيمن يدعو إلى الأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ثلاثة شروط ذكرها أحمد زروق في قوله: "يجب على كل مسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروط ثلاثة. أحدها: أنْ يكون عارفاً بالمعروف والمنكر، لأنَّه إنْ لم يكن عارفاً بهما لم يصح منه أمر ولا نهي، الثاني: أنْ يأمن أنْ لا يؤدي إنكاره إلى منكر أعظم، كنهيه عن شرب الخمر، فيؤدي إلى قتل النفس، لأنَّه إنْ لم يأمن على نفسه لم يصح له أمر ولا نهي، الثالث: أنْ يعلم أو يغلب على ظنه أنَّ إنكاره مؤثر نافع، وإلا لم يجب عليه، ولكن يستحب له برفق لقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[90] قال بعض الشيوخ: ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر لا يؤدي إلى منكر"[91].

وتعد قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمراً يعتمد على مصارحة الناس بما فرط منهم، ابتغاء محوه وإصلاحه، وهو ما سلكه الفقيه أحمد زروق في معظم كتبه، التي انتقد خلالها

الممارسات المنحرفة لبعض أفراد مجتمعه الليبي، ولهذا سمِّي أحد كتبه الإصلاحية (النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية)[92].

ولمَّا كان النهي عن المنكر يستلزم الإنكار والتشنيع، فقد تحدَّث زروق عن مستند ذلك وآدابه قائلاً: "إنكار المنكر إمَّا أنْ يستند الاجتهاد، أو الحسم ذريعة، أو لعدم لتحقيق، لو لضعف الفهم، أو لقصور العلم، أو الجهل المناط، أو الإبهام البساط لوجود العناد، فعلامة الكل الرجوع للحق عند تعينه"[93].

ويرى الفقيه زروق أنَّ الأفكار وتعريف القوم المنكر عليهم بعيوبهم ما يجب أنْ يكون برفق ولين بناءً على قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾"[94] مع الحرص على ستر ذلك، فإذا كان الإنكار قد تم وفق ذلك اعتبر من باب النصيحة، أمَّا إذا كان مرفوقاً بالتشنيع والهتك فيعد فضيحة، فقال بالخصوص: "من عرفك بك من حيث لا يشعر الغير فهو الناصح، ومن أعلمك بعيبك مع شهود الغير فهو الفاضح""[95].

وقد ناقش فقهاء قضية الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدوها من أشد الواجبات ضرورة في حياة المسلمين، منهم الفقيه الخروبي الذي يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[96] "ولا يترك المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأي وجه أمكن، وليس كل الناس في ذلك سواء، ويبدأ المؤمن في ذلك بنفسه، ثم بمن يليه، فذلك أعون له على نفوذ أمره في الغير، وفي قوبل قوله، وليكن جارياً في ذلك على سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، وليكن صاحب هذا الوظيف، صبوراً حمولاً، شجاعاً مقداماً، حليماً، يصرف كل وصف في محله؛ وليقصد بذلك وجه الله تعالى، وطهارة النفوس، وزكاة الأرواح، وليستعين على ذلك باستشعار الثواب الموعود على ذلك[97] فالخروبي ومن خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة، يحدِّد لنا أهم مبادئ الدعوة الناجحة، وهي القدوة الحسنة، والمنهج العلمي الواضح، وبدون هذين الشرطين الأساسيين لا يكون لدعوة نجاح، وكذلك نجد الفقيه الخروبي عند تفسيره قول الله تعالى﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ يقول: "أمر الله سبحانه وتعالى الأمة

المحمدية بأنْ يكون منها أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إذا علم الله سبحانه أنَّ الكل لا يكون كذلك ... فعلى أنَّ الأمر توجه لبعض هذه الأمة، وهم علماؤها وخواصها، فيكون الخير أي خير كان، يدعون من دونهم إليه، والمعروف أي معروف كان، يأمرون به، والمنكر أي منكر كان ينهون عنه، ويكون ذلك فرض كفاية بجملة من قام به، والناس في ذلك مراتب، فعرض العلماء شبه الولاة وحملهم على جادة العلم، وفرض الولاة: تغيير المنكر، وحمل الناس على أنَّ الأمر بالمعروف والخير، وفرض كفاية؛ رفع ذلك الأمر للحكَّام توجه لجميع الأمة فيكون الخير الذي يدعون إليه غيرهم هو الإسلام، والمعروف الذي يأمرون به عبادة الله وحده، والمنكر الذي ينهون عنه الكفر"[98] وبناءً على تفسير الخروبي لهذه الآية بالاحتمالين المذكورين نجد أنَّ الآية بالاحتمال الأول تكون أوامرها موجَّهة إلى رجال الوعظ والإرشاد للتوجيه المعنوي والتربوي في المجتمع، والتفسير على الاحتمال الثاني تكون الأوامر فيها موجَّهة إلى رجال الدعوة والتبليغ خارج المجتمع الإسلامي.

لقد كان فقهاء ليبيا يتحينون الفرص المناسبة، ويستغلونها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدى الخاصة والعامة، فهذا الفقيه عبد السلام الأسمر يدعو أصحابه إلى ذلك في قوله "إنَّ الأمر بالمعروف واجب لمن تعيَّن عليه، وكذلك النهي عن المنكر، فإنْ لم يستطيعوا فاشتغلوا بأنفسكم"[99] وفي موضع آخر يقول: "ومن رأيته ترك معروفاً فأمره به، أو فعل منكراً فأنهه عنه، ولا تستح من منكر، فيكون ذلك برفق ولطف وشفقة"[100].

الخاتمة:

أفادت هذه الدراسة:

1- أنَّ فقهاء ليبيا عملوا على التواصل الاجتماعي والفكري والثقافي، فكانوا يتجوَّلون داخل القارة، ناقلين معهم معارفهم وعلومهم، آخذين من علوم غيرهم، فقاموا برحلات علمية بغرض التعليم والتعلم.

2- حمل الفقهاء والشيوخ هم الإصلاح الديني، وذلك عبر منهجية الوسطية والاعتدال فبدأوا بتصحيح أمور العقيدة، وانتشال أفراد المجتمع من براثن الجهل.

3-كان كل فقيه ليبي أداة تغيير فاعلة ومؤثرة في المجتمع عن طريق القيام بجولات إصلاحية داخل القبائل، يصحح فيها ما انحرف عن الشريعة الإسلامية من معاملات الناس وعقائدهم وعباداتهم، يلقى إليهم النصح والإرشاد في أماكن تجمُّعهم في المناسبات العامة والخاصة.

4-أثبتت هذه الدراسة أنَّ لحضور الفقيه ووجوده ظللً متجذِّراً ومتغلغلاً في أعماق المجتمع الليبي بحواضره وقراه، فالفقيه هو المدرس والإمام والخطيب، وهو المفتي والعدل والقاضي، والمحتسب إليه يلجأ الناس كلما واجهتهم مشكلة في يدينهم أو دنياهم، وكلما ألمَّت بهم ضائقة سياسية أو اجتماعية يسألونه عن أحكام الشريعة في عقائدهم وعباداتهم ويحكِّمونه.

هوامش البحث ومصادر ومراجعه.

(1) سورة آل عمران، آية 104.

(2) ذكر الزركشي في تاريخ الدولتين، أنَّ أمه اسمها جوهرة، وهي من المحاميد، القبيلة الليبية المعروفة، ينظر: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، الزركشي، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص120.

(3) ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، اتوري روسي- تعريب وتقديم خليفة التليسي، دار الثقافة، بيروت، 1974، ص121-122.

(4) علماء الغلابية وآثارهم العلمية، مختار الهادي بن يونس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ط1، سنة 1991، ص25- 28.

(5) تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الطاهر الزاوي، دار الفتح، بيروت، ودار التراث العربي، ليبيا، ط3، 1972، ص359.

(6) المصدر السابق، ص365.

(7) لمعرفة المزيد راجع الأسبان وفرسان القديس يوحنا، عمر الباروني، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952، ص75 – 76 -102- 108.

(8) التذكار فيمن ملك طرابلس، وما كان بها من الأخبار، ابن غلبون، المطبعة السلفية، القاهرة، ص107.

(9) المصدر السابق، ص101.

(10) نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، أحمد النائب الأنصاري، تح: علي مصطفى المصراتي، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 1963، ص66.

(11) المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، تيسير بن موسى، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1988، ص67.

(12) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(13) النشاط الثقافي في ليبيا، أحمد عمر مختار، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص130.

(14) محمد بن حسن بن علي بن عبد الرحمن المولود سنة 857هـ، والمتوفى سنة 935، أخذ عن زروق وانتفع بعلمه، وداوم خدمته- ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص271.

(15) أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ط1 لسنة1961، ص256.

(16) المصدر السابق، ص65 - 66.

(17) المصدر نفسه، ص37.

(18) المصدر نفسه، ص158- 160.

(*) الشيخ عبد الواحد الدوكالي- من أهل القرن التاسع، وعاصر أهل القرن العاشر كان علماء مصر يعظمونه تعظيماً طيباً وشهدوا له بالعلم، وكان يفتي في المذاهب الأربعة – عاش مائة وثلاثين عاماً- مات في شهر رمضان ودفن بزعفران من مسلاته- انظر شجرة النور- محمد مخلوف- ص240.

(19) أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، ص169.

(20) عرَّف الفقيه الليبي أحمد زروق التقليد بقوله: "أخذ القول من غير استناد لعلامة في القائل ولأوجه في المقول، فهو مذموم مطلقاً، لاستهزاء صاحبه بدينه انظر قواعد التصوف، أحمد زروق، تح عثمان الحويمدي،

دار وحي القلم، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص50.

(21) المراد بالتقليد في هذا العصر هو "الالتزام المذهبي بأصول إمام معيَّن، سواء في استنباط الأحكام، أو في تخريج الفروع على الأصول، أو في بيان الراجح والمرجوح، وتحقيق نسبة الآراء إلى المذاهب ورفع التعارض بينها مقدمة لدراسة الفقه الإسلامي – محمد كمال الدين – المؤسسة الجامعية للدراسات – بيروت، ط1، 1996، ص16.

(22)سورة البقرة، آية 217.

(23)رسائل الأسمر اليمريديه، عبدالسلام الأسمر، جمع وتحقيق مصطفى عمران رابعة، دار المدي الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص191.

(24)المصدر السابق نفسه، ص214.

(25)نفسه، ص285.

(26)نفسه، الصفحة نفسها.

(27)نفسه، ص325.

(28)تنقيح روضة الازهار ومنية السادات الأبرار، محمد مخلوف، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، (د.ت.د.ط)، ص177.

(29)المصدر السابق نفسه، ص260.

(30)المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(*) هو أبوعبدالله الله محمد بن علي الخروبي المولود في طرابلس حوالي سنة 888هـ، انظر ترجمته في : معجم المؤلفين، ج1، ص275، وأعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، ص288.

(31)الحديث أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب16 ، حديث رقم 2676.

(32)اعمال ندوة التواصل الثقافي، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط 1998، حياة أبي عبدالله الخروبي، محمد حسين القذافي، ص236.

(33)قواعد التصوف– أحمد زروق– تح عثمان الحويمدي، دار وحي القلم، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص109.

(34)شرح زروق على الرسالة، أحمد زروق، دار الفكر، بيروت، لبنان،1982، مج 1 ، ص227.

(35)عدة المريد الصادق، أحمد زروق، تح ادريس عزيزي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1998، ص512- 513.

(36)التذكرة القرطبية بشرح أحمد رزق، تح أحمد عثمان أحميد، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية – طرابلس – ليبيا – ص169.

(37) قال زروق في شرح الرسالة –ثلاثة من جهل الامام المبادرة في المحراب قبل تمام الإقامة والتعمق في المحارب بعد دخوله، والتنفل به بعد الصلاة- انظر شرح الرسالة- لرزوق –مصدر سابق- ج1، ص201.

(38)عدة المريد الصادق، أحمد زروق – ص 584.

(39)رسائل الأسمر إلى مريديه، عمران رابعة، ص177.

(40)المصدر السابق نفسه، ص230.

(41)قام الدكتور الليبي جمعة مصطفى الفيتوري، بدراسة وتحقيق هذا الكتاب.

(42)اعمال ندوة التواصل الثقافي، مصدر سابق، ص363.

(43)سورة البقرة، آية 194.

(44)الشيخ الخروبي وتفسيره رياض الأزهار وكنز الأسرار، حياته وآثاره العلمية، رسالة دكتوراه، لمحمد حسين القذافي، بإشراف الدكتور علي النماري المغرب، نوقشت سنة 1999- 2000، ص243- 244.

(*) الفقيه محمد بن محمد الحطاب الرعيني المولود في مكة سنة 902هـ- توفي سنة 954هـ- نسب إلى المغرب باعتبار نزوج الأسرة إلى طرابلس الغرب . انظر الأعلام للزركلي، ج7، ص58. وشجرة النور، محمد مخلوف، ص270.

(45)مواهب الجليل الشرح مختصر خليل محمد الحطاب، مكتبة النجاح، طرابلس، (د.ت، د.ط)، ج2، ص392.

(46)المصدر نفسه، ج2، ص395.

(47)المصدر نفسه، ج2، ص511.

(48)المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(49)نفسه، الصفحة نفسها.

(*) حلولو- أحمد بن عبدالرحمن بن موسى الزليطني القروي المعروف

بحلولو ولد سنة 815هـ المتوفى بتونس سنة 898هـ. انظر: أعلام ليبيا- الطاهر الزاوي، ص37.

(50)المسائل المختصرة من كتاب البرزلي، أحمد حلولو، تح، أحمد الخليفي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، سنة 1991، ص172.

(51)هو أبو محمد بن عبدالله بن محمد البلوي، الشيبي القيرواني، توفى سنة 782هـ، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د.ت-د.ط)، ص225.

(52)مواهب الجليل، محمد الحطاب، ج2، ص494.

(53)المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(54)شرح المقدمة الوغليسية، أحمد زروق، تح عمران رابعة، وكان موضوع رسالة ماجستير، بإشراف عبدالله جوان، سنة 1988، ص58.

(55)مواهب الجليل، محمد الحطاب، ج2، ص494.

(56)رسائل الأسمر إلى مريديه، ص269- 270.

(57)نيل الأوطار، الشوكاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1973، ج5، ص43.

(58) أحمد زروق، قواعد التصوف – ص193.

(59) أحمد زروق، عدة المريد الصادق، مصدر سابق، ص372.

(60)محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار، من 194.

(61)رسائل الأسمر، عمران رابعة، ص238.

(62)المصدر السابق نفسه، ص239.

(63)محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار، ص193.

(64)شرح زروق علي الرسالة، مصدر سابق، ج2، ص374.

(65)تنقيح روضة الأزهار، محمد مخلوف، ص79.

(66)المصدر السابق نفسه، ص187.

(67)المصدر نفسه، ص147.

(68)المصدر نفسه، ص189.

(69)شرح القرطبية-أحمد زروق -تح حسن زقور، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2005، ص250.

(70) أحمد زروق، عدة المريد الصادق، ص 291- 292.

(71)حاشية الحطاب على الرسالة، ج2، ص345.

(72)شرح زروق على الرسالة، ج1، ص343.

(73)تنقيح روضة الازهار، مصدر سابق، ص197.

(74) أحمد زروق، قواعد التصوف، ص292.

(75)المصدر السابق نفسه، ص294.

(76)حلولو، المسائل المختصرة، مصدر سابق، ص239.

(77)الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب في الجنائز، رقم الحديث، 1294.

(78) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت، حديث رقم (3125).

(79)ونص الحديث (لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة، والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، حديث رقم (2122).

(80) أحمد زروق، شرح رسالة ابن ابي زيد القيرواني، مصدر سابق، ج2، ص279.

(81)الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب اللعب بالنرد.

(82)كتاب الموطأ، باب ما جاء في النرد، كتاب الرؤيا، رقم 52، الحديث السادس.

(83)شرح الزروق على الرسالة- ج2، ص417.

(84)شرح المقدمة الوغليسية، أحمد زروق- ص322.

(85) حاشية الحطاب على الرسالة، ج2، ص418.

(86)الموطأ، باب ما جاء في النرد، كتاب الرؤيا، رقم 52، الحديث السابع.

(87)رسائل الأسمر إلى مريديه، مصدر سابق، ص242.

(88) سورة آل عمران، آية 110.
(89) الحديث رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الخطبة يوم العبد، حديث رقم (1140).
(90) سورة طه، آية 44.
(91) شرح زروق على الرسالة، مصدر سابق، ج2، ص364.
(92) ذكره محمد مخلوف في شجرة النور الزكية، ص267.
(93) قواعد التصوف، أحمد زروق، ص185.
(94) سورة النحل، آية 125.
(95) قواعد التصوف، أحمد زروق، مصدر سابق، ص187.
(96) سورة آل عمران، آية 104.
(97) تفسير رياض الأزهار وكنز الأسرار، الخروبي، ص64.
(98) الجانب الفقهي في تفسير الخروبي، عبد السلام أبو سعد، ندوة التواصل الثقافي، مصدر سابق، ص298-299.
(99) رسائل الأسمر إلى مريديه، مصدر سابق، ص169.
(100) المصدر السابق نفسه، ص137.

أثر مساهمة الشمول المالي في تحقيق النجاح الاستراتيجي

دراسة ميدانية لمصرف الجمهورية الفرع الرئيسي

د. أبوبكر محمد الرباع
د. أبوعجيلة عثمان أبوبنينه

ملخَّص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة موضوع الشمول المالي، وأثره في تحقيق النجاح الاستراتيجي، ولغرض تحقيق أهداف الدراسة تم تصميم قائمة استقصاء، وزعت على عيِّنة من موظفي مصرف الجمهورية الفرع الرئيسي، تضمَّنت القائمة عبارات ذات علاقة بالشمول المالي والنجاح الاستراتيجي، (المحاور الاجتماعية والاقتصادية والاستراتيجية)، وخلصت الدراسة إلى عدَّة استنتاجات، أهمها وجود علاقة بين محاور الشمول المالي، والنجاح الاستراتيجي والأثر الذي يمكن أن تعكسه تلك المحاور في تحقيق ذلك النجاح.

الإطار العام للدراسة:

مقدِّمة:

دأبت العديد من المصارف على تقديم العديد من الخدمات المصرفية، وبخاصة التي تمس جوانب عديدة منها: الاجتماعية والاقتصادية و الاستراتيجية، ومدى تأثير تلك الجوانب على مفهوم الشمول المالي، ومن المعروف أنَّه لم يعد تقديم الخدمات المصرفية من قبل المصارف مقتصراً على فئة معيَّنة أو نشاط معيَّن، بل تجاوز ذلك ليصبح ضمن مفهوم الشمول المالي، الذي يشير إلى ضمان حصول جميع فئات المجتمع، سواء أفراد أو مؤسسات على خدمات مالية، بغض النظر على مستوى الدخل. ومن الملاحظ أنَّه خلال السنوات الأخيرة لوحظ اندماج العديد من الشركات في الاقتصاد الرسمي، الأمر الذي أدَّى إلى زيادة شدَّة المنافسة في القطاع المصرفي من حيث مستوى تقديم الخدمات المصرفية، مع مراعاة التركيز على مفهوم حماية المستهلك. ونظراً للأهمية النسبية للقطاع المصرفي باعتباره العمود الفقري في النظام المالي، فهو من القطاعات الأكثر عرضةً للمخاطر، على الرغم من

التطورات المهمة التي تعتمد عليها بعض المؤسسات.

أولاً- مشكلة البحث:

نتيجة للتحديات والصعوبات التي يواجهها الأفراد المتعاملين مع المصارف، وتتباين شدتها بتباين الخدمات المقدَّمة لهم من حيث العدد والنوعية، والشمول للعديد من الأغراض التي تودي إلى الاستقرار المالي (Yang, David C,2004)، وتسعي المصارف إلى تحقيق الأهداف كالبقاء في السوق، ومدى استجابتها للظروف المحيطة؛ سعياً منها لتحقيق النجاح ببعده الاستراتيجي، وهنا لابد من الإشارة إلى أنَّه لابد من اتخاذ القرار السليم والرشيد لإدارات المصارف بالشكل الذي يضمن حماية زبائنها وتحقيق أهدافها الاستراتيجية، التي تضمن نجاحها من جانب آخر. والسؤال الرئيسي الذي يطرح نفسه هنا هل مستوى الخدمات التي تقدمها المصارف تنعكس على نجاحها الاستراتيجي؟ وهل الزبائن والأفراد راضون عن مستوى الخدمات المقدَّمة إليهم؟

وللإجابة على هذا التساؤل لابد من الإجابة على الأسئلة الفرعية الآتية:

- هل يوجد أي أثر للشمول المالي على النجاح الاستراتيجي للمصرف؟
- هل توجد علاقة واضحة بين الشمول المالي والنجاح الاستراتيجي؟

ثانياً- الدراسات السابقة:

1- دراسة (معالي عبد اللطيف، 2015م)، اعتمدت هذه الدراسة على الوقوف على أهم الإجراءات والقرارات التي اتخذها بنك المغرب، التي تهدف إلى تسهيل الخدمات المصرفية، وتعزيز وترسيخ الثقة والشفافية بين البنوك والعملاء، ومن أهم الإجراءات، تلك التي اتخذها بنك المغرب لدعم الشمول المالي، ومنها ما يلي:

- تعزيز ممارسات الشفافية.
- إنشاء مكتب للمعلومات الائتمانية.
- تسهيل إجراءات الخدمات المصرفية وتخفيض سعرها.
- تسهيل حل النزاعات بين مؤسسات الائتمان وعملائها.

2- دراسة (سمير عبد الله،2016م) تستهدف هذه الدراسة الاتفاقية بين هيئة سوق المال وسلطة النقد في فلسطين، وهي تهدف إلى بناء استراتيجية وطنية للشمول المالي من أجل زيادة الوعي المالي وحماية المستهلك، إضافة إلى تعزيز الأطر الرقابية

والقانونية التي تحكم عمل النظام المالي، وشكل الأفراد الذين يستخدمون بطاقات الصرف الآلي3.3% من البالغين فقط، أمَّا الأفراد الذين يستخدمون الانترنت في عمليات الشراء ودفع الفواتير، فبلغت نسبتهم 1.6% من البالغين فقط.

ثالثاً- فرضيات الدراسة:

- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الشمول المالي، والنجاح الاستراتيجي للمصرف محل الدراسة.
- لا يوجد أثر واضح للشمول المالي في تحقيق النجاح الاستراتيجي للمصرف محل الدراسة.

رابعاً- أهمية الدراسة:

نتيجة للتطورات التكنولوجيا المتسارعة، وللظروف الاقتصادية والسياسية المتغيرة في جميع المجالات، الأمر الذي جعل المصارف الليبية تتخذ إجراءات سريعة حول كيفية جذب الزبائن والمحافظة عليهم؛ لكي تضمن بقائها ونموها وتطورها في السوق، وكذلك التفكير ملياً بالعمل وفقاً لمبدأ الشمول المالي لتواكب تلك التطورات.

خامساً- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرُّف على مفهوم الشمول المالي، لما له من علاقة وارتباط قوي بالنجاح الاستراتيجي للمصارف على الأمد البعيد، وإمكانية قياس الأثر الذي يمكن أنْ يعكسه على نجاح تلك المصارف في المراحل المختلفة.

سادساً- منهج الدراسة:

1- **مجتمع الدراسة:** يتمثَّل مجتمع البحث في المصارف التجارية الليبية.

2- **عيِّنة الدراسة:** تم اختيار عيِّنة الدراسة والمتمثلة في مصرف الجمهورية (الرئيسي).

3- **أسلوب الدراسة الميدانية:**

تم أتباع المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنَّه يتناسب والأغراض التي تسعى إليها هذه الدراسة، وقد اعتمد الباحث للحصول على المعلومات على نوعين من مصادر جمع البيانات، وهي:

1- **المصادر الثانوية:** بأنْ تم الرجوع إلى مصادر البيانات الثانوية، التي تتمثَّل في الكتب والمراجع العربية والانجليزية ذات العلاقة، والدوريات والمقالات والتقارير والأبحاث التي تتناول موضوع الدراسة.

2- **المصادر الأولية:** لجأ الباحث لمعالجة الجوانب التحليلية لموضوع الدراسة إلى جمع البيانات الأولية من خلال قائمة الاستبيان، كأداة رئيسة للدراسة صممت لهذا الغرض.

سابعاً- حدود الدراسة:

1- الحدود المكانية: تستهدف هذه الدراسة أحد أهم أكبر المصارف التجارية في ليبيا (مصرف الجمهورية).

2- الحدود الزمانية: أجريت هذه الدراسة في الفترة من2018/11/1م، إلى 2019/4/30م.

الإطار النظري:

Financial inclusion: الشمول المالي

يشير مصطلح الشمول المالي إلى ضمان حصول جميع فئات المجتمع، سواء أفراد أو مؤسسات على خدمات مالية بغض النظر عن مستوى الدخل، ونظراً لما يقدِّمه الشمول المالي من إتاحة أكبر قدر ممكن من الفرص والخدمات المالية لمختلف الفئات التي يقدمها القطاع المصرفي من حسابات توفير، وخدمات دفع وتحويل وتمويل وائتمان نقدي (الركابي ،كاظم 2004) لتفادي عزوف بعض الأفراد، ولجوئهم للتعامل مع وسائل غير رسمية، الأمر الذي يجعل هذه القنوات والوسائل تستغل احتياجات هؤلاء الأفراد من الخدمات المالية والمصرفية.عليه فقد عرَّف البنك الدولي في تقريره الدولي عام 2014م الشمول المالي على أنَّه نسبة السكان المستخدمين للخدمات المالية من إجمالي عدد السكان(البنك الدولي 2014م).

: The importance of financial inclusionأهمية الشمول المالي:

تنعكس أهمية الشمول المالي في جمله من المحاور منها:

1-المحور الاقتصادي الذي يمكن أنْ يسهم في النمو الاقتصادي.

3-المحور الاجتماعي الذي يشير بدوره إلى تحسين الحالة المعيشية للعملاء (البنك العربي الإفريقي الدولي2014م).

3-المحور الاستراتيجي، باشرت العديد من الدول إدراج الشمول المالي كهدف من الأهداف. الاستراتيجية (العزاوي2008م) وتهتم بعض الدراسات الحديثة بكيفية المواءمة بين الشمول المالي كهدف استراتيجي، وبين الأهداف المتعارف عليها، وهي الاستقرار المالي والنزاهة المالية وحماية المستهلك، وقد أجمل

صندوق النقد العربي أهمية الشمول المالي في الآتي (صندوق النقد العربي 2015م).

– تسهيل القيام بالمعاملات اليومية بما في ذلك عملية تحويل الأموال واستقبالها.

– حماية المدخرات التي تساعد على إدارة التدفُّقات النقدية، والاستهلاك المريح وبناء راس المال العامل.

– إدارة النفقات المتعلقة بالأحداث غير المتوقعة، مثل حالات الطوارئ والكوارث الطبيعية.

– تمويل المشروعات الصغيرة، ومساعدة أصحاب الشركات على الاستثمار في الأصول وتنمية أعمالهم.

– تحسين مستوي المعيشة بشكل عام.

The goals financial inclusionأهداف الشمول المالي:

أصبح الشمول المالي يمثِّل أولوية بالنسبة لواضعي السياسات والهيئات في جميع أنحاء العالم، إذ يعد عاملاً رئيساً للحد من الفقر، وتعزيز الرخاء حيث وضع العالم وأرسى بعض الآليات لتسريع وتنفيذ الشمول المالي عالمياً ومحلياً، والنقاط الآتية توضح أهم الأهداف.

1- تسهيل استخدام التكنولوجيا ودخول المؤسسات المبتكرة والمتطورة حيث يستفيد مقدمو الخدمات المبتكرة والمتطورة من التكنولوجيا، ومن البنية التحتية والبيانات الكبيرة من أجل تخفيض تكاليف الخدمات المالية المناسبة (صندوق النقد العربي 2016م).

2- مكافحة تمويل الإرهاب وغسيل الأموال، ومن أجل التغلُّب على هذه المشكلة يجب وجود نظام قائم على مكافحة الإرهاب وغسيل الأموال، وسهولة التعرُّف على الهوية من خلال استخدام التقنيات الرقمية في هذا المجال.

3- تشجيع تطوير المنتجات المالية المبتكرة والمنخفضة التكاليف(Essadiq,t2006).

4- تعزيز البنية التحتية المالية، من خلال التوسُّع في نظام إعداد التقارير الائتمانية، وتحسين الكفاءة وسهولة الوصول إلى نظم مدفوعات التجزئة.

5- حماية المستهلكين، بأنْ يجب حماية المستهلكين من ضرر مقدمو الخدمات المالية(البكري 2008م).

6- تعزيز تنوُّع المؤسسات المالية، حيث أصبح من الضروري وضع

الأطر القانونية والتنظيمية التي تسمح بدخول هذه المؤسسات المتنوِّعة.

7- الاستثمار في الإشراف واستخدام التكنولوجيا لتحسين الموارد المحدودة، لأنَّه من الصعب إدماج أي قطاع مالي لا يخضع للإشراف، لذا يجب الاستثمار واستخدام التكنولوجيا؛ لتسهيل عملية الرقابة والإشراف.

عوامل النجاح في الشمول المالي The success factors of financial inclusion:

لتحديد عوامل النجاح الرئيسية التي يمكن أنْ توثر في تقدم الصناعة، والخدمات المقدَّمة في أي منظَّمة، لابد من معرفة ما هي متطلَّبات الزبائن، ومدى قدرة المنشأة على البقاء في بيئة شديدة المنافسة، وهنا يمكن تحديد بعض العوامل على النحو الآتي:

- تحديد الأبعاد الأساسية للمنافسة.
- تحليل رغبات الزبائن من خلال القيام بجمع المعلومات عن مدى رغبة وميول الزبائن ونوعية الخدمة المقدَّمة إليهم (Bedard, J.2003)
- القدرة على المنافسة والنمو.

يمكن تحديد بعض المقاييس الأساسية للنجاح، فمؤشر الربحية يعد مقياساً في الأمد القصير، والقدرة على البقاء يعد مقياساً جيداً في الأمد الطويل، وأنَّ التعرُّف على الطريقة التي بموجبها تعمل المنشأة على إثبات جدارتها وقدرتها في بيئة العمل، يكمن في الحصول على الأرباح وهذا مؤشر جيد لنجاح تلك المنشآت.

أبعاد النجاح الاستراتيجي:

تباينت العديد من وجهات النظر في تحديد الأبعاد الرئيسية للنجاح الاستراتيجي، فقد تناول (Thomson ,1997) الأبعاد على أنَّها تشمل الجوانب (التعلم، الاستراتيجية، التغير الاستراتيجي) في حين ذكر(Albrchts,kart,2004) أنَّ الإبعاد تشمل (الرؤية، الرسالة، الأهداف، المخرجات) أمَّا (الركابي،2004) فقد ذكر أنَّ الأبعاد الأساسية للنجاح الاستراتيجي تتمثَّل في (البقاء، التكييف، النمو) وأشار(Sukasame,2005) بأنَّها (جودة الخدمة، رضا الزبون، نسبة النمو، ثقة الزبون) وذكر (العزاوي،2008) أنَّ الأبعاد هي (البقاء، النمو، والتكييف)وعليه فأنَّنا سوف نركِّز على أبعاد النجاح الاستراتيجي (البقاء في السوق، التطور

والنمو، التكييف مع الظروف المحيطة، التعليم المستمر) في الجانب العملي كونها كانت الأكثر تكراراً من الأبعاد الأخرى.

الإطار العام لمنهجية الدراسة الميدانية:

- **وصف مفردات عيِّنة الدراسة:**

اعتمد الباحث على المنهج الميداني الذي جمع بين الوصف وتحليل البيانات، التي جمعها ميدانياً من العيِّنة العشوائية من مجتمع الدراسة، والمتمثلة في موظفي مصرف الجمهورية (الفرع الرئيسي) وقد تم توزيع عدد 50 استمارة استبيان على عدد 50 موظفاً، يمثلون مفردات العيِّنة، وتم استعادة 50 استمارة استبيان، أي ما نسبته 100% من إجمالي عدد استمارات الاستبيان الموزَّعة، والجدول التالي يوضِّح عدد الاستبيانات الموزَّعة، والخاضعة للتحليل.

جدول رقم 1 يبيِّن عدد الاستبيانات الموزَّعة والمرجَّعة والخاضعة للتحليل.

اسم المصرف	الاستبيانات الموزَّعة	الاستبيانات المرجَّعة	الاستبيانات المستبعدة	لاستبيانات الخاضعة للتحليل
الجمهورية	50	50	لايوجد	50

المصدر: إعداد الباحث.

-التحليل الوصفي للبيانات:

يشتمل هذا التحليل على وصف لبعض خصائص مفردات عيِّنة البحث الديموغرافية، وهي العمر والمؤهل العلمي وسنوات الخبرة، والجدول التالي يوضِّح الإجابات حول المعلومات الشخصية (الديموغرافية).

جدول 2 يوضِّح أهم الخصائص الديموغرافية لمجتمع الدراسة.

ت	الخصائص	البيان	التكرارات	النسبة المئوية
1	الجنس	ذكر	39	%78
		أنثي	11	%22
2	العمر	35-44	9	%18
		45-55	24	%48
		56 فأكثر	17	%34
3	المؤهل العلمي	دبلوم متوسط	15	%30
		بكالوريوس	22	%44
		ماجستير	13	%26
4	سنوات الخبرة	أقل من 5 سنوات	10	%20
		5-10 سنوات	15	%30
		10 سنوات فأكثر	25	%50

المصدر: إعداد الباحث أستناداً إلى نتائج الدراسة.

نلحظ في الجدول السابق أنَّ 78% من أفراد العيِّنة هي من الذكور، وأنَّ ما نسبته 22%من الإناث.

كمل يلحظ أيضاً من خلال الجدول رقم (2) أنَّ ما نسبته 18% تشير إلى الفئة العمرية 35-44، بينما48 % تمثِّل الفئة العمرية 45-55 سنة، في حين أنَّ نسبة 34% تمثِّل الفئة العمرية 56 سنة فأكثر، وهذا يدل على أنَّ ما يقرب من نصف أفراد العيِّنة هم من الفئة العمرية 45-55، يليها في ذلك الفئة 56 سنة فأكثر.

أمَّا بالنسبة لمتغير المؤهل العلمي فيشير إلى أنَّ معدل 30% يمثِّل أفراد العيِّنة الحاصلين على شهادة الدبلوم، فيما يمثِّل معدل 44% أفراد العيِّنة الحاصلين على شهادة البكالوريوس، وأنَّ معدل26% يدل على أفراد العيِّنة الحاصلين على شهادة الدبلوم العالي.

ويمثِّل متغير السنوات الخبرة معدل 20% ممَّن لديهم سنوات خبرة أقل من 5 سنواتــ ومعدل 30% ممَّن لديهم سنوات خبرة 5-10 سنوات، ويبين معدل 50%

ممَّن لديهم خبرة أكثر من 10 سنوات، وهذا يدل على تحلِّي أفراد العينة بالخبرة والمهارة في العمل.

تحليل متغيرات الدراسة:

يمثِّل المحور الثاني في الاستبيان تعريف الشمول المالي والنجاح الاستراتيجي، حيث وضعت تلك التعريفات كخيارات لمعرفة مدى استيعاب ومعرفة المستجيب لها، والجدول رقم(3) يبين ذلك.

جدول 3 يبين التكرار والنسب المئوية لكل من الشمول المالي، والنجاح الاستراتيجي:

	Y1	Y2	Y3	W1	W2	W3	W4
Freg	8	6	24	18	14	36	45
Perc	12.6%	11%	41.4%	31.3%	23%	62.2%	79.4%

المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى نتائج الدراسة.

بالاطلاع على البيانات الواردة بالجدول (3) يتبيَّن أنَّ ما نسبته 12.6% قد اختاروا المحور الاجتماعي ويرمز له (y1)، والمتمثِّل بحصول الثقة لدى الزبون بتعامله مع المصرف، ومحاولة المصرف مراعاة احتياجاته ومتطلباته، ويراعى مبدأ الشفافية في طرح البيانات.

بينما ما نسبته11% قد اختاروا المحور الاقتصادي المتمثِّل بالرمز(y2)، الذي يمثِّل زيادة دخل الزبون، وتقليل نفقاته وكيفية جذبه من قبل المصرف، وبما يحقِّق احتياجاته الاقتصادية وبأقل المخاطر.

في حين يشير معدَّل 41.4% قد اختاروا المحور الاستراتيجي المتمثِّل (y3) الذي كان أعلى معدل مقارنة بالمحاور الأخرى (y1،y2) للشمول المالي ممَّا يدل على أهميته.

أمَّا فيما يخص أبعاد النجاح الاستراتيجي فقد دل معدل 31.3% للبعد **w1** قدرة المصرف على البقاء والعمل في السوق في ظل البيئة والظروف المحيطة،

ويشير معدل 23% للبعد **w2** قدرة المصرف على التكييف والاستجابة السريعة للظروف المتغيرة والمحيطة.

أمَّا المعدل 62.2% للبعد **w3** متمثلاً ببعد النمو وقابلية المصرف على ممارسة نشاطه من خلال تنوُّع الخدمات، وزيادة رأس المال البشري.

هذا وقد أشار المعدل 79.4% المتمثِّل في البعد **w4** الخاص بالتعليم المستمر والتدريب، وبالمقارنة مع الأبعاد السابقة فقد تحصَّل البعد **w4** على أعلى النسب لما له من أهمية كبيرة في تهيئة المناخ الملائم للنجاح الاستراتيجي للمصرف على الأمد البعيد.

تحليل العلاقة بين متغيرات الدراسة:

1. العلاقة بين(**y3**،**y2**،**y1**) مع **w1** حيث أشارت النتائج إلى وجود علاقة طردية بينهما، أي أنَّه كلما زاد **y3**،**y2**،**y1** فأنَّه يودي إلى زيادة **w1**، لكنها ليست معنوية.

2. العلاقة بين (**y3**،**y2**،**y1**) مع **w2** أشارت النتائج إلى أنَّ العلاقة **y1** مع **w2**علاقة عكسية، لكنها ليست معنوية؛ لأنَّ (p.eulav) أكبر من 0.05 بينما **y2** مع **w2** علاقة معنوية طردية وعلاقة **y3** مع**w2** علاقة عكسية غير معنوية.

3. العلاقة بين (**y3**،**y2**،**y1**) مع **w3** أشارت النتائج بوجود علاقة طردية بين كل من**y3**،**y2**،**y1**و **w3** أي أنَّه أي زيادة في y ستؤدي إلى زيادة **w3** لكنها ليست معنوية.

4- العلاقة بين (**y3**،**y2**،**y1**) مع **w4** أشارت النتائج لوجود علاقة مختلفة بين كل من **y3**،**y2**،**y1** مع **w4** فعلاقة **y1** مع **w4** علاقة عكسية، بينما علاقة **y2** مع **w4** علاقة طردية و**y3** مع **w4** هي علاقة طردية.

تحليل الأثر بين متغيرات الدراسة:

Model Summary جدول 4

Model	R	R square	Adjusted R square	Std Error of the estimate
W1	0.332	0.111	0.007	0.4492
W2	0.510	0.279	0.195	0.208
W3	0.4336	0.05-	0.096	0.312
W4	0.52	0.141	0.053	0.386

المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى نتائج الدراسة

1- **تحليل الأثر بين المتغيرات y1،y2،y3 مع w1:**

من النتائج الإحصائية الواردة بالجدول رقم(4) بلغ قيمة الانحراف المعياري المقدَّر 0.4492 وأنَّ erouqs R تساوي 0.111 وبلغت قيمة R 0.332 وهذا يدل على أنَّ المتغيرات المستقلة **y1،y2،y3** ذات تأثير طردي ضعيف.

2-تحليل الأثر بين المتغيرات y1،y2،y3 مع w2:

بالاطلاع على البيانات الواردة في الجدول بلغت قيمة الانحراف المعياري المقدَّر 0.208 وأنَّ erouqs R تساوي 0.279 وقيمة 0.51R وهذا يدل على أنَّ المتغيرات المستقلة **y1،y2،y3** جميعها ذات تأثير طردي متوسط.

3-تحليل الأثر بين المتغيرات y1،y2،y3 مع w3:

بلغ الانحراف المعياري المقدَّر 0.312 وأنَّ erouqs R تساوي 0.05- وبلغت قيمة R 0.4336 وهذا يدل على أنَّ المتغيرات المستقلة **y1،y2،y3** ذات تأثير طردي.

4-تحليل الأثر بين المتغيرات y1،y2،y3 مع w4:

بالاطلاع على البيانات الواردة في الجدول بلغت قيمة الانحراف المعياري المقدَّر 0.386 وأنَّ erouqs R تساوي

0.141 وبلغت قيمة 0.52R وهذا يدل على أنَّ المتغيرات المستقلة **y1،y2،y3** جميعها ذات تأثير طردي ضعيف.

النتائج والتوصيات:

مما تقدم توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. توجد علاقة واضحة للشمول المالي، وبين النجاح الاستراتيجي بأبعاده (القدرة على البقاء في السوق– التكييف مع الظروف المحيطة– التطور والنمو– التعليم المستمر) وهذا يتعارض مع الفرضية الأولى للدراسة، فهناك اختلاف واضح في نوع العلاقة الموجودة بين الشمول المالي والنجاح الاستراتيجي بمحاوره، وهو ما تم توضيحه في السابق.

2. يوجد أثر للشمول المالي على تحقيق النجاح الاستراتيجي بأبعاده الأربعة (القدرة على البقاء في السوق– التكييف مع الظروف المحيطة– التطور والنمو– التعليم المستمر)، وهو ما يتعارض مع الفرضية الثانية للدراسة، الأمر الذي يدل على أنَّ اتباع المصارف لأسلوب الشمول المالي سيؤدي بالنتيجة إلى تحقيق النجاح الاستراتيجي على الأمد البعيد.

3. أظهرت النتائج أنَّ هناك العديد من الأسباب التي جعلت من المحاور الرئيسية للشمول المالي (الاجتماعية، الاقتصادية، الاستراتيجية) توثر بشكل أو بآخر في تحقيق النجاح الاستراتيجي بأبعاده الأربعة.

بناءً على النتائج السابقة يوصي الباحث بالآتي:

1. يجب أنْ تسعي المصارف إلى استغلال كافة إمكانياتها البشرية والمادية لجذب الزبائن من خلال زيادة الكفاءة المالية، وتقديم أفضل مستوى من الخدمات وصولاً للأهداف الاستراتيجية.

2. يجب أنْ تهتم المصارف المتبنية لأسلوب الشمول المالي، بجانب التعليم المستمر الأمر الذي يؤدي بالمصارف إلى توظيف هذه المعرفة في معالجة الأخطاء وحل المشاكل.

3. إدراك المصارف أنَّ إتباع المحاور (الاجتماعية، الاقتصادية، الاستراتيجية) في مجال الشمول المالي له تأثير على بقائها في السوق والقدرة على المنافسة.

4. ضرورة اهتمام المصارف بالاستغلال الأمثل للشمول المالي بكافة جوانبه، كخدمات التحويل المالية، وأنظمة الدفع الالكتروني، وخدمات الصرَّاف الآلي،

وخدمات التعامل بالأوراق المالية والصكوك بما يحقِّق النجاح الاستراتيجي في المستقبل.

مراجع البحث:

أولاً- المراجع العربية

- البكري، تامر ياسين، استراتيجيات التسويق، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2008م.
- البنك العربي الدولي، "البنوك تتبني 3 محاور أساسية لتطبيق الشمول المالي" جريدة المال، القاهرة،2014م.
- الركابـــــي، كاظـــم نزار، الإدارة الإستراتيجية، العولمة والمنافسة. دار وائل للنشر، عمان الأردن ،2004م.
- العزاوي، بشري محمد، "أثر المواءمة بين الذكاء الاستراتيجي وقرارات عمليـــات الخدمـــة فـــي النـــجـــاح الاستراتيجي" جامعة بغداد ،2008م.
- سمير عبد الله وآخرون، الشمول المالي في فلسطين، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية ،2016، ص23-24.
- صندوق النقد العربي، "العلاقة بين الاستقرار المالي والشمول المالي"، 2015م.
- صندوق النقد العربي، دورة أعمال حول مؤشرات السلامة المالية أبوظبي، ص10 ديسمبر،2016.
- معالي عبد اللطيف، تجربة بنك المغرب في مجال تعزيز الخدمات المالية، مجلس محافظي المصارف المركزية ومؤسسات النقد العربية، صندوق النقد العربي، 2015م.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

-Albrecht&kremieier" **pensionsperfehaltuaqim land writsh of licheu:management,baulichean aleqen in der pferdehaltung**" ,land wirschaftsvig munster,lsbn,2004

-Essadiq، T.&Latifa، N (2006). Effort sand obstacles of privatization in Arab countries. Abu, Dubai.

-Bedard, J. Etterdge, M. &Johnston, k. (2003). "The Effect of Training on Auditors Acceptance of An Electronic Work System. International

Journal of Accounting Information System. 4(4).

-Thompson,johnl,"**strateqic management awareness and chaqe**",3rd .thompson business ,press,usa,1997

-sukasame,nittana "**E-service quality a paradiqm for competitive success of eservice entreprneurs**"2005

-Yang، David C.، and Liming Guan.(2004) "The evolution of IT auditing and internal control standards in financial statement audits: The case of the United States."Managerial Auditing Journal.

ثالثا المواقع على الانترنت

www.blogs.worldbank.org

www.hbr.org

www.indexpolls.de

www.forbes.com

واقع المسئولية الاجتماعية في الشركات والمؤسسات العاملة في قطاع النفط

أ. محمود عبدالله علي أبوشعاله
كلية الاقتصاد - جامعة طرابلس

د. عبدالله الفيتوري المرابط
كلية الاقتصاد - جامعة الزاوية

الملخَّص :

استهدفت الدراسة الوقوف على واقع المسئولية الاجتماعية في الشركات والمؤسسات العاملة في قطاع النفط، لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة، تعود على الشركات والمؤسسات نفسها والمجتمع بالفائدة، حيث تحقق الشركات أهدافها الاقتصادية، وتتحقق الاستفادة من قدراتها وإمكانيتها في خدمة المجتمع والبيئة.

وقد أظهرت النتائج التي تم التوصُّل إليها أنَّ هذا الواقع يتسم بالضعف وغياب الاهتمام بالمسئولية الاجتماعية في كلٍ من شركة الزاوية لتكرير النفط، والمركز النوعي للتدريب على الصناعات النفطية، تمثل ذلك في غياب اللوائح المنظِّمة للمسئولية الاجتماعية، وعدم تخصيص وحدة في الهياكل التنظيمية في المؤسستين، تختص بالمسئولية الاجتماعية، الأمر الذي ترتب عنه ضعف القيام بممارسات أنشطة وبرامج المسئولية الاجتماعية.

Abstract:

The study aimed to identify the reality of social responsibility in the companies and institutions operating in the oil sector, because of this importance of the importance of the companies and institutions themselves and the community benefit, so that the companies achieve their economic objectives and make use of their capabilities and potential in the service of society and the environment.

The results showed that this reality is weak and the absence of interest in social responsibility in both Al-Zawia Oil Refining

Company and the Qualitative Center for Training in Petroleum Industries is in the absence of regulations governing social responsibility and the absence of a unit in the organizational structures in both institutions concerned with social responsibility , Resulting in a weak implementation of social responsibility activities and programs.

مقدِّمة:

تزايد الاهتمام بالمسئولية الاجتماعية في الآونة الأخيرة، وأصبح عنواناً للمؤتمرات والندوات، ومجالاً مفتوحاً للدراسات والأبحاث، سواء من قبل الأفراد أو مراكز البحوث، ومن المنظَّمات المحلية والدولية، كما تزايد الاهتمام بهذا الموضوع من قبل الحكومات والشركات نفسها، وتعد المسئولية الاجتماعية للشركات في وقتنا الحاضر اللغة المستخدمة للتعبير عن دور هذه الشركات في المجتمع، وسواء كانت هذه الشركات صناعية أم خدمية، عامة أو خاصة، ومهما كان حجم نشاطاتها فإن واقع الحال ونتيجة لتزايد الاهتمام بدور هذه الشركات على المستوى المحلي أو الدولي، وتزايد الضغوطات عليها من قبل العاملين فيها، ومن المستهلكين ومن قبل جماعات حماية البيئة، وحماية المستهلك، ومن النقابات والاتحادات العمالية، وكذلك تزايد وعي إدارات هذه الشركات للمسئوليات الملقاة عليها؛ لضمان استمرار نشاطاتها وأعمالها في البيئة التي تعمل فيها، الأمر الذي فرض على هذه الشركات والمؤسسات أنْ تولي المسئولية الاجتماعية جانباً كبيراً من الاهتمام.

ومن هذا المنطلق فالمسئولية الاجتماعية في الدول المتقدمة تعد جزاءً من استراتيجية الشركات العامة والخاصة على حد سواء للتفاعل مع المجتمع والبيئة المحيطة. (صالح، 2013)

إنَّ الهدف الأساسي لإثارة هذا الموضوع ينبع من كون الشركات والمؤسسات المحلية العاملة في قطاع النفط ليست مؤسسات خيرية، بل هي شركات ومؤسسات تجارية أو خدمية، تهدف بالأساس إلى تحقيق أكبر قدر من الأرباح، ومن الضروري تذكير هذه الشركات والمؤسسات بواجباتها الاجتماعية

والأخلاقية تجاه البيئة المحلية والمجتمع ككل من أجل الرفع من مستوى التنمية فيه، والحفاظ على مقدَّراته وإمكانياته، وتأتي هذه الدراسة للمساهمة في استمرار الجهود الحثية للوقوف على واقع المسئولية الاجتماعية للشركات العاملة في قطاع النفط، ومدى التزامها وتبنِّيها للمسؤولية الاجتماعية ووصف واقعها.

مشكلة الدراسة:

تعد مناقشة الدور الاجتماعي للمنظمة من المواضيع التي مازالت تثير جدلاً كبيراً في الأوساط العلمية والأكاديمية، والأمر كذلك بالنسبة لإدارات هذه الشركات على حد سواء، وفي هذا الإطار ومنذ وقت طويل ظهرت وجهتي نظر مختلفتين للمسؤولية الاجتماعية، تتمثل وجهة النظر الأولى في أنَّ المنظَّمات بمختلف أنواعها عبارة عن وحدات اقتصادية تهدف إلى تحقيق الأرباح، الأمر الذي ينعكس إيجابياً على مختلف نواحي الحياة في المجتمع، أمَّا وجهة النظر الثانية فترى أنَّ المنظَّمات عبارة عن وحدات اجتماعية، يجب أنْ تلعب دوراً اجتماعياً متزايداً في بيئتها، وعند الاطلاع على الأدب الإداري الخاص بالمسئولية الاجتماعية، يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط إدراكية مختلفة للدور الاجتماعي للمنظمات بصفة عامة، فإذا كان النمط الأول اقتصادي في أساسه، والنمط الثاني اجتماعي بأبعاده ومضامينه فالنمط الثالث يمثِّل الدور المتوازن اقتصادياً اجتماعياً، تحاول إدارات المنظمات من خلاله أنْ تعظم الأداء، وتفي بالتزاماتها الاجتماعية، دون أنْ تحد من قدراتها على النمو والتطور. وعلى ذلك فإشكالية هذه الدراسة تنطلق من غموض حالة المسئولية الاجتماعية للشركات الصناعية العاملة في قطاع الطاقة، ممثلة في مصفاة الزاوية والمركز النوعي للتدريب على الصناعات النفطية للوقوف على واقع المسئولية الاجتماعية خلال ممارساتها لأعماله ونشاطاتها.

تساؤلات الدراسة:

تعد هذه الدراسة استمرار للجهود التي أجريت في موضوع المسئولية الاجتماعية للشركات والمؤسسات العاملة في قطاعات مختلفة، إلا أنَّ محور اهتمامها تركز على الشركات والمؤسسات العاملة في قطاع النفط، لما لهذه الشركات والمؤسسات من أهمية بالغة في المجتمع من الناحية الاقتصادية والبيئية.

وقد حاولت الدراسة أنْ تصف الواقع كما هو من خلال الإجابة عن تساؤلات عديدة يمكن أنْ تسهم في إثارة مزيد من الجهود البحثية، حول المسئولية الاجتماعية وأهمية تسليط الضوء والتركيز عليها، وقد انطلقت هذه الدراسة من التساؤلات التالية:

1- ما المفهوم السائد عن المسئولية الاجتماعية في الحالتين؟

2- هل يتم تضمين المسئولية الاجتماعية ضمن الخطط الاستراتيجية لكل من شركة الزاوية والمركز النوعي؟

3- هل تتضمَّن اللوائح التنظيمية المعمول بها في هذه الشركات المسئولية الاجتماعية؟

4- هل توجد وحدة إدارة في الهيكل التنظيمي تختص بالمسئولية الاجتماعية؟

5- هل يتم تخصيص جزء من الميزانية السنوية للإنفاق على المسئولية الاجتماعية؟ بغض النظر عن الأرباح أو الخسائر.

6- هل تسهم شركة الزاوية والمركز النوعي في الجوانب المختلفة للمسؤولية الاجتماعية؟ وما نوع مساهمتها.

أهداف الدراسة:

حاولت هذه الدارسة الوقوف على واقع المسئولية الاجتماعية للشركات العاملة في قطاع النفط، ومدى مساهمة هذه الشركات والمؤسسات في أنشطة المسئولية الاجتماعية في المجتمع.

الاطار النظري للدراسة:

يعود المفهوم الكلاسيكي للمسؤولية الاجتماعية إلى آدم سميث، الذي أكَّد على أنَّ كافة المنظَّمات تسعى لتقديم أفضل الخدمات لعموم المجتمع، وتحقيق أعلى مستوى من الأرباح، وبما ينسجم مع الأحكام القانونية والقواعد الأخلاقية السائدة في المجتمع، فتحقيق الأرباح من هذا المنطلق كان هو الهدف الذي تسعى له كل منظمة. (البكري تامر،2001)

وقد أدَّت التطورات المتسارعة نتيجة العولمة منذ بداية التسعينات، وإلى وقتنا الحاضر إلى ظهور العديد من الشركات التي لعبت دوراً في الحد من الفقر، وعملت على تحقيق مبدأ الحق في الملكية، وتفعيل أنظمة الحوكمة، بالإضافة إلى سلامة البيئة في الوقت الذي اعتبر فيه عالم المال جزءاً من المجتمع من خلال البحث عن طرق تنمي المكاسب الإيجابية، أطلق عليه عدَّة تسميات منها مواطنة الشركات، المسئولية الاجتماعية للشركات، ومساءلة الشركات، وفي المقابل تمت صياغة المفهوم الإداري

من خلال التحول من الهدف الأحادي المتمثِّل في تحقيق الأرباح إلى الهدف الآخر المتمثِّل في تعظيم رضا المديرين أنفسهم، ومحاولتهم تحديد مصادر القوة والآمان والموقع المتميز في ظل نمو واتساع نشاطات المنظمة، وقد رسَّخ هذا المفهوم فرنسيس سيتون (FRANCIS X.SUTTON)، الذي يرى أنَّ المسئولية الاجتماعية تظهر وتبرز في الشركات الكبيرة من خلال موازنة إدارة المنظَّمة بين العناصر المتفاعلة معها(حملة الأسهم، العاملين المقرضين، الموردين، الزبائن والحكومة) التي يمكن من خلالها الحصول على مساعدة المديرين على تقديم العديد من المنافع العامة للمجتمع.

وقد تم تبنِّي مفهوم آخر للمسؤولية الاجتماعية اختلفت تسمياته من نموذج البيئة الاجتماعية عند (JACOBY) والنموذج النوعي لحياة المديرين عند(HAY–GRAY) إلى نموذج وجهة النظر العامة ل (WILLIAMS)، سنة 1960 باعتبار أنَّ المسئولية الاجتماعية لا تنحصر فقط داخل المنظَّمة وعملياتها، بل تمتد إلى أطراف أخرى وفئات متعدِّدة تتمثَّل في عموم المجتمع، وقد أكَّد وجهة النظر هذه كل من رالف نادر(RALPH NADER وجون جالبريت (JOHN K.GALBARITH) .(المرجع السابق، ص:34)

وقد تبلورت ثلاثة تفسيرات متباينة فيما بينها، حول المسئولية الاجتماعية للشركات، وهي:(عبد الله صادق، 2001، ص16)

- أنَّ المسئولية الاجتماعية عبارة عن تذكير الشركات بمسؤولياتها وواجباتها تجاه المجتمع.
- المسئولية الاجتماعية عبارة عن مبادرات ومساهمات غير ملزمة تقوم بها الشركات تجاه مجتمعها.
- المسئولية الاجتماعية صورة من صور الملاءمة الاجتماعية الواجبة على الشركات.

ومع استمرار الجدل ووجهات النظر حول تعريف المسئولية الاجتماعية فهذه الدراسة تنطلق من التعريف الذي وضعه مجلس الأعمال العالمي للتنمية المستدامة The *World Business Council* for *Sustainable Development* الذي يرى أن المسئولية الاجتماعية عبارة عن الالتزام المستمر من قبل الشركات

بالتصرُّف أخلاقياً، والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية، والعمل على تحسين نوعية الظروف المعيشية للقوى العاملة وعائلاتهم والمجتمع المحلي. (www.un.org/ra/business)

- المسئولية القانونية: من خلال الامتثال للقوانين فالمنظَّمة تمثِّل قواعد العمل الإنسانية.
- المسئولية الاقتصادية: المنظَّمة تحقق الأرباح، وهذا يمثل قاعدة للوفاء بالمتطلَّبات الأخرى.

ويرى كارول من خلال هذا النموذج أنَّ المسئولية الاجتماعية يمكن صياغتها في المعادلة التالية:

المسئولية الاجتماعية للشركات= المسئولية الاقتصادية + المسئولية القانونية + المسئولية الأخلاقية+المسئولية الخيرة

وفي هذا الإطار قدَّم كارول (CARROLL) نموذجاً يتكوَّن من أربعة مستويات في صورة هرم، تشكِّل في مجموعها المسئولية الاجتماعية للشركات كالتالي :(طاهر الغالبي و صالح العامري، مرجع سبق ذكره 2005، ص:83)

- المسئولية الخيرة: تتصرَّف المنظَّمة كمواطن صالح يسهم في تعزيز الموارد في المجتمع وتحسين نوعية الحياة.
- المسئولية الأخلاقية: عندما تراعي المنظمة الأخلاق في قراراتها فهي تعمل على ما هو صحيح وحق عادل، وتتجنَّب الإضرار بالفئات المختلفة.

وحتى تكون الشركة مواطناً صالحاً عليها أنْ تضع في اعتبارها عند تحقيقها للأرباح مصالح كافة الأطراف ذوي العلاقة من أصحاب المنفعة الآخرين – الموظفين، المستهلكين، المزودين، البيئة التي تعمل فيها ووسائل الإعلام، والمجتمع المحلي. ولكي تصبح الشركة مسئولة اجتماعياً لا يعني ذلك أنْ تقدِّم التبرعات الخيرية، بل يتعدَّى ذلك إلى المشاركة الفعَّالة في البرامج التعليمية والصحية والاجتماعية، والالتزام بحماية البيئة إلى جانب العمل وفق مبادئ الشفافية والمساءلة. وقد عرَّف مركز يوسطن لمواطنة الشركات BCCCC مواطنة الشركات بأنَّها استراتيجية الأعمال التي

تحدد القيم التي تستند اليها الشركة في تنفيذ مهامها واختياراتها كل يوم من قبل التنفيذيين، المديرين، والعاملين لأجل الانخراط في المجتمع(www.cipe-arabia.org/files/pdf/article)

وتقع على الإدارة العليا مسئولية وضع مبادئ السلوك الأخلاقي ومراقبة تنفيذها الأمر الذي يعني أنَّ القيادة تلعب دوراً مهماً في الحفاظ على القيم الأخلاقية، والقيادة الفعَّالة هي تلك التي لا تكتفي بالحديث عن مبادئ الأخلاق فحسب، بل تضع مبادئ السلوك الأخلاقي موضع التنفيذ على نفسها قبل الآخرين، فهي تعد نموذجاً للموظفين داخل الشركة، أو بالنسبة للشركات الأخرى التي تعمل في نفس القطاع، وهو ما يؤكد أهمية القيادة الفعَّالة في بناء الشركات على أسس أخلاقية، بينما يمكن أنْ يؤدي فشل القيادة إلى إحداث آثار مدمِّرة على الشركات التي تفتقر إلى تلك الأسس، ليس فقط على مستوى الربحية ــ بل على أصحاب المصلحة الداخليين والخارجيين، وذلك على غرار فضائح الشركات التي شهدتها الولايات المتحدة وأروبا في بدايات هذا القرن، وقد تخسر الشركة ثقة المستثمرين، وعامة الناس بين ليلة وضحاها، بينما تحتاج إلى بعض الوقت كي تستعيد تلك الثقة والإدارة الجيدة تسهم في السمعة الجيدة التي تتمتع بها الشركة وفق أحدث الدراسات، فقد تكون سمعة المدير التنفيذي مسئولة عن تقريباً (50٪) من السمعة الكلية للشركة. (www,cipe-arabia.org/files)

وقد قدَّمت مجموعة من الشركات نماذج عن المسئولية الاجتماعية لديها، منها على سبيل المثال شركة الاتصالات الصينية حيث قامت الشركة سنة 2008 بتحديد أبعاد المسئولية الاجتماعية المؤسسية لديها في الالتزام بالأنظمة والقوانين وتقاليد المجتمع الصيني والأخلاق، وكذلك المساعدة في تطوير المناطق الريفية اقتصادياً واجتماعياً، والمحافظة على سلامة البيئة بحيث تبقى نظيفة وصالحة للحياة البشرية عن طريق استخدام المعدَّات والمواد الملائمة لتحقيق هذا الغرض.(العناتي، 2009)

المبادئ الأساسية للمسؤولية الاجتماعية:

عند ممارسة الشركات للمسؤولية الاجتماعية فهي تهدف إلى زيادة نسبة مساهمتها في التنمية المستدامة؛ ولتحقيق هذا الهدف يجب عليها أنْ تنتهج في

سياساتها مجموعة من الأسس التالية:(التقرير السنوي المسئولية الاجتماعية للشركات في مصر، 2011)

1- القابلية للمساءلة.
2- الوضوح والشفافية.
3- السلوك الأخلاقي.
4- احترام مصالح الأطراف المعنية.
5- احترام سيادة القانون.
6- احترام المعايير الدولية للسلوك.
7- احترام حقوق الإنسان.

مستويات المسئولية الاجتماعية:

لتحديد مستويات المسئولية الاجتماعية تمكَّن فريق العطاء الاجتماعي المكوَّن من ست شركات عالمية، الذي قام بتطوير ما يسمَّى بمجموعة لندن لقياس الاستثمار في المجتمع، بهدف قياس الفائدة التي تعود من تنفيذ المشاريع التنموية والتطوعية على كل من المجتمع والشركات على حد سواء، وقد تم تقسيم ممارسات المسئولية الاجتماعية إلى أربع مستويات وهي: (المرجع السابق)

المستوى الأول: أساسيات العمل المؤسسي.
المستوى الثاني: المبادرات التجارية في المجتمع.
المستوى الثالث: الاستثمار في المجتمع.
المستوى الرابع: العطاء الاجتماعي.

يتضح من هذا التقسيم أنَّ المنافع التي تعود على الشركات تكون أكبر في المستوى الأقل، حيث لا تكون المشاركة مخصَّصة لغرض أو دافع خيري وإنساني، لكنَّها مصمَّمة كجزء لا يتجزأ من أهداف وأساسيات العمل المؤسسي للشركة، بينما المستوى الرابع يمثل قمة العطاء الخيري والاجتماعي.

أسباب تبنِّي الشركات للمسؤولية الاجتماعية:

لا يجب النظر إلى الشركات باعتبارها ذات طبيعة أو مصلحة واحدة في كافة الأحوال، إنَّ بعض الشركات القائمة على استغلال العلاقات الشخصية، تهتم في المقام الأول والقصير بما تقدَّم، وهى شركات غالباً تهتم بتحقيق الربح في المرتبة الأولى دون الاهتمام بتأثير ما تقوم به من أنشطة على المجتمع، وأصحاب هذه الشركات في وضع يتيح لهم الاستفادة من مناصبهم داخل الشركة، وسهولة النفاذ إلى الأسواق، والحصول على رؤوس الأموال، والاطلاع على المعلومات، والاستفادة من القوانين التي تعطب معاملة تفضيلية، وهذا الوضع يسمح لهم بعدم تحمُّل المسئولية

الناتجة عن هذه الأنشطة، وعلى العكس تماماً هناك شركات تأخذ في اعتبارها الآثار الاجتماعية للأنشطة التي تقوم بها، و لا تشارك في الأعمال الخيرية فحسب، بل تظهر التزام المفهوم مواطنة الشركات في استراتيجياتها التجارية.(www.cipe-arabia.org/files)

وقد أظهرت العديد من الدراسات التي أجريت للتعرُّف على أسباب تبنِّي الشركات للمسؤولية الاجتماعية، وأنَّ أهم هذه الأسباب تتمثَّل في تزايد الضغوط الحكومية والشعبية، الكوارث، الفضائح الأخلاقية، التكنولوجية المتسارعة.

عوامل نجاح المسئولية الاجتماعية للشركات:

يعتمد نجاح الشركات في تبنيها للمسؤولة الاجتماعية إلى عدَّة عوامل مرتبطة بالرؤية والرسالة والأهداف، وكذلك التنظيم، وتتمثل هذه العوامل في كلٍ من:

1- ضرورة الإيمان بقضية المسئولية الاجتماعية نحو المجتمع.
2- تحديد رؤية واضحة تتضمَّن الدور الاجتماعي الذي ترغب الشركة الاهتمام به والمساهمة في قضاياه.
3- تخصيص وحدة إدارية تتفرَّغ للإشراف على الأنشطة المتعلقة بالمسئولية الاجتماعية.
4- تخصيص الميزانيات المناسبة لبرامج المسئولية الاجتماعية.
5- الالتزام البيئي واحترام قوانين العمل، وتطبيق المواصفات القياسية، وحسن إدارة الجوانب الاجتماعية أثناء قيام الشركة بنشاطاتها الاقتصادية.

المسئولية الاجتماعية للشركات النفطية تجاه المجتمع:

تعد الشركات النفطية من كبريات الشركات التي تمارس نشاطاتها في أماكن متعدِّدة، كما أنَّ منتجاتها من أثمن المواد التي يحتاج إليها العالم، وتمارس هذه الشركات عملياتها على نطاق واسع ومتنوع من حيث التنقيب، أو الإنتاج أو التسويق، والخدمات المصاحبة لكل هذه العمليات، وأنَّ مفاصل هذه العمليات تشمل شرائح مختلفة من البشر، ومتنوعة من حيث المهارة والإعداد، يضع على عاتق هذه الشركات عبء كبير في الاهتمام بالفوة البشرية المحركة لهذه العمليات من ناحية، وكذلك البيئات والمجتمعات التي توجد بالقرب منها، فلا يمكن فصل هذه

العمليات الإنتاجية أو التسويقية عن البيئة المحيطة بها، فخضوع هذه الشركات للرقابة الصارمة من حيث تعاملها مع النقابات وطريقة تعاملها مع الانبعاثات الضارة بالبيئة والوسائل التي تستخدمها في التقليل من هذه الانبعاثات نوع من المسئولية الاجتماعية، كما أنَّ هذه الشركات تتمتَّع بالصفة المحلية أو الوطنية لا يعفيها من هذه المسئولية، أو يقللها بل على العكس تماما، فالشركات المحلية يجب أنْ تكون قدوة ورائدة في هذا المجال، فالإضرار بالبيئة المحيطة بما تحتويه من النباتات والحيوانات والهواء، ومن باب أولى الإنسان الذي يأتي على رأس هذه الثروات يعد مخالفة صريحة لواجبات المسئولية الاجتماعية.

إنَّ الرقابة على الشركات ومتابعة مدى التزامها بهذه المسئولية هي من صميم عمل ومسؤوليات منظَّمات المجتمع المحلي بالدرجة الأولى، قبل أنْ تكون مسؤولية الحكومة أو الجهات العامة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالشركات النفطية في الحالة الليبية، والشركات الوطنية منها بالدرجة الأولى يقع عليها مسؤوليات إضافية، وهي النهوض بالمجتمع المحلي الذي تتواجد فيه، ومشاركة تلك المجتمعات في البرامج التنموية التي تعود على الشركات نفسها بالكثير من العوائد والمنافع، كما أنَّه يعد نوع من الاعتراف من قبل هذه الشركات برد الجميل أو المصلحة، وإرسال رسالة إلى المجتمع أنَّ هذه الشركات ليس هدفها تحقيق الأرباح فقط، بل يمتد ذلك إلى خدمة وتنمية المجتمع. (صالح، 2013)

المنافع التي تعود على الشركات بالتزامها للمسؤولية الاجتماعية تجاه المجتمع:

تشير تجارب الشركات الدولية إلى أنَّ أهم المنافع التي تعود على الشركة التي تلتزم بمسؤوليتها الاجتماعية تتمثل في تحسن سمعة الشركة، وتسهيل الحصول على الائتمان المصرفي، لاستقطاب الكفاءات من العنصر البشري، وبناء علاقات قوية مع الحكومة، ويضيف الباحث في هذا المقام حصول الشركة على دعم وتأييد الرأي العام.

قياس تكاليف وعوائد ممارسة الأنشطة الاجتماعية:

يترتب على قيام الشركة بتنفيذ النشاطات الاجتماعية المتعلقة بالعاملين وعملائها، أو تجاه المجتمع تكاليف

اجتماعية، ومن الناحية الأخرى ما تتحصل عليه من عوائد لصالح الشركة نفسها، أو لصالح العاملين والعملاء، والمجتمع يطلق عليه العوائد الاجتماعية.

ولتحقيق الهدف من استخدام تلك التكاليف والعوائد الاجتماعية يجب إجراء عمليات القياس لها، وهذا يحتاج إلى عدد من الخطوات منها:(www.nop.gov.org)

- تحديد واضح وصريح لكل من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية للشركة.
- التفرقة الدقيقة بين التكاليف الاجتماعية والاقتصادية في دفاتر الشركة.
- الإفصاح عن التكاليف الاجتماعية بشكل منفصل عن التكاليف الاقتصادية في التقارير والقوائم المالية للشركة.
- قياس التكاليف الاجتماعية والعوائد الاجتماعية للمسؤولية الاجتماعية لأغراض تقييم المساهمة الاجتماعية والدور الاجتماعي للشركة.

الدراسات السابقة:

توجد العديد من الدراسات التي أجريت في بيئات أجنبية مختلفة، وذلك للأهمية التي توليها هذه المجتمعات للمحافظة على البيئة من التلوث بمظاهره المختلفة، ومراعاة الجوانب الاجتماعية المحيطة والظروف السائدة انطلاقاً من أنَّ المنظَّمة مهما كان نوع نشاطها، ما هي إلا نظام مفتوح يتفاعل مع بيئته المحيطة، كما لوحظ زيادة الاهتمام بموضوع المسئولية الاجتماعية في بعض البيئات العربية، واستحوذ هذا الموضوع على اهتمام بعض الباحثين في البيئة الليبية، وهذا يتضح من وجود بعض الدراسات التي تتناول هذا الموضوع من زوايا مختلفة، وفيما يلي عرض موجز لبعض منها.

دراسة (الوصيف، 2004) بعنوان: استخدام أسلوب تحليل التكلفة، مع الفاعلية في تقييم البرامج الاجتماعية.

استهدفت الدراسة توضيح أهم المشاكل التي تتعلَّق بتقييم البرامج الاجتماعية ببعض المؤسسات الصحية في القطاع العام، ممثلة في المراكز الصحية بالمنطقة الغربية، وتوصلت الدراسة إلى ضعف

نظام المعلومات في تلك المراكز الصحية، الأمر الذي ترتب عليه صعوبة الحصول على البيانات الأولية، وقد ظهرت بعض الصعوبات في تقييم البرامج الاجتماعية بلغة السوق، التي يتم قياسها وفقاً لمدى تحقيقها للأهداف المرجوة، وقد أوصت الدراسة بضرورة توفير نظام متكامل لجمع البيانات، يتضمَّن نظام إحصائي للبرنامج، والحث على تقييم البرامج الاجتماعية باستخدام أساليب محاسبية واقتصادية، وتطبيق نظم رقابية صارمة.

دراسة (العناتي،2009) بعنوان :المسئولية الاجتماعية للقطاع الخاص في مصر.

حاولت الدراسة معرفة أهم دوافع شركات القطاع الخاص نحو المساهمة في الأنشطة الاجتماعية، وتحليل عناصر المسئولية الاجتماعية للشركات، كذلك وضع معايير ومؤشرات لقياس عناصر المسئولية الاجتماعية وتقييم الدور الاجتماعي من خلال ثلاث فئات هي: الموارد البشرية، العملاء، المجتمع.

توصلت الدراسة إلى أنَّ عملية وضع معايير ومؤشرات لقياس المسئولية الاجتماعية تتوقَّف على إمكانية قياس التكاليف الاجتماعية وفقاً لمبدأ الإنفاق الفعلي، الأمر الذي يتطلَّب الإفصاح الكامل على عناصر التكاليف في التقارير المالية للشركة، كما أنَّ المؤشرات المستخدمة في الدراسة كمتوسط نصيب العامل من الإنفاق الاجتماعي على العاملين، وحصته في الأرباح الموزَّعة، ونصيب الفرد الواحد من الإنفاق على الخدمات الاجتماعية تعبِّر إلى حد كبير عن اضطلاع الشركات بمسؤوليتها الاجتماعية.

دراسة (Bonini,Brun,Rosenthal,2009) بعنوان : Valuing Corporate Social Responsibility

هدفت الدراسة إلى تحديد وقياس القيمة التي تحققها المسئولية الاجتماعية لأصحاب المصالح (الموظفون، العملاء، وسائل الإعلام، الجاليات، الهيئات غير الحكومية، المستثمرون) وتحديد أفضل المؤشرات لهذه القيمة، ومدى فاعلية هذه المؤشرات لتحقيق هذه الأهداف، وقد أجريت الدراسة على عيِّنة من (268) مفردةً مكوَّنةً من المدراء التنفيذيين، وخبراء المسئولية الاجتماعية بالإستاد إلى (127) شرطاً اجتماعياً.

وتوصلت الدراسة إلى أنَّ البرامج الاجتماعية تحقق قيمة لأصحاب الاهتمام باختلاف توجهات ودوافع المبحوثين، فالمدراء الماليون وخبراء الاستثمار يركزون على المنفعة والقيمة المالية، أمَّا خبراء المسئولية الاجتماعية فاهتمامهم ينصب على المنفعة، أو القيمة الاجتماعية، وأوصت الدراسة بضرورة دمج الآثار المالية مع الآثار الاجتماعية والبيئية، والبرامج الحكومية ضمن التزامات الشركات كخطوة أولى، حتى تصبح التقارير المالية ذات فائدة لكل الأطراف، وتؤخذ في الاعتبار عند وضع الخطط وإعداد التقارير، كما يجب على خبراء المسئولية الاجتماعية أنْ يقدِّموا المساعدة لشركاتهم، والمستثمرين على تقييم الأنشطة الاجتماعية والبيئية، وتقديم نتائج التقييم لأصحاب المصالح.

دراسة (الشوشان،2018) بعنوان: تقييم المسئولية الاجتماعية للشركات الأجنبية في مجال الموارد البشرية.

استهدفت الدراسة معرفة مؤشرات ومعايير تقييم الأنشطة الاجتماعية المتعلقة بالموارد البشرية، ودوافع قيام الشركات الأجنبية العاملة في ليبيا بمسؤوليتها الاجتماعية تجاه الموارد البشرية، وكذلك معرفة دور الشركات الأجنبية في تنمية الموارد البشرية.

حاولت الدراسة تقييم المسئولية الاجتماعية لشركة سايبم الايطالية كحالة دراسية من خلال تصميم نموذج للإفصاح الاجتماعي، قسَّمت فيه نشاطات المسئولية الاجتماعية تجاه الموارد البشرية إلى خمسة محاور وهي: التوظيف والعمل، التدريب والتعليم، الأمن والسلامة المهنية، الخدمات الاجتماعية.

وخلصت الدراسة إلى عدَّت توصيات منها: وضع شروط تلزم الشركات الأجنبية بتبنِّي مسؤوليات اجتماعية عند التعاقد، أو عند قيدها بالسجل التجاري، وكذلك سن القوانين التي تلزم الشركات بتبنِّي مسئوليات اجتماعية مساهمة في إحداث التطوير والتنمية في المجتمع المحلي.

يتضح عند استعراض عيِّنة من الدراسات التي أجريت على المسئولية الاجتماعية، وبخاصة في البيئة المحلية أنَّها تركز على مدى توفر المؤشرات المحاسبية لقياس حجم الإنفاق على برامج المسئولية الاجتماعية، وبالرغم من أهمية توفر المؤشرات والمعايير واحتساب معدلات

الإنفاق، إلا أنَّ الاهتمام يجب أنْ يتعدَّى ذلك إلى ضرورة الاهتمام بالأثر الاجتماعي للشركات على البيئة التي تمارس فيها نشاطاتها، بغض النظر عن التكاليف التي تتكبَّدها، وهو ما تسعى له هذه الدراسة ويعد مبرراً لإجرائها.

الإطار العملي للدراسة:

أولاً- مجتمع وعيِّنة الدراسة:

يتمثَّل مجتمع الدراسة في المدراء العاملين في المستويات الإدارية العليا والوسطى والتنفيذية بكل من شركة الزاوية لتكرير النفط، والمركز النوعي للتدريب على الصناعات النفطية.

عيِّنة الدراسة:

تم تحديد عيِّنة موزَّعة بين الإدارات المختلفة العليا والوسطى والتنفيذية من هذا المجتمع بواقع (35) مفردةً

أداة جمع البيانات:

تم تصميم صحيفة استبيان لخدمة أهداف الدراسة وتساؤلاتها، وللتحقُّق من صدق العبارات الواردة بها، ثم استخدام طريقة صدق المحتوى بعرضها على مجموعة من المحكمين المتخصصين في الإدارة على صورتها المبدئية، وقد تم جمع الملاحظات التي قدمت على بعض الفقرات والأخذ بها، بحيث أصبحت في صورتها النهائية مكوَّنة من محورين:

المحور الأول : البيانات العامة.

المحور الثاني : البيانات الشخصية.

المحور الثالث: بيانات تتعلق بالمسئولية الاجتماعية.

منهج الدراسة:

اتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي بالاعتماد على دراسة الحالة، لكل من شركة الزاوية لتكرير النفط، والمركز النوعي للتدريب على الصناعات النفطية بمدينة الزاوية؛ للوقوف على واقع المسئولية الاجتماعية في هاتين الحالتين، باعتبارهما يمثلان أهم المؤسسات العاملة في قطاع النفط بالمنطقة الغربية، ونظراً لأنَّ هذه الدراسة تصف الواقع كما هو وقت إجرائها، فقد تم تصميم صحيفة استبيان لجمع المعلومات؛ للإجابة على التساؤلات التي انطلقت منها هذه الدراسة.

1- أسلوب تحليل البيانات:

تم الاعتماد على أساليب التحليل الإحصائي الوصفي لتحليل البيانات التي تم الحصول عليها، وذلك باستخدام النسبة المئوية للوصول إلى استنتاجات يمكن من

خلالها الإجابة على التساؤلات التي وردت فيها، وتحقيق الغرض منها.

جدول رقم (1) عدد الاستمارات التي تم توزيعها والتي استرجعها وتحليلها حسب الشركة أو المؤسسة

	الاستبيانات التي تم توزيعها	الاستبيانات المفقودة	الاستبيانات المسترجعة وتم تحليلها	النسبة٪
شركة الزاوية لتكرير النفط	20	5	15	٪57.7
المركز النوعي للتدريب على الصناعات النفطية	15	4	11	٪42.3
المجموع	35	9	26	٪ 100

بلغ مجموع الاستبيانات التي تم توزعها وعددها (35) استبانةً، وقد بلغ عدد الاستبيانات التي تم استردادها والقابلة للتحليل (26) استبانةً من مجموع الاستبيانات التي تم توزيعها، وهي تمثل نسبة (.74). وتعد هذه النسبة مؤشراً جيداً لاستجابة مفردات المجتمع المستهدف بالدراسة.

تحليل البيانات والإجابة على التساؤلات الواردة بالدراسة:

تمت عملية تجميع استمارات الاستبيان، وترميزها وإدخال البيانات لحزمة البرنامج الإحصائي (spss)، ثم القيام بإجراء التحليل المناسب.

جدول رقم (2) توزيع الدرجات على الإجابات المتعلقة بالمسئولية الاجتماعية على التدرج الخماسي.

الإجابة	غير موافق بشدة	غير موافق	موافق إلى حد ما	موافق	موافق بشدة
درجة الإجابة	1	2	3	4	5

تم احتساب النسبة المئوية لإجابات المبحوثين لكل عبارة من العبارات الواردة بصحيفة الاستبيان حول المسئولية الاجتماعية وأنشطتها المختلفة.

جدول رقم (3) تاريخ تأسيس الشركة أو المؤسسة

اسم الشركة أو المؤسسة.	تاريخ التأسيس
شركة الزاوية لتكرير النفط.	1974
المركز النوعي للتدريب على الصناعات التدريبية.	1983

يتضح من خلال الجدول رقم (3) أنَّ لكل من شركة الزاوية لتكرير النفط، والمركز النوعي للتدريب على الصناعات النفطية تاريخاً طويلاً منذ التأسيس، وعلى ذلك فالمسئولية الاجتماعية ينبغي أنْ تكون في محور الاهتمام من قبل القائمين على إدارة هاتين المؤسستين، والاضطلاع بدورهما الاجتماعي خلال هذا التاريخ الطويل في العمل.

جدول رقم (4) توزيع مفردات مفردات المجتمع حسب المؤهل العلمي

	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
شهادة جامعية	14	93.3	11	100.0	25	96.2
شهادة ثانوية	1	6.7	00	00	1	3.8
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

يلاحظ أنَّ غالبية مفردات مجتمع البحث من حملة الشهادات الجامعية، حيث بلغت نسبتها في المجتمع (96.2)، وهذا يدل على أنَّ مجتمع البحث يتمتع بالمؤهلات التي تتيح لهم الإحاطة بمفهوم المسئولية الاجتماعية، وواقعها في الشركات والمؤسسات التي تم استهدافها بالبحث.

جدول رقم (5) توزيع مفردات مفردات المجتمع حسب التخصص العلمي

	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
تخصص في مجال الإدارة	9	60,0	4	36.3	13	50.0
تخصص في العلوم الهندسية	2	13.3	7	63.7	9	34.6
تخصص في المحاسبة المالية	4	26.7	00	00	4	15.4
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

من الجدول يتبين أنَّ (50.0) من مفردات مجتمع البحث متخصصون في مجال الإدارة، والمتخصصون في مجال الهندسة نسبة (34.6)، بينما بلغ تخصص المحاسبة المالية (15.4) من مجموع مفردات مجتمع البحث، وما يميز مجتمع البحث أنَّ نسبة عالية جداً من مفرداته متخصصون في مجال الإدارة، وهو ما يتيح لهم فهما أعمق بالدور الاجتماعي المنبثق عن المسئولية الاجتماعية للشركة، أو المؤسسة في بيئتها.

جدول رقم (6) توزيع مفردات المجتمع حسب المستوى الإداري

	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الإدارة العليا	1	6.7	2	18.2	3	11.5
الإدارة الوسطى	6	40.0	3	27.3	9	34.6
الإدارة التنفيذية	8	53.3	6	54.5	14	53.9
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

تشير نتائج الجدول إلى أنَّ (53.8) من مشاركة مجتمع البحث تتركز في الإدارة التنفيذية، بينما (34.6) من المجتمع ممثَّل في الإدارة الوسطى، فيما بلغت نسبة مشاركة الإدارة العليا (11.5)، يدل ذلك توزع مفردات المجتمع بين الإدارات العليا والوسطى والتنفيذية، حيث يقع على هذه المستويات الإدارية مهمة ممارسة الأنشطة المتعلقة بالمسئولية الاجتماعية.

جدول رقم (7) المفهوم السائد بين إدارات هذه الشركات عن المسئولية الاجتماعية

المفهوم السائد بين إدارات هذه الشركات عن المسئولية الاجتماعية	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
مصطلح غير محدَّد	2	13.3	00	00	2	7.6
مفهوم يتنافى مع طبية نشاط الشركة أو المؤسسة	1	6.7	00	00	1	3.8
مفهوم يعبر عن الدور الاجتماعي للشركة في بيئتها	8	53.3	10	90.9	18	69.2
مفهوم لا ينطبق على الشركات ومؤسسات القطاع العام	4	26.7	1	9.1	4	15.3
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

يتضح من الجدول أنَّ هناك درجة عالية من الفهم والإدراك لمفردات مجتمع البحث لمفهوم المسئولية الاجتماعية، حيث كانت إجابة (69.2) من مفرداته ترى أنَّ المفهوم السائد لديهم عن المسئولية الاجتماعية مفهوم يعبر عن الدور الاجتماعي للشركة في بيئتها، وهو المفهوم الصحيح وفق الأدب الإداري في هذا الخصوص، ويدل على الوعي المتزايد بالمسئولية الاجتماعية لدى المستويات الإدارية المختلفة بهاتين المؤسستين.

جدول رقم (8) تضمين المشئولية الاجتماعية ضمن الخطط الاستراتيجية لهذه الشركات

هل الخطة الاستراتيجية والخطة التنفيذية للشركة، أو المؤسسة تتضمَّن الالتزام بالمسئولية الاجتماعية	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
نعم	5	33.3	3	27.3	8	30.7
لا	10	66.7	8	72.7	18	69.3
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

تبين نتائج الجدول رقم (8) أنَّ (69.2) من مفردات مجتمع البحث يشيرون إلى أنَّ الخطة الاستراتيجية والخطة التنفيذية للشركة، أو المؤسسة لا تتضمَّن الالتزام بالمسئولية الاجتماعية، ومن هذه النتيجة لا يتوقع أنْ يكون هناك دور اجتماعي أو مراعاة للمسؤولية الاجتماعية في غياب خطة محدَّدة للمسؤولية الاجتماعية ضمن الخطط الاستراتيجية لهذه الشركات أو المؤسسات.

جدول رقم (9) هل تتضمن اللوائح التنظيمية المعمول بها في هذه الشركات المسئولية الاجتماعية

هل تتضمَّن اللوائح التنظيمية المعمول بها في هذه الشركات المسئولية الاجتماعية.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
نعم	4	26.7	1	9.1	5	19.2
لا	11	73.3	10	90.9	21	80.8
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

تشير نسبة عالية من مفردات المجتمع إلى أنَّ اللوائح التنظيمية المعمول بها لا تتضمَّن المسئولية الاجتماعية، حيث بلغت هذه النسبة (80.8)، فيما بلغت نسبة من أشاروا إلى أنَّ اللوائح التنظيمية المعمول بها في هذه الشركات تتضمَّن المسئولية الاجتماعية، ولتفعيل برامج المسئولية الاجتماعية والالتزام بها يجب أنْ تتضمَّن.

جدول رقم (10) هل توجد بالهيكل التنظيمي وحدة مختصة بالمسئولية الاجتماعية

هل توجد بالهيكل التنظيمي وحدة مختصة بالمسئولية الاجتماعية.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
نعم	1	6.7	1	9.1	2	7.6
لا	14	93.3	10	90.9	24	92.4
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

مختصة بالمسئولية الاجتماعية في الشركة، ومركز التدريب للقيام ببرامج المسئولية الاجتماعية، حيث بلغت النسبة (92.4) من مجموع مفردات المجتمع. ولا يمكن لأي شركة أو مؤسسة أنْ تفي بالتزاماتها الاجتماعية في غياب وحدة مختصة في الهيكل التنظيمي.

جدول رقم (11) سبب عدم وجود وحدة مختصة بالمسئولية الاجتمعية في الهيكل التنظيمي

سبب عدم وجود وحدة مختصة بالمسئولية الاجتماعية في الهيكل التنظيمي.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
القوانين واللوائح المعمول بها لا تنص على مراعاة المسئولية الاجتماعية.	8	53.3	3	27.3	11	42.3
المسئولية الاجتماعية ليست من اهتمامات وأوليات الشركات أو المسئولية.	2	13.3	5	45.5	7	26.9
البرامج المترتبة على المسئولية الاجتماعية تحتاج ميزانيات كبيرة.	5	33.3	1	9.1	6	23.1
الشركة أو المؤسسة ناجحة في أعمالها بغض النظر عن المسئولية الاجتماعية.	0		2	18.2	2	7.7
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

يتضح من نتائج الجدول أنَّ أسباب عدم وجود وحدة مختصة بالمسئولية الاجتماعية في الهيكل التنظيمي قد تعددت، فكان السبب الأول: القوانين واللوائح المعمول بها لا تنص على مراعاة المسئولية الاجتماعية، وبنسبة (42.3)، أمَّا السبب الثاني: فالمسئولية الاجتماعية ليست من اهتمامات وأوليات الشركات، وبنسبة (26.9). فيما كان السبب الثالث: أنَّ البرامج المترتبة على المسئولية الاجتماعية تحتاج ميزانيات كبيرة، بنسبة (23.1) وكان السبب الأخير: أنَّ الشركة أو المؤسسة ناجحة في أعمالها بغض النظر عن المسئولية الاجتماعية، وبنسبة (7.7).

إنَّ غياب القوانين واللوائح المعمول بها بالشركات أو المؤسسات العامة، أو الخاصة يجب أنْ تراعي المسئولية الاجتماعية عند تنظيمها لنشاطاتها في بيئتها، وهو ما تشترطه قوانين العمل و جماعات حماية البيئة وحماية المستهلك الاتحادات والنقابات العمالية، وهو ما يلاحظ في الدول المتقدمة.

جدول رقم (12) هل يتم تخصيص جزء من الميزانية السنوية للإنفاق على المسئولية الاجتماعية بغض النظر عن الأرباح أو الخسائر؟

هل يتم تخصيص جزء من الميزانية السنوية للإنفاق على المسئولية الاجتماعية بغض النظر عن الأرباح أو الخسائر؟	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
نعم	2	13.3	1	9.9	3	11.5
لا	13	86.7	10	90.1	23	88.5
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

بما أنَّ هذه الشركات لا توجد بها خاصة بالمسئولية الاجتماعية في الهيكل التنظيمي، وهو ما أظهرته نتائج الجدول رقم (11)، فلا يتوقع أنْ تخصص هذه الشركات أو المؤسسات ميزانيات تتعلق بالمسئولية الاجتماعية، وهذا ما تبيَّن بالجدول رقم (12)، وتمثل ذلك في النسبة العالية جداً (88.5) من مفردات مجتمع البحث التي ترى أنَّه لا يتم تخصيص جزء من الميزانية السنوية للإنفاق على المسئولية الاجتماعية بغض النظر عن الأرباح أو الخسائر. وهذا ما يؤدي إلى عدم الإنفاق على برامج المسئولية الاجتماعية التي

تتطلَّب مبالغ وميزانيات كبيرة للإنفاق عليها.

جدول رقم (13) المساهمة في إنشاء طرق بالمنطقة المحيطة

المساهمة في إنشاء طرق بالمنطقة المحيطة.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	5	33.3	2	18.2	7	26.9
غير موافق	4	26.7	7	63.6	11	42.3
موافق إلى حد ما	3	20.0	2	18.2	5	19.2
موافق	1	6.7	00	00	1	3.8
موافق بشدة	2	13.3	00	00	2	7.8
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

تبين نتائج الجدول رقم (13) على التوالي أنَّ ما نسبته (26.9) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (42.3) من درجة غير موافق، فيما يتعلق بمساهمة الشركات في الجوانب المختلفة للمسئولية الاجتماعية وهذه النسبة مجتمعة تشكل (76.2) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحث، وهي نسبة عالية جداً مقارنة بدرجة الموافقة، وموافق بشدة على التوالي(3.8) و(7.8). وهذا يؤكد أنَّه لا توجد مساهمة من هذه الشركات في الجوانب المختلفة للمسئولية الاجتماعية.

جدول رقم (14) الإنفاق على بناء مدارس ومرافق عامة بالمنطقة المحيطة						
الإنفاق على بناء مـــدارس ومرافـــق عامة بالمنطقة المحيطة.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	5	333	00	00	5	19.2
غير موافق	4	26.7	9	81.8	13	50.1
موافق إلى حد ما	2	13.3	00	00	2	7.7
موافق	1	6.7	2	18.2	3	11.5
موافق بشدة	3	20.0	00	00	3	11.5
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

أظهرت نتائج الجدول رقم (14) على التوالي أنَّ ما نسبته (19.2) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (50.1) لدرجة غير موافق، فيما يتعلق بالإنفاق على بناء مدارس ومرافق عامة بالمنطقة المحيطة، وهذه النسبة مجتمعة تشكل (69.3) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحـــث، وهي نسبة عالية جداً مقارنة بدرجة موافق إلى حد ما، و موافق، وموافق بشدة على التوالي (7.7) و(11.5) (11.5). حيث لا تقوم هذه الشركات والمؤسسات بالإنفاق على بناء مدارس ومرافق عامة بالمنطقة المحيطة.

جدول رقم (15) تجهيز مرافق صحية ومكافحة بعض الأمراض						
الإنفاق على بناء مـــدارس ومرافـــق عامة بالمنطقة المحيطة.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	5	333	00	00	5	19.2
غير موافق	4	26.7	9	81.8	13	50.1
موافق إلى حد ما	2	13.3	00	00	2	7.7
موافق	1	6.7	2	18.2	3	11.5
موافق بشدة	3	20.0	00	00	3	11.5
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

أظهرت نتائج الجدول رقم (15) على التوالي أنَّ ما نسبته (15.4) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (57.7) من درجة غير موافق، فيما يتعلَّق بتجهيز مرافق صحية، ومكافحة بعض الأمراض، وهذه النسبة مجتمعة تشكل (72.1) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحث، وهي نسبة عالية جداً مقارنة بدرجة موافق إلى حد ما، وغير موافق، وغير موافق بشدة على التوالي (7.7) و(11.5) (7.7). حيث لا تسهم هذه الشركات بتجهيز مرافق صحية ومكافحة بعض الأمراض.

جدول رقم (16) تغطية المصاريف الدراسية لأبناء بعض العائلات الفقيرة.

تغطية المصاريف الدراسية لأبناء بعض العائلات الفقيرة.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	5	33.3	00	00	5	19.2
غير موافق	7	46.7	9	81.8	16	61.6
موافق إلى حد ما	3	20.0	1	9.1	4	15.4
موافق	00	00	1	9.1	1	3.8
موافق بشدة	00	00	00	00	00	00
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

تشير نتائج الجدول رقم (16) على التوالي أنَّ ما نسبته(19.2) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (61.6) من درجة غير موافق، فيما يتعلق بتغطية المصاريف الدراسية لأبناء بعض العائلات الفقيرة، وهذه النسبة مجتمعة تشكل (80.7) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحـــث، وهي نسبة عالية جداً مقارنة بدرجة موافق إلى حد ما، و موافق على التوالي (15.4) و(3.8). حيث لا تسهم هذه الشركات في تغطية المصاريف الدراسية لأبناء بعض العائلات الفقيرة، وهذا يدل على ضعف قيام هذه المؤسسات بدورها الاجتماعي في هذا الخصوص.

جدول رقم (17) إقامة الأندية الرياضية لأبناء المنطقة						
إقامة الأندية الرياضية لأبناء المنطقة	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	5	33.3	00	00	5	19.2
غير موافق	6	40.0	9	81.8	15	57.8
موافق إلى حد ما	3	20.0	1	9.1	4	15.3
موافق	1	6.7	1	9.1	2	7.7
موافق بشدة	00	00	00	00	00	00
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

أظهرت نتائج الجدول رقم (17) على التوالي أنَّ ما نسبته(19.2) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (57.8) لدرجة غير موافق، فيما يتعلق بإقامة الأندية الرياضية لأبناء المنطقة، وهذه النسبة مجتمعة تشكل (77.0) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحث، وهي نسبة عالية جداً مقارنة بدرجة موافق إلى حد ما، وموافــق على التوالي (15.3) و(7.7). حيث لا تسهم هذه الشركات في إقامة الأندية الرياضية لأبناء المنطقة، ويعد هذا قصوراً في هذا الجانب، حيث من الواجب أنْ تقوم هذه المؤسسات بدورها الاجتماعي المتمثِّل في دعم النوادي الرياضية، وإقامة البعض منها لفئة الشباب المحيطين بهذه المؤسسات.

جدول رقم (18) المساهمة في إقامة المسطَّحات الخضراء والحدائق بالمنطقة.						
المساهمة في إقامة المسطحات الخضراء والحدائق بالمنطقة.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	5	33.3	9	81.8	14	53.9
غير موافق	7	46.7	00	00	7	26.9
موافق إلى حد ما	00	00	2	18.2	2	7.7
موافق	3	20.0	00	00	3	11.5
موافق بشدة	00	00	00	00	00	00
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

تظهر نتائج الجدول رقم (18) على التوالي أنَّ ما نسبته (53.9) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (26.9) من درجة غير موافق، فيما يتعلق بالمساهمة في إقامة المسطحات الخضراء والحدائق بالمنطقة، وهذه النسبة مجتمعة تشكل (80.8) من المجموع الكلـــــــي لمفردات مجتمع البحث، وهي نسبة عالية جداً مقارنة بدرجة موافق إلى حد ما، و موافق على التوالي (7.7) و(11.5). وهذا مؤشر يؤكد أنَّ هذه الشركات لا تسهم في إقامة المسطحات الخضراء والحدائق بالمنطقة، ويعد هذا قصوراً في المسئولية الاجتماعية من هذا الجانب.

جدول رقم (19) تبنِّي حملات نظافة البيئة المحيطة

تبني حملات نظافة البيئة المحيطة.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	4	26.7	00	00	4	15.4
غير موافق	7	46.7	8	72.7	15	57.7
موافق إلى حد ما	00	00	3	27.3	3	11.6
موافق	3	20.0	00	00	3	11.6
موافق بشدة	1	6.7	00	00	1	3.7
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

تبين نتائج الجدول رقم (19) على التوالي أنَّ ما نسبته (15.4) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (57.7) من درجة غير موافق، فيما يتعلق بالمساهمة في تبنِّي حملات نظافة البيئة المحيطة، وهذه النسبة مجتمعة تشكِّل (73.1) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحث، وهي نسبة عالية جداً مقارنة بدرجة موافق إلى حد ما، وموافق وموافق بشدة على التوالي (11.6) و(11.6) و(3.7) . حيث لا تتبنَّي هذه الشركات حملات نظافة البيئة المحيطة، وهو دور كبير يجب على هذه الشركات أنْ تسهم به في مجتمعها

جدول رقم (20) مراعاة حماية البيئة البحرية.

مراعاة حماية البيئة البحرية	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	3	20.0	5	45.5	8	30.8
غير موافق	4	26.7	2	18.2	6	23.0
موافق إلى حد ما	1	6.7	00	00	1	3.8
موافق	3	20.0	2	18.2	5	19.3
موافق بشدة	4	26.7	2	18.2	6	23.1
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

تشير نتائج الجدول رقم (20) على التوالي أنَّ ما نسبته (30.8) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (23.0) من درجة غير موافق، فيما يتعلَّق بمراعاة حماية البيئة المحيطة، وهذه النسبة مجتمعة تشكِّل(53.8) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحث، وهي نسبة عالية جداً مقارنةً بدرجة موافق إلى حد ما، وموافق بشدة على التوالي (3.8) و(19.3) وغير موافق بشدة (23.1) وهذه النسبة مجتمعة تمثل ما نسبته (46.2). وهي تعد مؤشر لتبنِّي هذه الشركات مراعاة حماية البيئة المحيطة، ويعد مساهمة إيجابية نحو البيئة البحرية المحيطة.

جدول رقم (21) علاج بعض الحالات المرضية لأبناء المنطقة.

علاج بعض الحالات المرضية لأبناء المنطقة.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	4	26.7	1	9.1	5	19.2
غير موافق	9	60.0	10	90.9	19	73.0
موافق إلى حد ما	1	6.7	00	00	1	3.9
موافق	1	6.7	00	00	1	3.9
موافق بشدة	00	00	00	00	00	00
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

أظهرت نتائج الجدول رقم (21) على التوالي أنَّ ما نسبته (19.2) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (73.0) من درجة غير موافق، فيما يتعلَّق بمراعاة حماية البيئة المحيطة، وهذه النسبة مجتمعة تشكِّل (82.2) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحث، وهي نسبة عالية جداً مقارنة بدرجة موافق إلى حد ما، وموافق على التوالي (3.9) و(3.9). حيث لا تقوم الشركة بعلاج بعض الحالات المرضية لأبناء المنطقة، وهذا يعد قصوراً في الدور الاجتماعي لهاتين المؤسستين.

جدول رقم (22) مشاركة مرافق البلديات المحيطة في بناء الشقق، وتوفير السكن لأبنائها

مشاركة مرافق البلديات المحيطة في بناء الشقق، وتوفير السكن لأبنائها.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	7	46.7	1	9.1	8	30.9
غير موافق	7	46.7	10	90.9	17	65.3
موافق إلى حد ما	1	6.7	00	00	1	3.8
موافق	00	00	00	00	00	00
موافق بشدة	00	00	00	00	00	00
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

تبين نتائج الجدول رقم (22) على التوالي أنَّ ما نسبته (30.9) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (65.3) من درجة غير موافق فيما يتعلَّق بمشاركة مرافق البلديات المحيطة في بناء الشقق، وتوفير السكن لأبنائها، وهذه النسبة مجتمعة تشكل (95.2) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحث، وهي نسبة عالية جداً مقارنة بدرجة موافق إلى حد ما بنسبة (3.8).

يتبين من هذه النتيجة أنَّ شركة الزاوية، والمركز النوعي لا يشاركان مرافق البلديات المحيطة في بناء الشقق، وتوفير السكن لأبنائها، وهذا يعد قصوراً في المسئولية الاجتماعية.

جدول رقم (23) إعطاء الأولوية للقوى العاملة من أبناء المنطقة المحيطة عند التعيين بالشركة أو المؤسسة.

إعطاء الأولوية للقوى العاملة من أبناء المنطقة المحيطة عند التعيين بالشركة أو المؤسسة.	شركة الزاوية		مركز التدريب		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير موافق بشدة	4	26.7	00	00	4	15.4
غير موافق	4	26.7	00	00	4	15.4
موافق إلى حد ما	3	20.0	6	54.5	9	34.7
موافق	2	13.2	4	36.4	6	23.0
موافق بشدة	2	13.2	1	9.1	3	11.5
المجموع	15	100.0	11	100.0	26	100.0

أظهرت نتائج الجدول رقم (23) على التوالي أنَّ ما نسبته (15.4) من درجة غير موافق بشدة، ونسبة (15.4) من درجة غير موافق، فيما يتعلق بإعطاء الأولوية للقوى العاملة من أبناء المنطقة المحيطة عند التعيين بالشركة أو المؤسسة. وهذه النسبة مجتمعة تشكِّل (30.8)، بينما ظهرت نسبة موافق إلى حد ما، وموافق وموافق بشدة على التوالي (34.7) و(23.0) و(11.5) بمجموع (69.2) من المجموع الكلي لمفردات مجتمع البحث، وهي نسبة جيدة، وتشير إلى أنَّ شركة الزاوية ومركز التدريب يوليان أهمية لإعطاء الأولوية للقوى العاملة من أبنـــاء المنطقة المحيطة عند التعيين بالشركة أو المؤسسة، ويعد هذا الجانب مهماً ضمن الدور الاجتماعي لهاتين المؤسستين.

نتائج الدراسة وتوصياتها:

أولاً- النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة:

تسهم النتائج التي تم التوصل إليها في تحقيق الأهداف التي انطلقت منها هذه الدراسة، والإجابة على التساؤلات التي انطلقت منها على النحو التالي.

1- المفهوم السائد بين إدارات هذه الشركات عن المسئولية الاجتماعية في الحالتين.

أظهرت نتائج الجدول رقم (7) أنَّ المفهوم السائد بين إدارات هذه الشركات عن المسئولية الاجتماعية مفهوم يعبِّر عن

الدور الاجتماعي للشركة في بيئتها، وهو المفهوم الذي يتمشَّى مع المفهوم المتفق عليه لدى بعض الباحثين والمفكرين في الإدارة، ومتعارف عليه في الممارسة الميدانية، سواء في القطاع العام، أو الخاص على حد سواء.

2- هل يتم تضمين المسئولية الاجتماعية ضمن الخطط الاستراتيجية لكل من شركة الزاوية والمركز النوعي؟

أظهرت نتائج الجدول رقم (8) أنَّ الخطة الاستراتيجية والخطة التنفيذية للشركة أو المؤسسة لا تتضمَّن الالتزام بالمسئولية الاجتماعية، ومن هذه النتيجة لا يتوقع أنْ يكون هناك دور اجتماعي، أو مراعاة للمسؤولية الاجتماعية في غياب خطة محدَّدة للمسؤولية الاجتماعية، ضمن الخطط الاستراتيجية لهذه الشركات أو المؤسسات.

3- هل تتضمَّن اللوائح التنظيمية المعمول بها المسئولية الاجتماعية؟

أظهرت نتائج الجدول رقم (9) أنَّ اللوائح التنظيمية المعمول بها لا تتضمَّن المسئولية الاجتماعية، وعلى ذلك يجب أنْ تتضمَّن اللوائح التنظيمية لهذه المؤسسات لوائح تضع المسئولية الاجتماعية ضمن اهتمامات هذه المؤسسات بجانب نشاطها الرئيسي.

4- هل توجد وحدة إدارة في الهيكل التنظيمي تختص بالمسئولية الاجتماعية؟

فيما يتعلق بوجود وحدة إدارية في الهيكل التنظيمي تختص بالمسئولية الاجتماعية، بيَّنت نتائج الجدول رقم (10) أنَّه لا توجد وحدة مختصة بالمسئولية الاجتماعية في شركة الزاوية ومركز التدريب للقيام ببرامج المسئولية الاجتماعية، ولا يمكن لأي شركة أو مؤسسة أنْ تفي بالتزاماتها الاجتماعية في غياب وحدة مختصة في الهيكل التنظيمي.

5- هل يتم تخصيص جزء من الميزانية السنوية للإنفاق على المسئولية الاجتماعية؟ بغض النظر عن الأرباح أو الخسائر.

لا يتوقع من أي شركة أو مؤسسة أنْ تقوم بدورها الاجتماعي في غياب تخصيص ميزانيات تتعلق بالمسئولية الاجتماعية، وهو ما بيَّنته نتائج الجدول رقم (12)، تمثل ذلك في النسبة العالية من مفردات مجتمع البحث التي ترى أنَّه لا يتم تخصيص جزء من الميزانية السنوية

للإنفاق على المسئولية الاجتماعية بغض النظر عن الأرباح أو الخسائر. ومن هذه النتيجة يتضح ضرورة تخصيص ميزانيات خاصة للإنفاق على برامج المسئولية الاجتماعية وبرامجها الاجتماعية.

6- هل تسهم الشركات في الجوانب المختلفة للمسؤولية الاجتماعية وما نوع المساهمة؟

من النتائج التي تم التوصل إليها تبيَّن أنَّ العديد من الأنشطة التي ينبغي أنْ تقوم بها أي شركة، أو مؤسسة التزاماً منها بدورها الاجتماعي في مجتمعها مثل المساهمة في إنشاء الطرق، والإنفاق على بناء المدارس والمرافق العامة بالمنطقة المحيطة، وتجهيز المرافق الصحية، ومكافحة بعض الأمراض، وكذلك تغطية المصاريف الدراسية لأبناء بعض العائلات الفقيرة، بالإضافة إلى إقامة الأندية الرياضية لأبناء المنطقة، وإقامة المسطَّحات الخضراء والحدائق العامة، وتبنِّي حملات نظافة البيئة المحيطة. فإنَّ النتائج في هذا الجانب كانت ضعيفة في هاتين المؤسستين. ينظر: الجداول (13)، (14)، (15)، (16)، (17)، (18)، (19)، إذ يلحظ ضعف القيام بمثل هذه المساهمات الاجتماعية من قبل هاتين المؤسستين.

وفيما يتعلق بمراعاة حماية البيئة البحرية المحيطة فقد ظهرت النتائج إيجابية، جدول رقم (20) وهذا مؤشر جيد لتبنِّي هذه الشركات الإسهامات إيجابية نحو البيئة البحرية المحيطة، وهو المأمول من هذه المؤسسات نحو بيئتها.

أمَّا بالنسبة لقيام الشركة أو المؤسسة بعلاج بعض الحالات المرضية لأبناء المنطقة، فقد أظهرت نتائج الجدول رقم (21) ضعف القيام بهذا الدور الاجتماعي في كلتا المؤسستين، وهذا يعد قصوراً في الدور الاجتماعي من هذا الجانب. كما بيَّنت نتائج الجدول رقم (22) أنَّ المؤسستين لا تشاركان مرافق البلديات المحيطة في بناء الشقق، وتوفير السكن لأبنائها.

إلا أنَّ نتائج الجدول رقم (23) تظهر أنَّ شركة الزاوية والمركز النوعي يوليان جانب من المسئولية الاجتماعية فيما يتعلق بإعطاء الأولوية للقوى العاملة من أبناء المنطقة المحيطة عند التعيين بالشركة أو المؤسسة.

ثانيا- التوصيات:

بعد أنْ توصَّلت الدراسة لإجابات محدَّدة عن التساؤلات التي انطلقت منها، وحقَّقت الأهداف المرجوَّة، وقادت إلى استنتاجات محدَّدة في إطار المنهجية التي تم إتباعها، فأهم التوصيات التي يمكن التأكيد عليها لتسليط المزيد من الضوء على المسئوليـــة الاجتماعية للشركات والمؤسسات، وبخاصة تلك التي لها تأثير على البيئة المحيطة من مخلَّفات وعوادم ناتجة عن القيام بعملياتها الصناعية والخدمية، وعلى ذلك توصي الدراسة بالآتي:

1- ضرورة تضمين المسئولية في اللوائح المعمول بها في هذه الشركات والمؤسسات.
2- ضرورة تخصيص وحدة مختصة في الهياكل التنظيمية تتولَّى مهام المسئولية الاجتماعية.
3- تخصيص ميزانيات مالية كافية للصرف على الجوانب المختلة للمسؤولية الاجتماعية.
4- المساهمة في إنشاء طرق بالمنطقة المحيطة.
5- الإنفاق على بناء مدارس ومرافق عامة بالمنطقة المحيطة.
6- تجهيز مرافق صحية ومكافحة بعض الأمراض.
7- تغطية المصاريف الدراسية لأبناء بعض العائلات الفقيرة.
8- إقامة الأندية الرياضية والترفيهية لأبناء المنطقة.
9- المساهمة في إقامة المسطَّحات الخضراء والحدائق بالمنطقة.
10- تبنِّي حملات نظافة البيئة المحيطة.
11- علاج بعض الحالات المرضية لأبناء المنطقة المحيطة على نفقة الشركة.
12- مشاركة مرافق البلديات المحيطة في بناء الشقق وتوفير السكن لأبنائها.

قائمة المراجع:

أولاً- الكتب والرسائل غير المنشورة:

1- محمد فرج صالح، أوراق حول التنمية المستدامة، دار الطباعة الحرة : الإسكندرية،(2013)

2- البكري تامر ياسر، التسويق والمسئولية الاجتماعية: دار وائل للنشر والتوزيع، عمان،(2001)
3- عبد الله صادق، المسئولية الاجتماعية للمؤسسات، مجلة عالم العمل، العدد49، مارس (2004)
4- طاهر محسن الغالبي، وصالح محسن العامري، المسئولية الاجتماعية وأخلاقيات العمل الأردن: دار وائل(2005).
5- العناتي، رضوان، محاسبة المسئولية الاجتماعية لشركات الاتصالات الأردنية، ورقة مقدَّمة للمؤتمر السابع للمسؤولية الاجتماعية في الفترة من 11-2009/11، جامعة الزرقاء، ورقة غير منشورة.
6- الوصيف، استخدام أسلوب تحليل التكلفة مع الفاعلية في البرامج الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة. (2004).
7- الشوشان، المسئولية الاجتماعية للشركات الأجنبية في مجال الموارد البشرية (2018) رسالة ماجستير غير منشورة.

ثانيا- شبكة الانترنت:

8- www.cipe-arabia.org/files/pdf/article1252.pdf
9- www.un.org/ra/business)
10- www.cipe-arabia.org/files
11- www.nop.gov.org
12- Bonini,Brun,Rosenthal,2009:Valuing Corporate Social Responsibility

السادة / رئيس وأعضاء لجنة الإدارة.

السادة / مدراء الإدارات.

السادة/ رؤساء المكاتب.

تحية طيبة،،،،،

يقوم الباحث بإجراء دراسة عن واقع المسئولية الاجتماعية في بعض الشركات والمؤسسات العاملة في قطاع النفط بالمنطقة الغربية، وفي الوقت الذي تعد فيه شركة الزاوية لتكرير النفط، والمركز النوعي للتدريب على الصناعات النفطية بالزاوية، من المؤسسات الحيوية في هذا القطاع. وانطلاقاً من الدور الذي تمارسه كافة الشركات والمؤسسات الخاصة أو العامة، باعتبارها جزءاً من المجتمع، تستمد منه مواردها وتقدم إليه مخرجاتها في صورة سلع أو خدمات. إلا أنَّ هذا الدور لم يعد كافياً لضمان استمرارها في أداء أعمالها بمعزل عن الدور الاجتماعي في خدمة المجتمع والبيئة المحيطة، والمتمثل في برامج التنمية المستدامة، ومعالجة مظاهر التلوث، والمساهمة في البرامج الثقافية والتعليمية والصحية، والحد من الفقر والتخلُّف إلى غير ذلك من البرامج المختلفة التي تعد جزءاً مهماً من مسئولياتها الاجتماعية.

وعلى ما سبق تأتي هذه الدراسة لمواصلة الجهود المبذولة؛ للوقوف على واقع المسئولية الاجتماعية في الشركات والمؤسسات العاملة في هذا القطاع، ويأمل الباحث تكرمكم بتخصيص جزء من وقتكم الثمين للإجابة على الأسئلة الواردة في صحيفة الاستبيان، التي أعدت لهذا الغرض؛ مساهمة منكم في إثراء هذه الدراسة، و ما تقدمونه من بيانات و معلومات لن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي.

تقبلوا فائق التقدير والاحترام،،،

الباحث / محمود عبد الله أبو شعالة

عضو هيئة تدريس بكلية الاقتصاد بالزاوية

أولا: بيانات عامة :

-اسم الشركة أو المؤسسة: .....

-تاريخ التأسيس :.....

ثانيا: بيانات شخصية:

يرجى التكرم بوضع إشارة (√) في المكان الذي يقابل بياناتكم الشخصية

المؤهل العلمي:

شهادة جامعية. شهادة ثانوية. شهادة إعدادية.

☐ ☐ ☐

أخرى تذكر.....

- التخصص العلمي:

تخصص في مجال الإدارة . ☐

تخصص في مجال العلوم الهندسية . ☐

تخصص آخر يذكر:.....

- مسمى الوظيفة الحالية:

أمين لجنة الإدارة. مدير إدارة. رئيس مكتب.

☐ ☐ ☐

أخرى تذكر.....

- المستوى الإداري:

الإدارة العليا: الإدارة الوسطى: الإدارة التنفيذية:

☐ ☐ ☐

- سنوات الخبرة في الشركة أو المؤسسة :

من 5 سنوات فأقل من 10. ☐

من 10سنوات فأقل من 15. ☐

من 15 سنة فأكثر. ☐

ثالثا: بيانات ومعلومات تتعلق بالمسئولية الاجتماعية:

يرجى التكرم بوضع إشارة (√) واحدة فقط في المكان الذي يعبر عن رأيك تجاه العبارات التالية.

1- ما المفهوم السائد لديكم عن المسئولية الاجتماعية للشركة:

- مصطلح غير محدَّد
- مفهوم يتنافى مع طبيعة نشاط الشركة أو المؤسسة. ☐
- مفهوم يعبر عن الدور الاجتماعي للشركة في بيئتها. ☐
- مفهوم لا ينطبق على شركات ومؤسسات للقطاع العام. ☐
- مفهوم آخر يذكر..... ☐

2- هل تتضمَّن الخطة الاستراتيجية والخطط التنفيذية للشركة أو المؤسسة الالتزام بالمسئولية الاجتماعية.

نعم ☐ لا ☐

3- هل توجد بالشركة أو المؤسسة لوائح تنظيمية تتعلق بالمسئولية الاجتماعية.

نعم ☐ لا ☐

4- هل توجد بالهيكل التنظيمي للشركة أو المؤسسة وحدة مختصة بالمسئولية الاجتماعية.

نعم ☐ لا ☐

إذا كانت الإجابة على الفقرة رقم (4) - (نعم) الرجاء الاستمرار في الإجابة على الفقرات التي تليها، أمَّا إذا كانت الإجابة (لا) فيرجى الانتقال للفقرة رقم (5).

- ما مسمَّى هذه الوحدة في الهيكل التنظيمي.....

- هل يتم تخصيص جزء من الميزانية لهذه الوحدة للإنفاق على برامج المسئولية الاجتماعية:

نعم ☐ لا ☐

إذا كانت الإجابة نعم

هل الميزانية المخصصة كافية

نعم ☐ لا ☐

5- في رأيك ما سبب عدم وجود وحدة مختصة بالمسئولية الاجتماعية في الهيكل التنظيمي:

- القوانين واللوائح المنظمة المعمول بها لا تنص على مراعاة المسئولية الاجتماعية. ☐

- المسئولية الاجتماعية ليست من اهتمامات وأولويات الشركة أو المؤسسة. ☐

- البرامج المترتبة عن المسئولية الاجتماعية تحتاج ميزانيات كبيرة. ☐

- الشركة أو المؤسسة ناجحة في أعمالها بغض النظر عن المسئولية الاجتماعية. ☐

- لا توجد ضغوط على الشركة أو المؤسسة من قبل النقابات العمالية أو مؤسسات المجتمع المدني للالتزام بالمسئولية الاجتماعية. ☐

6- أي من هذه الأنشطة والمساهمات تقوم بها الشركة، أو المؤسسة من حين لآخر بخلاف نشاطها الرئيسي:

درجة الموافقة / النشاط	موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق بشدة
المساهمة في إنشاء طرق بالمنطقة المحيطة.					
الإنفاق على بناء مدارس ومرافق عامة بالمنطقة المحيطة.					
تجهيز مرافق صحية ومكافحة بعض الأمراض.					
تغطية المصاريف الدراسية لأبناء بعض العائلات الفقيرة.					
إقامة الأندية الرياضية والترفيهية لأبناء المنطقة.					
المساهمة في إقامة المسطّحات الخضراء والحدائق بالمنطقة.					
تبنِّي حملات نظافة البيئة المحيطة.					
مراعاة معايير حماية البيئة البحرية المحيطة.					
علاج بعض الحالات المرضية لأبناء المنطقة المحيطة على نفقة الشركة.					
مشاركة مرافق البلديات المحيطة في بناء الشقق وتوفير السكن لأبنائها.					
إعطاء الأولوية للقوى العاملة من أبناء المنطقة المحيطة عند التعيين بالشركة أو المؤسسة.					

تقبلوا فائق الشكر والاحترام لتكرمكم بتخصيص جزءاً من وقتكم الثمين للإجابة على التساؤلات التي وردت بصحيفة الاستبيان، ولأي ملاحظة أو إضافة ترونها مناسبة من دواعي السرور أنْ يتم التواصل معكم على الإيميل أو رقم الهاتف .

الباحث،،،،

E-mail:

Abushaala2012@hotmail.com

Mobile: 092-646-1289.

واقع الإرشاد السياحي في ليبيا

أ. أبوعجيلة الهدار المقطف أ. ليلى عبدالسلام الواعر
كلية الآداب - جامعة طرابلس كلية الآداب - جامعة طرابلس

مقدمة:

لكي تكون مرشداً سياحياً عليك أنْ تعيش أحلام الكثيرين، والإرشاد السياحي معروف في الولايات المتحدة بأنَّه وظيفة ترفيهية للسيدات، ففكرة وجود وظيفة بأجر لقضاء إجازة مع مجموعات مختلفة من البشر في جميع أنحاء العالم، فكرة جديدة لها بريق خاص عند السيدات، ولازالت طبيعة عمل المرشد غير مفهومة إلى حد كبير حتى الآن، حيث لايزال الكثيرون لايدركون بالضبط ماهي مهنة الإرشاد السياحي؟ وطبيعة عمل المرشد.

لا يشمل الإرشاد السفر لمسافات طويلة، وهذا ما يميز عمل المرشد السياحي عن عمل المشرف أو مدير الرحلة، حيث يعرف المرشد السياحي بأنَّه الشخص الذي يقوم بالإرشاد والشرح في مكان أو منطقة أو مدينة ما، ولذلك فالدليل السياحي لا يقوم غالباً بالسفر أو الترحال، بعكس مدير الرحلة الذي يعرف في صناعة السياحة والسفر بأنَّه الشخص الذي يسافر مع مجموعة من الناس لمسافات طويلة، وتوجد بعض الاستثناءات في التفرقة السابقة بين كل من المرشد السياحي، ومدير الرحلة، وبخاصة في الولايات المتحدة وكندا، فنتيجة لإتساع مساحة تلك البلاد يضطر المرشد للسفر والترحال لمسافات طويلة مقارنة بزملائمه من البلاد الأخرى[1].

ويطبَّق في بعض الأحيان على المرشدين في صناعة السياحة والسفر على عكس الكثيرين ممَّن يعملون بنفس المهنة، مثل وكالات السفر، ومصمِّموا الرحلات، وموظفوا شركة الطيران، فالمرشد السياحي غالباً ما يعمل لحسابه الخاص، وقد يعمل من منزله، وقد يعمل مع الكثير من المرشدين لحساب عدَّة شركات ومؤسسات في نفس الوقت. فالتسمية في مهنة الإرشاد هي صفة مميَّزة وغالبة على تلك المهنة،

وتضع وحدات لكمية العمل، وبالتالي حجم الدخل الذي يحصل عليه المرشد من عمله، وقليل من المرشدين فقط، هم الذين يعتمدون كلياً على مهنتهم في الكسب المادي والمعيشة، وبالتالي فأغالبية المرشدين لا يستطيعون تحمُّل النفقات الخاصة بالعمل الحر لحساب أنفسهم. فغالباً مايترك المرشدون عملهم بالإرشاد ويلجؤون إلى العمل في مجالات أخرى من العمل الحر، مثل الكتابة والإرشادات أو التدريس. فالطبيعة الغامضة او المحيِّرة للعمل الحر غير المقيد بوظيفة ثابتة للمرشد السياحي، كانت سبباً أساسياً في تأسيس مؤسسة المرشدين المحترفين بأمريكا، وكان من أهم العوائق التي صادفت تلك المؤسسة، الوصول إلى المرشدين للتحاور معهم.

وإنَّما الغريب أنَّ المرشدين هم من أهم حلقات الرحلة السياحية، عادةً ما تقوم وكالات ومصمِّموا برامج السياحة والسفر بالإتفاق معهم، ولكنهم يفشلون في كثير من الأحيان في الوصول إليهم، ومع ذلك فعندما تقابل أحدهم يشكو دائماً من قلة العمل، وعدم القدرة على تغطية نفقات المعيشة، وقد وجد العاملون بمهنة الإرشاد السياحي أنَّ وجود رابطة أو نقابة تمثلهم أصبح أمراً ضرورياً وحتمياً لهم، ولكن تبقى دائماً مشكلة الوصول إلى هؤلاء الأحرار في وظيفتهم أمراً صعباً للغاية.

وتتمثل مشكلة البحث في عدم الإهتمام بالمرشد السياحي من قبل وزارة السياحة في ليبيا، وبالتالي تكمن مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

س1: ماهي الصعوبات والعراقيل التي تواجه مهنة الإرشاد السياحي؟

س2: ما هي طبيعة عمل المرشد السياحي في الماضي وفي الوقت الحاضر؟

س3: هل تقوم باستخدام الوسائل السمعية والبصرية كأداة توضيحية للسائح عند زيارة المواقع السياحية؟

س4: ما هي الشروط والمواصفات التي وضعت لتنظيم مهنة الارشاد السياحي؟

س5: هل تقوم الوزارة بالتفتيش و الرقابة على أعمال ومهنة الإرشاد السياحي؟

س6: هل هناك رابطة أو اتحاد لتحقيق مطالبكم المهنية؟

اعتمد هذا البحث على استخدام المنهج الوصفي والتحليلي، مستعيناً في ذلك بـــمجموعة من المراجع والزيارة الميدانية التي قام بها الباحثان، وبعض المقابلات

الشخصية بمدينة لبدة وطرابلس وصبراتة، وأيضاً في (وزارة السياحة)، سيتم تناول موضوع البحث على النحو التالي:

أولاً- تعريف الإرشاد السياحي :

تختلف التعاريف الخاصة بالمرشد السياحي من مكان إلى آخر، ودائماً ما يحدث الخلط في التعاريف الخاصة بالمرشد السياحي والمرشدين العاملين في صناعة السياحة والسفر، حيث توجد بعض المصطلحات المعروفة، ولكنَّها مستخدمة من قبل مجموعة صغيرة من العامليين في صناعة السياحة والسفر[2].

وتطلق كلمة المرشد السياحي على الشخص الذي يقوم برحلة، أو شخص ذو قدرة وعلم بمنطقة معيَّنة، الذي عليه إخبار الناس بكل ما يعلم عن هذه المنطقة أو المكان، ويستخدم هذا المصطلح خارج صناعة المرشد في وصف الأشخاص الخبراء الذين يقومون بإرشاد الناس، ويشمل ذلك مدير الرحلة، المعلم، والمترجم[3].

ومن الصعب في تعريف المرشد السياحي تحديد وظيفة تابثة، أو محدَّدة يقوم بها المرشد، فالمرشد يقوم بكثير من الأعمال في كل الأماكن التي يتواجد بها، أو التي يقوم الزائرون بزيارتها فهم يقومون بالعمل لحسابهم الخاص، وذلك من خلال تصميم رحلتهم وتسويقها بمعرفتهم.

والبعض الآخر من المرشدين السياحيين يكلَّفون من قبل شركات؛ للقيام ببرامج مجهَّزة ومعدَّة سلفاً، بينما البعض قد يكون ممثِّل لهيئة أو مؤسسة أو حكومة، ويختلف المرشدون فيما بينهم تبعاً للخبرة والدرجة، فهناك المرشد والخبير في قطعة فنية معيَّنة، وهناك الخبير في غرفة أو مكان أو منطقة ما، وكذلك هناك الخبير لمنطقة تضم عدد من الأماكن الأثرية.

والمرشد السياحي كما هو متعارف عليه، هو معلم ويختلف عمله عن مدير الرحلة، الذي تحتِّم عليه طبيعة عمله أنْ يكون ذو صبغة إدارية في كثير من الأحيان، ويقوم المرشد السياحي باللحاق فقط في المكان الذي سوف يقوم بالشرح فيه، وبالتالي لا يصاحب المجموعة أكثر من بضعة ساعات فقط، ولكن في بعض المناطق يمكن للمرشد أنْ يمكث مع المجموعات لعدَّة أيام، وفي هذه الحالة يقوم المرشد عادة بدوره كمرشد سياحي، وكمدير رحلة في آن واحد.

من هنا يمكن تعريف المرشد السياحي بأنَّه: ذلك الشخص الذي يتولَّى الشرح والإرشاد للسائح في الأماكن الأثرية والسياحية وغيرها مقابل أجر.

ثانياً– أنواع المرشدين السياحيين.

1- المرشد المحلي:

في جميع البلدان والدول على مستوى العالم يوجد دائماً مواطنين من أهل المنطقة ممَّن يجدون سعادة كبيرة لسرد حكاية أو قصة مدينتهم، أو المنطقة التي يعيشون فيها، مع أنَّ معظم الشركات ووكلاء السفر يلجئون في معظم الأحيان إلى توضيف مرشديهم بطريقة ثابتة، إلا أنَّهم قد يلجئون إلى التعامل مع المرشدين من أهل المنطقة الذين يتمتَّعون بحرية أكثر بالعمل، ولا يوضفون من قبل وكالات السياحة والسفر، بل يعملون على أساس رحلة، وتختلف مؤهلات ونوعية الوظيفة، وبالتالي ظروف العمل التي تحكم عمل المرشد السياحي من مدينة إلى أخرى، أو من بلد إلى آخر، وفي بعض البلدان تجعل المؤسسات المتخصصة تنظم دورات تدريبية يجب على المرشد الدارس أن يجتازها بنجاح؛ ليتمكَّن من ممارسة مهنة الإرشاد، فقد أصبحت هذه البرامج أمراً مفضَّلاً ومرغوباً من قبل المرشدين، أو من قبل الشركات المتعاملة معهم[4].

2- المرشد الذي يعمل لدى الحكومة:

تستعين الحكومات بالمرشدين لشرح عناصر الجذب التاريخية، أو الثقافية أو السياسية للزوَّار والضيوف الرسميين للدولة، وعلى المستوى المحلي توجد أحداث أو مناسبات مهمة تتطلَّب ضرورة القيام بجولات إرشادية من قبل الحكومة.

3- السائق المرشد:

هو المرشد السياحي الذي يقوم بالإرشاد السياحي أثناء القيادة، سواء كانت من خلال حافلة سياحية، أو سيارات صغيرة . ومع أنَّ هذا الدور المزدوج للمرشد متعارف عليه على مستوى العالم، إلا أنَّ المعارضين لهذا الدور المزدوج للمرشد يشيرون إلى أنَّ قيادة السيارة مع الركاب تعد في ذاتها مسئولية كبيرة من قبل السائق، لذلك من الصعب على المرشد أنْ يجمع بين القيادة والإرشاد في نفس الوقت. ويضيف المعارضون أيضاً أنَّ دور كل من المرشد والسائق يعد في غاية الأهمية، ولكن قيام أحدهم بالدورين معاً يعد إهانة للطرفين وينقص من شأنهم[5].

4- مرشد العمل أو الصناعة:

كثير من المؤسسات سواء كانت صغيرة أو كبيرة تقوم بتوضيف مرشدين خاصين لها؛ للقيام بجولات إرشادية ومرافقة الزوار للتعريف بالمؤسسة وفروعها، والتسويق لمنتجاتها أو خدماتها.

وهؤلاء المرشدون يتم تدريبهم من قبل الهيئة التي يعملون بها، والمرشد في هذه الحالة يجب أنْ تكون لديه القدرة على التحدُّث في الكثير من الموضوعات المتخصِّصة مع نوعيات الزوار المختلفة من زملاء المهنة في نفس الصناعة أو الزائرين الذين ليست لديهم أي فكرة عن المؤسسة أو الصناعة، وبعض هؤلاء المرشدين متحدثين بصفة رسمية عن الشركة، ويقوم بالشرح والتأكيد على سياسات الشركة، ولذلك يتم تدريبهم على كيفية عرض منتجات الشركة، وأساليب البيع المستخدمة فيها. وهذه الممارسة يتم استخدامها على نطاق واسع لبعض السلاسل الفندقية للتعريف بالفندق ومرافقه، وتميزه عن غيرة كنوع من الدلالة والعلاقات العامة.

5- المرشد المغامر:

نتيجة لزيادة واتساع سياحة المغامرات، فالأمر يتطلَّب عدد أكبر من المرشدين في هذا المجال، مثل مرشد الجبال، مرشد الصيد، مرشد الدراجات، والعمل كمرشد مغامر يتطلَّب الإخلاص التام لهذه النوعية من مهن المغامرة أو الرياضة.

6- مديرو الرحلات:

يطلق على هذه الوظيفة (وظيفة الأحلام) فتخيل أنَّك تسافر دون أنْ تتكلَّف شيئاً، وأكثر من ذلك تتقاضى أجراً أيضاً عن هذا السفر، ولذلك فكثير من مديري الرحلات لا يمكنهم الاستغناء عن وظيفتهم، والقيام بأي وظيفة أخرى مهما كانت الأسباب.

ويعرف مدير الرحلة بأنَّه "الشخص الذي يدير الرحلة، ويمثِّل بطبيعة الحال وكيل السفر، أو منظِّم الرحلات، ويكون مسئولاً عن سلامة وانتظام الرحلة للمجموعة المصاحبة له؛ لضمان حصول المسافرين على الخدمات الملائمة لهم، وأنَّ خط سير الرحلة المصمَّمة من قبل الشركة متبع كما هو دون تغير، وكل أفراد المجموعة قد تحصَّلوا على حجرات مناسبة لهم في الفنادق، وتختلف كمية الشرح

والمعلومات التي يقدمها مدير الرحلة لأفراد المجموعة، تبعاً لدور كل من المرشد ومدير الرحلة، فالمرشد السياحي عندما ينضم إلى المجموعة في المدينة، أو المزار يكون دور مدير الرحلة في الشرح فقط بشكل بسيط ومحدود في هذه الحالة، أصبح الآن الكثير من مديري الرحلات على علم كاف بالمناطق، ولديهم معلومات وخبرة تؤهلهم للقيام بالعمل كمدير رحلة ومرشد في آنٍ واحد، وفي النهاية يتداخل دور كل من المرشد ومدير الرحلة لحد كبير"[6].

7- المترجمين:

مع أنَّ كلمة مترجم لها أكثر من معنى، فقد يقصد بها الشخص الذي يترجم اللغات الأجنبية، أو الشخص الذي يتفاهم مع الآخرين بلغة الإشارة، لكن المترجم في صناعة السفر والسياحة، هو الشخص الذي يجيد فن الشرح. ومن أهم خصائص المترجم ما يلي:

أ ــ الإقامة في مكان معيَّن، والقدرة على تقديم المعلومات والخبرات الخاصة بذلك المكان، وكذلك شرح وتعريف هذا المكان، ولو تطلَّب الأمر الانتقال الى المجتمعات المجاورة؛ لتقديم برامج إرشادية.

بـــ تقديم الخدمات للزائرين بشكل تطوعي.

8- المترجمين المرافقين في الدوائر الحكومة:

بجانب المرشدين الذين يقومون باصطحاب السياسيين والتجوُّل معهم داخل الطرقات والغرف في وزارة الخارجية، فالوزارة تقوم أيضاً بتوظيف عدد من المترجمين أو المرشدين لمصاحبة الزوار المدعوين رسمياً من قبل الحكومة، وهؤلاء الأشخاص عادةً يكونون على مستوى عالٍ لغوياً لإصطحاب الزوار في البلد لمدة قد تصل إلى شهر وذلك للقيام بالترجمة لهم.

9- المرشد المتطوع:

معظم المرشدين من هذه الفئة يتمتَّعون بكفاءة ومهارة عالية، ويطلق عليهم في بعض الأحيان معلمين، وهم ليسوا موظفين رسميين، ويوجد عدد كبير من المرشدين المتطوعين بالمتاحف والكنائس والمنازل التاريخية.

ويعتقد البعض أنَّ عمل المرشد المتطوع في المناطق والمباني هو أمر سهل وبسيط، ولكن على العكس من ذلك، فالكثير من تلك المناطق تقوم بإجراء اختبارات على مستوى عال لهؤلاء، وتعقد

دورات تدريبية لفترات طويلة يكلف ذلك الوقت والمال والجهد.

فالتعليم الفني لمرشد متطوع في معارض للفنون أو المتاحف المتخصصة يتجاوز أي تعليم آخر يتم من خلال الجامعات، وبعض المتاحف تعد هذه النوعية من المرشدين عملية لابد أنْ تتم بصفة مستمرة، وبالتالي يتم وضع برامج تدريبية لهم طوال العام[7].

ثالثاً: تدريب المرشد السياحي

الإرشاد السياحي هو حرفة جزئية تتطلَّب معلومات تاريخية، وطلاقة في اللغة لاستضافة السائح القادم، وتقديم الخدمات والتسهيلات بأسلوب شخصي ومباشر حول البلد المقصود، وحسب حاجة وتوقعات السائح نفسه.

كما يعد المرشد السياحي أحد العوامل الرئيسية في صناعة السياحة والسفر، ويشكِّل أداة ربط مباشرة بين السائح وعوامل الجذب الثقافية التاريخية الاجتماعية والحضارية للبلد، والعوامل السياحية الاخرى مثل النقل والإيواء، وتعد وسائل جذب للسائح لمشاهدة مقومات السياحة الرئيسية، ومهمة المرشد هي تفسير وشرح هذه الآثار والمقومات وجميع الجوانب المتعلقة بالسائح ووجوده في البلد، حيث يبيِّن العادات والتقاليد للسائح، السياسة، التاريخ والدين، والفلسفة والرقص والرسم والفنون والآداب ...ألخ[8].

فالمرشد هو كالموسوعة الحية ووظيفته تشبه وظيفة السفير، وفي كثير من الأحيان يسمَّى بالسفير.

فالدليل والمرشد هو من يقوم بتوجيه السائح، الذي يكون لديه إلمام بالأماكن التي ينوي زيارتها بشكل خاص، وبالأمور والجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية للبلد بشكل عام.

إذاً المرشد السياحي هو الشخص الذي يمتلك المعرفة والتدريب المهني، والذي يتم استئجاره من قبل السائح أو السياح لإرشادهم في معرفة وتقدير الأماكن والاشياء التي يتم زيارتها خلال رحلتهم، فالمرشد السياحي يلعب أهم دور في الحياة اليومية للسائح، لأنَّه هو وحده الذي يقضي أغلب الوقت مع السائح خلال مشاهدته للمناظر الطبيعية ومواقع الجذب السياحي، لذا فالمرشد السياحي يجب أنَّ يفهم بشكل جيد حاجات السائح، وأنَّ يشعر بالفخر بمهنته ومساهمته في بناء سمعة طيبة، وصورة ذهنية جيدة لبلده خارج حدودها

من خلال السياح الذين يلتقي بهم، وبالتالي فعليه أنْ يحافظ على هيبته ومركزه، وأنْ لا يضغط على السائح للتسوق في أماكن معيَّنة بغية الحصول على عمولة من أصحاب المحلات.

إنَّ عنصر التدريب شيء مهم جداً بالنسبة للمرشد السياحي، وحاجة أساسية له لكنه يجب أنْ يتعلَّم ويعرف الكثير حول الأشخاص والأماكن في العالم، وأنْ يوسِّع من مظاهر معرفته لحد يجعله يتكلَّم مع السائح في أي موضوع خلال زيارته، يحفِّز ويرغِّب السائح بمعرفة حضارته، وسياسة واقتصاد البلد، وكذلك الحياة الدينية والروحية للأفراد[9]. ولذلك يجب أنْ يتوفر في المرشد قدرات تقديم وعرض المواضيع المهمة بطريقة لبقة ومشوِّقة، ويتحلَّى بالمجاملة والاحترام والتقدير، واللطف والكياسة والأدب أمام السائح، وهذا ما يتحدَّث عنه السائح باستمرار من حسن ضيافة واحترام عند عودته لبلاده. وكذلك يجب على المرشد أنْ يبعد عن الشعور بالأنانية والاهتمام بمصلحته فقط. بل يهتم بالمصلحة العامة للبلد، وتعزيز الجوانب الإيجابية والتخفيف من الجوانب السلبية ما أمكن.

ويعد النقص في التدريب المناسب أكبر معوِّق للتنمية السياحية، فالسياحة الحديثة تحتاج لبرامج تدريبية متخصصة، تتناسب مع متطلَّبات العصر الحالي من حيث التعليم، وهناك درجات جامعية في السياحة والضيافة والإرشاد السياحي، وفي بعض الجامعات هناك برنامج الإجازة العالية (الماجستير) في السياحة يؤهل خريجه كدليل سياحي ومرشد ومنظِّم رحلات وإداري في الخدمات السياحية، وتكون الأولوية لحملة الشهادة الجامعية في التاريخ والآثار، أو اللغات الاجنبية وبعدها يكون هناك برنامج تدريبي يستمر شهور لتأهيل المرشدين السياحيين ويشمل[10]:

1. الآثار والمعالم التاريخية، أصلها وتاريخها ومظاهرها.
2. تصنيف الفنادق والجوانب المختلفة لها.
3. وظائف ونشاطات وكلاء السفر.
4. المظاهر العامة للعادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية.
5. الجوانب الاقتصادية وبرامج التنمية المستدامة.
6. الحياة البرية وحياة الغابات.
7. الرقص الشعبي والفلوكلور.

8. الإجـــراءات والتسهيـــلات الجمركيـــة والسياحية.
9. اللغات الأجنبية.
10. الفيزا والتأشيرة.
11. وسائل النقل.
12. خصومات خاصة للسائح.
13. الأغذية والمشروبات الشعبية.

رابعاً-عصر النهضة والثورة الصناعية والتكنولوجيا:

ظهر السفر المنتظم والرحلات السياحية الجماعية في منتصف القرن التاسع عشر في إنجلترا، على يد (توماس كوك) الذي ابتكر هذا النمط من السفر سنة 1846م، وبالتالي يعد كوك أول مرشد ودليل سياحي معاصر، وزع مطبوعات سياحية للمجموعة التي قادها من انجلترا إلى أوروبا، ثم حوَّل العالم فيما بعد بالرحلات السياحية الكبرى، وهكذا ظهر منتجو الرحلات ومنظموها حيث تمكَّن هؤلاء (المنتجون، المصنعون) من جمع مكوِّنات منفردة ومتفرِّقة(نقل، إيواء، إطعام، وغيرها) على شكل رحلة كاملة تباع للسائح بسعر منخفض، هكذا ظهرت الرحلة السياحية، فقد كان من أهم سماتها وجود مرشد قادر على قيادة هذه المجاميع، وضبط تحركاتها وإيصالها إلى مقاصدها، وتحقيق أهدافها بيسر، وهكذا ظهر المرشد السياحي المعاصر[11].

خامساً- شروط مزاولة المهنة:

نظراً للدور الهام الذي يقوم به الدليل المرشد السياحي في تقديم المعلومات والخدمات السياحية، فقد حرصت الجهات المختصة على تطوير وتدريب المرشدين السياحيين، وتعليمهم اللغات المختلفة، وإكسابهم فن ومهارة التعامل مع السياحة، حيث أنَّهم يعطون الصورة الصحيحة عن بلدهم إذا ما تميَّز بسلوك حضاري وثقافة واسعة ووعي سياحي[12].

لقد حرصت الدول المتقدمة على توفير مرشدين مدرَّبين؛ لتسويق البلد سياحياً، وهؤلاء يقومون بدور فعَّال، معتمدين على ثقافتهم الشاملة، ووعيهم التام لواقع البلد السياحي والتاريخي، مبينين كنوزه التي يزخر بها، ويعطون صورة مشرقة لبلد يعتزون بها، فلا شك أنَّهم يحملون تاريخ البلد في قلوبهم وعقولهم، ويعرفون جغرافية وتاريخ المواقع السياحية، ويتعاملون مع السياح بكل لطف وأدب وكياسة، معبِّرين عن خصائص الشعب.

إنَّ مهنة الدليل السياحي من المهن المهمة في البلد، لذلك فعلى من يرغب بممارسة هذه المهنة أنْ يتبع دورة تأهيل المرشدين السياحيين، لكافة المناطق وبكافة اللغات، وهذه الدورة شرط للترخيص لمن سيعمل بها، إضافة إلى بعض الشروط الإجرائية الأخرى.

وعلى ذلك يشترط على كل من يريد مزاولة مهنة الإرشاد السياحي الحصول على ترخيص من وزارة السياحة، والقيد بنقابة المرشدين السياحيين، ويشترط للحصول على ترخيص من وزارة السياحة لمزاولة مهنة الإرشاد السياحي توفر الآتي:

1- أنْ يكون طالب الترخيص من جنسية البلد.
2- أنْ يكون محمود السيرة وحسن السمعة.
3- ألا يكون قد سبق الحكم عليه بعقوبة جناية، أو في جنحة مخلة بالشرف، أو الأمانة ما لم يرد إليه اعتباره، وأنْ يكون لديه بعض اللياقة الطبية على النحو الذي تحدِّده اللائحة التنفيذية للقانون بترخيص من الطب العام؛ لتقدير مدى لياقته الصحية الطبية والنفسية، وأنْ يكون متحصِّل على مؤهل عال من إحدى الجامعات، ولوزير السياحة الحق في الإعفاء من هذا الشرط بالاكتفاء باجتياز الطالب امتحاناً تحريرياً في التاريخ والآثار واللغة الأجنبية، التي يطلب ممارسة العمل بها.
4- ألا يقل عمره عن 21 سنة.
5- أنْ يجتاز بنجاح الامتحان الذي تعقده وزارة السياحة لطالبي الترخيص، مع إعفاء الدارسين فقط للإرشاد السياحي.
6- ألا يكون من العاملين بالحكومة، أو الهيئات العامة أو القطاع العام، إلا إذا قدَّم موافقة الجهة التي يعمل بها على منحة إجازة بدون مرتب للعمل بالإرشاد السياحي.

وعلى ذلك فمزاولة هذه المهنة تتطلَّب التفرُّغ الكامل لها، فالمرشد يصطحب السائح أو المجموعة السياحية، ليس فقط لمدة نصف يوم أو يوم كامل، بل يصطحبهم عدَّة أيام متتالية حسب البرنامج المعد للرحلة، وتكون مدة الترخيص خمس سنوات ويجب تجديدها خلال الشهرين الأخرين من هذه المدة و تتضمن الواجبات المفروضة على المرشدين السياحيين في الآتي:

يتوجب على المرشد السياحي أنْ لا يقصِّر في أداء واجباته أو خدماته، وأنْ لا يخل بالتزاماته تجاه السياح أو أصحاب المهن السياحية الأخرى، وعليه بشكل خاص الالتزام بما يلي[13]:

1- تقديم ترخيص مزاولة مهنة الإرشاد السياحي.
2- عدم مزاولة مهنة الإرشاد خارج المنطقة المبيَّنة، أو المكتوبة بالترخيص إلا بإذن كتابي من وزارة السياحة.
3- عدم مزاولة مهنة أخرى، أو الاشتغال بالتجارة أو السمسرة أو قبول أي عمولة أو مكافأة.
4- لا يجوز التنازل عن الترخيص لأي شخص آخر.
5- أنْ يراعي المرشد في سلوكه المهني مبادئ الشرف والأمانة والنزاهة، وأنْ يقوم بجميع واجباته و يحترم لائحة آداب المهنة وتقاليدها.
6- يحظر على المرشد السياحي المحاورة في الأمور السياسية والدينية بما يتعارض مع النظام العام والآداب.
7- يحظر على المرشد السياحي تناول المشروبات الروحية، أو مزاولة لعب القمار بمقر النقابة، أو فروعها أو أثناء مزاولة المهنة.
8- يحظر مرافقة كل من السائح والزائر في الأماكن السياحية الأثرية إلا بناء على طلبه.
9- يحظر القيام بالإرشاد أثناء قيادة السيارة.

لكي يكون المرشد ناجحاً يجب أنْ يعيش أحلام الكثيرين، والإرشاد هو المجال الذي يقدِّم فرصة السفر، التعلم، العمل مع الآخرين في إطار ترفيهي، لذلك فهو نشاط حيوي لمن يرغب في أنْ يبرز في ذلك المجال.

سادساً-الأساليب المختلفة للأرشاد السياحي:

أـ رحلات الحافلات السياحية[14]:

1- إبدأ رحلتك بشرح التفاصيل الخاصة بالرحلة، وإلى أين تتجه الرحلة؟ والطريق الذي تسلكه. زمن القيادة. الوقوف أو الاستراحة للراحة. إشارة سريعة إلى ما سوف تراه المجموعة وموعد إنتهاء الرحلة.
2- حاول أنْ تتعرف أكثر على مدينتك من خلال القيادة بهدوء في المدينة،

والتوجُّه إلى الأماكن التي سوف يشملها برنامج الرحلة.

3- أعرف أسماء وأماكن الشوارع ذات الاتجاه الواحد؛ لتفادي الأخطاء والأخطار.

4- تعرَّف على الأماكن الخاصة لانتظار الحافلات السياحية في الشوارع.

5- تعرَّف على القوانين والقواعد المنظِّمة لحركة الحافلات في المنطقة.

6- تعرَّف على طبيعة حركة المرور في أماكن الزيارة والأماكن القريبة منها.

7- تعرَّف على الطرق البديلة المؤدية إلى كل مزار، فقد تضطر إلى تغيير الطريق المعتاد لأسباب خاصة بحركة المرور أو الإصلاحات.

8- يجب أنْ تكون ملماً بزوايا التصوير المختلفة في المزارات، وأين ومتى تتوقَّف الحافلة؟ ليتمكَّن السائح من التصوير؛ لأنَّه غالباً ما يحمل معه كاميرا.

9- انظر حولك دائماً أثناء تجوالك في أي منطقة؛ لتستطيع أنْ تلم بالتجديدات التي طرأت عليها من حيث الديكورات المباني، أو تماثيل جديدة لتخليد ذكرى، أو شخص معيَّن، وقد تجد مباني أثرية غير مدرجة على خط سير الرحلة، وكل ما سبق يساعد المرشد على إخراج رحلة ناجحة.

10- حدِّد موقع المزار بالنسبة للمزارات الأخرى، فسوف يساعد ذلك المرشد على تصميم خط سير جيد للرحلة، إما في خط مستقيم، أو في شكل دائري، وبذلك لا تستهلك الوقت في اختراق المدينة ذهاباً واياباً لزيارة مزارات، ومن ثم تعاود الكرَّة مرة أخرى لزيارة مزار آخر.

11- في معظم الأحوال تكون الحركة المرورية عائقاً للرحلات، وبخاصة في أوقات الذروة؛ لذلك على المرشد معرفة تلك الأوقات وتجنُّبها.

12- إذا وجد مزارين في برنامج الرحلة بالقرب من بعضهما حيث يمكن قطع المسافة بينهما سيراً على الأقدام بعد إستشارة قائد المجموعة، أو مدير الرحلة وإعلام السائق بذلك.

ب- الإرشاد في رحلات التجوال (السير على الأقدام)[15]:

1- أبدأ الرحلة بإعطاء المجموعة فكرة عامة عن التفاصيل الخاصة بالرحلة خط السير، مدة الرحلة، المسافة التي

سوف تقطعها المجموعة، الأماكن والأشياء التي سوف يمرون عليها، أقرب وقفة أو استراحة على الطريق، موعد العودة.

2- إخبار المجموعة بالوجهة، وكيفية الوصول إليها، وأين وكيف يمكنهم الوصول إلى مرشد في حالة تفرُّق المجموعة.

3- معرفة عدد المجموعة، والالتزام بحصر المجموعة من آن إلى آخر، مع الوضع في الاعتبار أنَّ من الطبيعي اعتذار البعض منذ البداية عن الاشتراك في رحلات السير على الأقدام.

4- عندما ينوي المرشد ومعاونيه إنزال المجموعة من الحافلة إلى الشارع، عليه أنْ يتبع خطوات معيَّنة لتأمين سلامة المجموعة، كأنْ يقف السائق بين الركَّاب أثناء نزولهم، ويقف قائد المجموعة بجوار الباب لتوجيه أفراد المجموعة، أمَّا المرشد فيحرص على الوقوف في موضع آمن، حتى يراه الجميع بسهولة ويتوجهون إليه.

5- المحاولة قدر المستطاع في الإبقاء على المجموعة مترابطة مع بعضها البعض، مع ضبط الخطوات.

6- يلاحظ أي شئ يمكن أنْ يشتت المجموعة، ويبطئ سير بعض أفرادها مثل المحلات، الزهور المميزة، الجلوس على المقاعد، وغيرها ممَّا يمكن أنْ يلفت انتباه المجموعة.

7- يجب أنْ يكون ملماً بأماكن دورات المياه، وترك الوقت الكافي للمجموعة للذهاب إليها.

8- على المرشد دائماً تنبيه المجموعة لما يمكن أنْ تصادفه من إشارات مرور، علامات مرورية، أماكن بناء، أراضي خشنة، أماكن أو طرق طينية، أشجار متدلِّية على الطريق وغيرها ممَّا يمكنه أنْ يعيق حركة المجموعة.

9- لا يبدأ المرشد في الشرح قبل أنْ يتأكد من وصول كل أفراد المجموعة إليه، ويصبحوا قريبين بدرجة كافية حتى لا يضطر المرشد إلى رفع صوته.

10-اختيار المرشد المكان المناسب للوقوف بحيث يكون ظهر المرشد مستنداً إلى شجرة، أو حائط وبالتالي

يكون جميع أفراد المجموعة أمامك؛ ليتمكَّنوا من الاستماع الجيد إليه.

11-اختيار المرشد مكان الشرح بحيث يكون خال من الحركة المرورية، التي قد تعيق عمليه الشرح.

12-دع المجموعة تحصل على الخبرة من منطقة الزيارة بنفسها كلما أمكن ذلك، و يترك لهم الوقت اللازم للتأمل والاستماع واللمس إذ لزم الأمر.

13-توجيه النظر إلى أكبر عدد ممكن من أفراد المجموعة.

14-تأكد من أنَّ المجموعة يستطيعون رؤية ما تشرحه.

15-محاولة إبقاء المجموعة بعيدة قدر الإمكان في حالة مصادفة المرشد مرشداً آخر، وتجنب حدوث أي تداخل في عملية الشرح.

16-تأكد المرشد من أنَّ عدداً كبيراً من أفراد المجموعة على دراية تامة بما يشرحه لهم.

17-تشجيع المجموعة على طرح الأسئلة، وذلك يساعد على جذب اهتمامهم.

18-يجب أنْ يتم حصر أفراد المجموعة قبل التحرُّك إلى أي مكان، أو نقطة أخرى، والتأكد من عدم تدخُّل أحد.

19-تأكد من أنَّ المجموعة على علم بمكانهم، والوقت المخصص للتجوال والمشاهدة الحرة، وإخبارهم بالنقطة أو المكان القادم.

20-على المرشد السياحي دائماً مراقبة الوقت، وتذكر الوقت المخصص لكل مكان أو مزار، وعدد المزارات الباقية للزيارة.

21-يجب أنْ يكون المرشد مستعداً، فالإرشاد السياحي في رحلات السير على الأقدام يحتاج إلى كم من المعلومات أكثر بكثير من تلك المطلوبة في رحلة الحافلات السياحية.

ج- الإرشاد في المكان السياحي[16]:

1- قد يوجد في المكان أحد المرشدين الخاصين بذلك المكان، فعلى المرشد احترامه ومحاولة تنسيق معه والتعاون معه.

2- التأكد دائماً من أنَّ المجموعة على علم بموعد التوجُّه إلى الحافلة السياحية، وموعد مغادرة الأماكن.

3- على المرشد السياحي إخبار المجموعة بأماكن دورات المياه والمطاعم والتليفونات ومحلات الهدايا.

4- يجب على المرشد تحذير المجموعة السياحية في حالة وجود أي عقبات مثل أرض مهدَّدة بالسقوط أو خطرة.
5- تحذير المجموعة في حالة وجود نشَّالين، أو أي أخطار قد تهدِّد سلامتهم، وعندما تكن مستعداً للشرح عليك اختيار المكان المناسب.
6- يجب أنْ يختار المرشد السياحي مكان لا يتم فيه الاختلاط مع مجموعة أخرى.
7- عندما يكون في منطقة أكثر من مزار، على المرشد السياحي إخطار المجموعة بذلك، وبالطريق الذي تنوي أنْ تسلكه داخل المنطقة.
8- عندما يكون الأثر الذي سوف تقوم بشرحه داخل حجرة، أو مبنى ضيق فعلى المرشد الشرح قبل الدخول.
9- أثناء السير يمكن دائماً أنْ يحدث ما يجذب انتباه المجموعة من شكل ولون معيَّن، صورة، ...ألخ ، في هذه الحالة على المرشد تنظيم خطواته بحيث يسمح للمجموعة بتأمل ما يجذبهم.
10- على المرشد دائماً النظر خلفه ليتأكد من قرب المجموعة منه.
11- يجب ألا يدع المرشد أحد من المجموعة يسبقه.
12- عندما يضل أحد الأفراد الطريق، على المرشد إخبار قائد المجموعة فوراً.
13- عند ركوب أفراد المجموعة في الحافلة يجب أنْ يقوم المرشد بحصرهم أثناء الركوب.
14- يجب على المرشد السياحي أنْ يكون ملماً بالقواعد والقوانين الخاصة بالمزارات اتجاه المجموعات السياحية.

سابعاً- الخطايا السبعة المتعلقة بمهنة الإرشاد السياحي[17]:

1- معاملة السائح بفتور:

يغفر المسافر الكثير من مواطن العجز لدى المرشد السياحي إذا لم يكن الفتور واحداً منها. وكما هو الحال أية وظيفة خدمية موجهة، يجب على المرشدين الذين يعانون من فتور الشعور المزمن البحث بشكل مؤقت أو دائم عن عمل آخر.

2- التخلص من السياح:

هذا يظهر على المرشد السياحي كنتيجة لفتور الشعور والتخلُّص من السائح، ويشكِّل ذلك تحدياً خاصاً لكثير من

المرشدين على نحو مخالف للمهن الأخرى، حيث أنَّ عملية الإرشاد السياحي ليست عملية القيام بالتزامات يبلغ عددها من 5 إلى 9 التزامات، في بعض الأحيان يعمل المرشد من الصباح إلى ساعة متأخرة في المساء، ويتطلَّب هذا من المرشد إعطائه وقتاً أطول للاستمتاع ولخدمة المجموعة دون أنْ يظهر عزمه على التخلُّص منها.

3- معاملة السائح بأسلوب غير ودي:

يعبِّر السلوك الفضولي الموصوف وفشل المرشد السياحي وعدم قدرته على المشاركة مع الآخرين، عن فتوره اتجاه السائح، ويذكر كثير من المسافرين أنَّ مقابلة الناس تشكِّل الدافع الأول للسفر، وأنَّ وجود فتور أو مسافة بينهم وبين المرشد يؤدي إلى إهمال المنافع التي يقدمها هؤلاء المرشدون.

4- معاملة السائح باستعلاء:

مع أنَّ موقف التنازل بين المرشد والسائح يبقى موقفاً عاماً لمطاوعة ومسايرة السائح، وأنَّ معظم المرشدين الذين يرتكبون هذا الخطأ دون أنْ يعلموا، كالمرشد السياحي الذي يتحدَّث لطلبة الصف العاشر بنفس الأسلوب الذي يتحدث به مع طلبة الصف الرابع، أو كالمرشد الذي يعتقد أنَّ المواطن المتقدم في السن يعاني من صعوبة في السمع، أو من مرض معيَّن، فهو يشتم ضيوفه دون وعي، وتوجد لدى المترجم الماهر طرق كثيرة لتحديد مستوى المجموعة، وتشمل على توجيه الأسئلة والانصات والتشجيع على المشاركة.

5- أنْ يعمل كانسان آلي:

يتم نقل موقف المرشد السياحي الذي يعبر عنه بعبارة (استطيع عمل ذلك، وعيناي مغلقتان) بسهولة لا يفهمها كثير من العاملين، فخلال السنين اعتمدت عملية الإرشاد لسوء الحظ على الكثير من نماذج الإنسان الآلي، وأصبحت الأحاديث المغناة والمسجلة شائعة كما توقع الزوار، ويبقى هذا السلوك مزعجاً؛ لأنَّه يشير إلى فتور، ويولِّد الملل في نفوس المستمعين والمتحدثين.

6- عدم التقيد بالقوانين والتشريعات:

في الحقيقة إنَّ اتباع القوانين أو الامتثال لها يؤدي إلى حل أفضل، ويخدم أهداف كل من الدليل والمسافر.

ثامناً- واقع المهنة ومعوقات تطور الإرشاد السياحي:

ممَّا تقدم أصبح واضحاً ولكي يقوم الدليل بما يطلب منه من مهام وواجبات ومسؤوليات، لا بد أنْ يكون على أصناف عديدة، وأنْ يتحمَّل ويتحلَّى بمواصفات محدَّدة، وأنْ يكون قد حصل على الإعداد الأكاديمي والمهني المناسب لتكوينه، وتهيئته لمواجهة ماهو مطلوب منه، وحين الحديث عن الخلفية الدراسية المطلوبة لتكوين مرشد سياحي، طرحنا وحدَّدنا جملة من المصادر المعرفية والعلمية والمهنية الواجب توفيرها للدليل السياحي؛ لكي يكون بالمستوى المطلوب مهنياً وثقافياً ومعرفياً[19].

أ: واقع المهنة:

هناك دلالات تشير إلى قدم مهنة المرشد السياحي وعمق جذورها في العالم، وبشكل خاص في الوطن العربي من خلال ما تقدمه هذه الدلالات عن عمق ظاهرة السفر السياحي المنظَّم في هذه البلدان، ولذ لابد من توفره لظهور الحاجة إلى المرشد. فمنذ أكثر من مئة سنة تأسست أول شركة نقل سياحي بحري من فرنسا إلى فلسطين، حيث كانت السفن الناقلة للحجَّاج إلى القدس ترسو في مدينة عكا حوالي عما 1799م. وتأسس في منتصف القرن التاسع عشر أول مكتب سياحي في القدس ينقل الحجَّاج من الموانى الفلسطينية إلى موقع الحج بعربات، ويوفر للحجَّاج كل الإمكانيات السياحية والفندقية لتسهيل الرحلة، ووصلت الرحلات السياحية المنظمة إلى العراق في منتصف عام 1925م حيت افتتحت الشركة فرعاً لها في العراق، وفي وقتها نظمت أول رحلة لها لزيارة الآثار في الشرق الأوسط، وتعاونت الشركة مع إدارة السكك الحديدية العراقية في تأجير عربات كاملة، وخاصة لسياحها يستغلونها في ترحالهم ويستعملونها للنوم والطعام وتبقى معه طيلة مدة الرحلة.

تشير عدَّة نشرات وإعلانات أنَّ شركة (توماس كوك) البريطانية قد أسهمت في وجود حركة سياحية منظمة مبكرة إلى الاقطاب العربية من مختلف الدول الأروبية، وفي مقدمتها المملكة المتحدة، حيث افتتحت شركة (توماس كوك) مكاتب لها بحلول عشرينيات القرن الماضي في كل من بغداد، الاسكندرية، بيروت، أسوان؛ لتسهيل مهمة خدمات وفعالياته السياحية الوافدة إلى هذه المدن، خاصة

وأنَّ هذه الشركة كانت تنظم الرحلات الكبيرة والشاملة التي تغطِّي بلدين عربيين أو أكثر.

يظهر من هذه الأدلة والمؤشرات المتوفرة لنا رغم محدوديتها قدم السفر المنظم، ورحلات المجاميع السياحية، ويظهر كذلك وجود مرشدين ساهموا في تنفيذ هذه الرحلات، وعليه قدم وجود الحاجة إلى مهنة الدلالة والارشاد، وقدم وجود المرشدين.

رغم هذا التطور في الحاجة، فقد بقى عدد من مارس هذه المهنه محدوداً، ومن منطلق الإهتمام الشخصي والهواية (على الأقل في بداية الأمر) وبتكوين وإعداد غير مباشر وغير مقصود، لقد كان معظم هؤلاء من المهتمين بالآثار والتاريخ لأنَّ الطلب كان كذلك، سياح يفدون إلى المنطقة للوقوف على تاريخها القديم والاطلاع على الشواهد الأثرية التي تركها هذا التاريخ البعيد والعميق، واستمر الحال على هذا ولم يتم ترتيب برامج لإعداد الأدلاء المرشدين السياحيين إلا في أوقات متأخرة، حيث نظِّمت أول دورة تدريبية موفقة لإعداد الأدلاء السياحيين في العراق عام 1977، وركَّز البرنامج على المهارات والمعارف الأثرية والتاريخية مع بعض الشئ من العلوم السلوكية، وعلى مدى بضعه أيام فقط.

ولم تتطوَّر هذه الدورات عداً ونوعاً وموضوعات، لحين بداية التسعينات من القرن العشرين، حين تعاونت هيئة السياحة العراقية مع رابطة مكاتب السفر والسياحة، ودائرة الآثار والتراث وأمانة بغداد في إعداد برنامج مدته ثلاثة أسابيع، تحتوي على 24 محاضرة في مختلف العلوم والمهارات والمعارف، وبخاصة جوانب السياحة والضيافة، وقد نفذ منها مايقارب 30 دورة تخرُّج، منها عدد لابأس به من الأدلاء حتى الآن.

أمَّا التعليم الأكاديمي المتخصِّص في الإرشاد السياحي فلم يبدأ رغم وجود التعليم السياحي الفندقي في العراق منذ 30 عاماً إلا في بداية التسعينات حين افتتح فرع الإرشاد السياحي في قم إدارة السياحة والفنادق بمعهد الغدارة التقني التابع لهيئة المعاهد الفنية، ولم يتخرَّج من هذا الفرع إلا عدد قليل جداً مقارنة بالحاجة والأقل منهم من يمارسون المهنة فعلياً، وقد تكون جامعة الاسكندرية أول جامعة عربية تؤسس قسماً منفصلا ًللإرشاد بشكل عام،

وللإرشاد السياحي بشكل خاص، من منطلق الاهتمام بالآثار المصرية لأهميتها ومركزيتها في تكوين المنتوج السياحي الأكثر رواجاً لقاصديه من الأجانب، لكنَّها لم تدخل الإرشاد السياحي ضمن برامجها.

ب- المشاكل التي تواجه وتعيق تطورها:

1- عدم وجود تحديد دقيق وواضح لواجبات ومهام الدليل السياحي على المستوى الإداري وبالذات في الهيئات الرسمية للسياحة، ومن خلال نظم وتشريعات محدودة، إلا في الآونة الأخيرة حيث صدرت تشريعات تتعامل مع الدلالة والأدلاء والمرشدين في العمل السياحي كنظام الأداء ومرشدين السياح في الأردن عام 1998.

2- حداثة قيام مراكز تعليمية جامعية لإعداد وتكوين المرشدين إضافة إلى محدودية التجربة والممارسة لمن تم إعدادهم من خلال البرامج التدريبية والدورات التطويرية.

3- قلة الفرص أمام الأغلبية في تطوير معرفتهم باللغات الأجنبية؛ لندرة مراكز تعليم اللغات إلا في السنين الأخيرة.

4- قلة الحوافز والمغريات أمام المرشد؛ لتطوير نفسه ولزيادة معلوماته من خلال الجهد الشخصي.

5- محدودية الوسائل السمعية و البصرية التي يحتاجها المرشد الجيد في عمله، وقلة المعلومات المتوفرة عن المواقع والمقاصد السياحية التي تشكِّل أدوات ووسائل عمل المرشد، إضافة إلى ضعف ومحدودية الإفادة من مواضيع العلاقات العامة، والاتصال بالجمهور ضمن المناهج الدراسية المعتمدة.

6- قلة الاهتمام الرسمي والمهني بالمرشد السياحي كإنعكاس لقلة الاهتمام بالسياحة بشكل عام.

7- إضافة إلى هذه السلبيات فإنَّ المهنة تعاني من مشاكل وصعوبات على مستوى الأفراد العاملين في الإرشاد السياحي، والتي يمكن أنْ نضع بعضاً منها في الآتي:

- العاملون في المهنة محدَّودون.
- اعتمادهم على الخبرة والمعرفة الشخصية المتراكمة .
- العديد منهم ترك العمل لعدم وجود محفزات كافية لوجود عوامل جذب أكبر خارجه.

- تقدم العمر للعديد منهم.
- واخيراً ندرة البرامج الدراسية والتدريبية إلا ما تم توفيره حديثاً.

وهكذا فالمهنة تعاني من مشاكل عديدة سواء في الإعداد والتكوين، أو الممارسة الفعلية، التي لابد من مواجهتها ووضع الحلول لها؛ لكي تتطور المهنة للدلالة والإرشاد، ويتطور العاملون فيها وبما يتناسب مع التطور الذي تشهده السياحة.

ج- سبل تجاوز المشاكل والصعوبات وتطوير المهنة:

لكي تأخذ مهنة الإرشاد موقعها الصحيح، وتوفر ما عليها لإنجاح خطط التنمية السياحية، وتحقيق أهداف أطراف عملية السياحة، سيكون من الضروري والحاسم توفير جملة من السبل والصيغ لحل المشاكل، وتجاوز الصعاب التي سيندرج أهمها في الآتي:

1- على المستوى التعليمي:

أولاً: وجوب تطوير ماهو موجود من برامج دراسية للإرشاد السياحي، وتوسع القبول فيها بحيث تتماشى مع الحاجة الفعلية للأدلاء والمرشدين السياحيين.

ثانياً: الارتقاء بمستوى هذه البرامج الدراسية بحيث تصل إلى شهادة البكالوريوس وتجاوزها، لأنَّ العمل الإرشادي عمل يعتمد أساساً على تراكم الثقافة والمعرفة.

ثالثاً: ربط البرامج التعليمية النظرية بالبرامج التدريبية والتطبيقية، سواء في الجامعة أو في حقل العمل، أو كليهما وجعل الدراسة مواكبة لتطورات حقل العمل واحتياجاته.

رابعاً: اعتماد أسلوب البرامج، وحجم التدريب المكثَّف للزج بخريجين الدراسات الأثرية والتاريخية والعلوم السلوكية واللغات، وتأهيلهم للعمل كمرشدين سياحيين لسد النقص الكبير في إعداد الأدلاء المؤهلين منهم.

2- على مستوى حقل العمل:

أولاً: ضرورة قيام منتجي الرحلات ومنظميها وبخاصة أولئك المستقلين لمجاميع السياح الوافدين من الخارج، من ترتيب برامج تدريبية وتطويرية لخريجي الدراسة الاكاديمية؛ لتوسيع آفاق معرفتهم وزيادة قدراتهم قبل زجهم في حقل العمل، وقبل مواجهتهم للسياح الأجانب.

ثانياً: تنظيم برامج تدريبية وحزم مكثفة للتدريب في حقل العمل لتزويد الدليل بكل ما يستجد، وبخاصة في وسائل وأدوات

العمل، وجعله يواكب التطورات والتغيرات المستمرة.

ثالثاً: تحفيز وتشجيع الدليل في الاستزادة الشخصية والتطوير الذاتي من خلال مساعدته مالياً في توفير هكذا مصادر، أو منحه المكافآت مقابل التطوير والتحديث.

3- على المستوى المهني[20]:

أولاً: على الروابط المهنية ذات العلاقة وبخاصة روابط وكلاء مكاتب السفر والسياحة حصر استخدام المرشدين المعتمدين من قبلها فقط، ومنع وكلاء السفر والسياحة ومقدمي الخدمة من تشغيل غيرهم.

ثانياً: على الروابط المهنية المختصة وخاصة وكلاء السفر والسياحة وضع مناهج محدَّدة لإجازة واعتماد مرشدين سياحيين، ووضع شروط خاصة محدَّدة ودقيقة في هكذا عمل.

ثالثاً: وعليها كذلك وضع برامج ودورات وتنفيدها للإسهام في الإعداد السريع والتكوين المناسب للأدلاء والمرشدين السياحيين، وبحسب الحاجة الفعلية لها.

رابعاً: التنسيق مع الجامعات ومعاهد اللغات المتخصصة، ووضع برامج تطويرية في لغات المجاميع السياحية الوافدة.

خامساً: تأسيس رابطة أو اتحاد المرشدين السياحيين في البلد.

4- على المستوى الرسمي:

أولاً: أنْ تضع الدولة والهيئات الرسمية السياحية تشريعات دقيقة لمواصفات الدليل ومؤهلاته، وشروط إجازته وعمله، وإلزام كافة الجيهات ذات العلاقة.

ثانياً: على الدولة من خلال مؤسسات التعليم العالي والتعليم الفني والتطبيقي تشجيع التعليم السياحي الفندقي بشكل عام، وإيلاء برامج ومناهج الإرشاد السياحي أهمية خاصة لأهمية المرشد وحساسية دوره في تقديم المنتوج السياحي إلى متحصليه من السياح.

ثالثاً: تشجيع العاملين في هذا المجال وتحفيزهم من خلال المكافآت والمحفِّزات، وبث الوعي باتجاه قيام تنظيمات مهنية لهم، تراقب سلوك العاملين في هذه المهنة، وتساعدهم على التقدُّم والرقِّي والتطوير المستمر مهنياً وثقافياً ومعلوماتياً.

تاسعاً: نتائج المقابلات الشخصية مع مسئولي الإرشاد السياحي في مدن لبدة وطرابلس وصبراته

أـــ نتائج المقابلة الشخصية مع مسئول الإرشاد السياحي في مدينة لبدة الأثرية:ـــ

س1: ماهي الصعوبات والعراقيل التي تواجه مهنة الإرشاد السياحي؟

1- كانت الدورات التي تقام للمرشيدن للحصول على بطاقات الإرشاد السياحي تقام باللغة العربية.

2- لا توجد ورش عمل بين المرشدين السياحيين، ومكاتب السياحة الداخلية والخارجية؛ وذلك لرفع مستوى المرشد.

3- عدم الاهتمام بالمرشد السياحي الداخلي، سواء كان من حيث مكان إقامته أو تنقُّله.

4- عدم توفير دورات لتقوية اللغات الأجنبية؛ لرفع من كفاءة المرشد في اللغة.

5- حقوق المرشد السياحي المهضومة، وعدم وجود مؤسسات أو نقابات للدفاع عن حقوق المرشدين السياحيين، ومن ضمن هذه الحقوق مثلاً، أنْ تأتي أفواج سياحية من بلادها بمرشد خاص بها من نفس البلاد، أو وكالات السفر الخارجية ويتغاضون عن المرشد السياحي المحلي، كل هذه المخالفات لا توجد روادع لإقافها.

س2: ما هي طبيعة عمل المرشد السياحي في الوقت الحاضر والماضي؟

- في الوقت الحاضر لا يوجد عمل، والسبب الوضع الأمني الموجود داخل البلاد، الأمر الذي أثَّر سلباً بعزوف الشركات السياحية في استجلاب الوفود السياحية، مع العلم أنَّه عند استجلاب السائح يجب أنْ تكون جميع وسائل الترفيه للسائح متوفرة ، وكذلك نقاط تواجد رجال الأمن، وكذلك عدم توفير بعض الأماكن المناسبة لتواجد السياح منها الفنادق والمنتجعات السياحية، والطرق الآمنة والبنية التحتية.

س3: هل تقوم باستخدام الوسائل السمعية والبصرية كأداة توضيحية للسائح عند زيارة المواقع السياحية؟

- لا توجد لدينا الوسائل السمعية والبصرية، ولكنَّنا نقوم باستخدام خارطة صغيرة، توضِّح بعض المواقع للمدينة، كما أنَّ مدينة صبراته يوجد بها رسم كروكي يوضح المدينة القديمة.

س4: من وجهة نظركم هل يعد عدد العاملين بمهنة الإرشاد السياحي كاف في الوقت الحاضر، والمستقبل؟

- إلى حد هذه اللحظة لم نر أي اهتمام، وكذلك لا يوجد العدد الكافي من المرشدين السياحيين، وبخاصة في بعض اللغات مثل الأسبانية والروسية، كما أنَّه يوجد القليل ممَّن يجيدون اللغة الفرنسية و الانجليزية.

س5: ما هي الشروط والمواصفات التي وضعت لتنظيم مهنة الإرشاد السياحي؟

1- الالتزام بأوقات العمل و الاهتمام به.
2- الالتزام بالقوانين و القواعد المعمول بها.
3- الرفع من مستوى كفاءة العاملين بها.
4- الرقي بمستوى اللغة.

س6: هل تقوم الوزارة بالتفتيش و الرقابة على أعمال ومهنة الإرشاد السياحي؟

- في الوقت الراهن الوزارة من النادر أنْ تقوم بعمليات تفتيش ومتابعة على العاملين بهذه المهنة.

س7: هل توجد لديكم رابطة أو اتحاد لتحقيق مطالبكم المهنية؟

- لا توجد أي رابطة أو اتحاد يعنى بهذه المهنة، إلا بعض الجهود الخاصة من قبل المرشدين السياحيين من مختلف مناطق ليبيا.

بـــ نتائج المقابلة الشخصية مع مسئول الإرشاد في مدينة صبراته الأثرية.

س1: ماهي الصعوبات والعراقيل التي تواجه مهنة الإرشاد السياحي؟

- عدم توفير دورات لتقوية اللغات الأجنبية؛ للرفع من كفاءة المرشد في اللغة.
- حقوق المرشد السياحي المهضومة، وعدم وجود مؤسسات أو نقابات لدفاع عن حقوق المرشدين السياحيين، ومن ضمن هذه الحقوق مثلاً، أنْ تأتي أفواج سياحية من بلادها بمرشد خاص بها من نفس البلاد، أو وكالات السفر الخارجية ويتغاضون عن المرشد السياحي المحلي، كل هذه المخالفات لا توجد روادع لإيقافها.

س2 : ما هي طبيعة عمل المرشد السياحي في الوقت الحاضر والماضي؟

- وفي الوقت الحاضر لا يوجد عمل للمرشد، أو معارض سياحية خارجية يمكن أنْ يشتركوا فيها بإشراف وزارة السياحة، وكذلك نظرة الأجانب السواح إلى ليبيا بأنَّها بلاد ليست آمنة.

س3: هل تقوم باستخدام الوسائل السمعية والبصرية كأداة توضيحية للسائح عند زيارة المواقع السياحية؟

- لا نمتلك أي أدوات أو معدات توضيحية للسائح، وإنَّما نعتمد على الخبرة الشخصية لكل مرشد سياحي.

س4: من وجهة نظركم هل يعد عدد العاملين بمهنة الإرشاد السياحي كاف في الوقت الحاضر والمستقبل؟

- في الوقت الحاضر العدد قليل جداً؛ لأنَّ النشاط السياحي في ليبيا لم يفعل بعد، وهذا يرجع إلى الظروف السياسية التي تمر بها البلاد في الوقت الراهن.

س5: ما هي الشروط والمواصفات التي وضعت لتنظيم مهنة الإرشاد السياحي؟

- الالتزام بالقوانين والقواعد المعمول بها.
- الرفع من مستوى كفاءة العاملين بها.

س6: هل تقوم الوزارة بالتفتيش و الرقابة على أعمال ومهنة الإرشاد السياحي؟

- لا تقوم الوزارة بأي أعمال تفتيش أو متابعة للمرشدين السياحيين بصفة خاصة، والمدينة بصفة عامة.

س7: هل توجد لديكم رابطة أو اتحاد لتحقيق مطالبكم المهنية؟

- بعد ثورة 17 فبراير قامت مجموعة من المرشدين السياحيين بمدينة صبراته بإنشاء جمعية تم تسميتها (جمعية الدليل السياحي و الوعي السياحي) تم إشهارها تحت رقم 364، حيث قامت هذه الجمعية بإيقاف العديد من التجاوزات التي قام بها بعض المواطنين من التعدِّي على الأراضي التابعة للمدينة الأثرية، وقاموا باجتياز المنطقة العازلة والحمد الله لقد تم إيقافهم وإحالتهم للعدالة.
- مراقبة المدينة الأثرية من الداخل، وإيقاف العبث من بعض المارقين كما اهتمت بنظافة المدينة.

ج ــ نتائج المقابلة الشخصية مع مسئول الإرشاد في مدينة طرابلس الأثرية ــ

س1 : ماهي الصعوبات والعراقيل التي تواجه مهنة الإرشاد السياحي؟

1- صعوبة وجود مكان للترفيه.
2- قلة الموارد المادية مقابل هذه الخدمة.
3- تعارض الترتيب بين المرشدين والشركات.

س2 : ما هي طبيعة عمل المرشد السياحي في الوقت الحاضر والماضي؟

- في الوقت الماضي كانت هناك أفواج سياحية ولكن قليلة جداً.
- أمَّا الآن فلا يوجد عمل للمرشد السياحي.

س3: هل تقوم باستخدام الوسائل السمعية والبصرية كأداة توضيحية للسائح عند زيارة المواقع السياحية؟

- لا توجد أي معدات أو أدوات والسبب راجع إلى قلة الموارد المادية، كما أنَّه لا يوجد دعم من أي مؤسسة أو هيئة حكومية كانت أو خاصة.

س4: من وجهة نظركم هل يعد عدد العاملين بمهنة الإرشاد السياحي كاف في الوقت الحاضر والمستقبل؟

- وفي الوقت الماضي كان يوجد للمرشد السياحي عمل، ولكن بنسبة قليلة نظراً لعدم اهتمام البلاد وسياستها بالسياحة، كما أنَّ اعتماد الدولة الكامل على إيردات النفط، مع وجود أفواج سياحية ليست بالكثير، كما أنَّ هناك مشكلة السكن حيث أنَّه لا يوجد فنادق كثيرة وخاصة بمدينة طرابلس، وكذلك أسعار تذاكر الطيران كانت باهضة الثمن بالمقارنة بالدول الأخرى، كما أنَّ تقصير الشركات الليبية بالتعاقد مع الشركات الإجنبية، وعدم وجود مصداقية بين الوكالات السياحية، وبخاصة الحكومية منها والتي تعتمد عليها الدولة.

س5: ما هي الشروط والمواصفات التي وضعت لتنظيم مهنة الإرشاد السياحي؟

- أنْ يجيد اللغات الأجنبية.
- حسن الخلق.
- له التزام بأوقات العمل.
- المصداقية وحب المهنة.
- سرعة البديهة والتصرف في الأوقات الصعبة بحكمة.

س6: هل تقوم الوزارة بالتفتيش و الرقابة على أعمال ومهنة الإرشاد السياحي؟

- لا تقوم الوزارة بأي أعمال تفتيش أو متابعة واهتمام.

س7: هل توجد لديكم رابطة أو اتحاد لتحقيق مطالبكم المهنية؟

- لا توجد أي رابطة أو جمعية للمرشدين داخل طرابلس.

د ــ نتائج المقابلة الشخصية مع مسئول الإرشاد بوزارة السياحة.

س1: هل تعمل الوزارة على توجيه وتشجيع أبناء المجتمع المحلي في مناطق الجذب للعمل في مهنة الارشاد السياحي؟

- نعم، وذلك من خلال الدورات التدريبية لتأهيل وإعداد المرشدين السياحيين.

س2: ماهي مبادرات الوزارة للتنسيق مع مؤسسات التعليم العالي والفني والتطبيقي لتشجيع التعليم السياحي والإرشادي؟

- هناك تنسيق بين وزارة السياحة والمعهد الوطني للإدارة لإعداد دورات تدريبية لعدد (30) مرشداً سياحياً من فئة (أ)، و(ب) في مجال الإرشاد السياحي.
- كما قامت الوازرة بالتعاون والتنسيق مع وزارة العمل والتأهيل لتدريب عدد (500) من الباحثين على عمل في مجال السياحي من خريجي الكليات والمعاهد السياحية.

س3: هل قامت الوزارة بوضع تصنيف واضح لأنواع المرشدين السياحيين؟

- يصنَّف المرشدون السياحيون إلى صنفين: الأول: مرشد سياحي فئة (أ) وهو الذي يزاول هذه المهنة في جميع أنحاء ليبيا.
- الثاني: مرشد سياحي فئة (ب) وهو الذي الذي يزاول المهنة في منطقة محدَّدة.

س4: ما هي الشروط والمواصفات التي وضعتها الوزارة لتنظيم مهنة الإرشاد السياحي؟

- أنْ يكون مواطن ليبي.
- لائق صحياً.
- يجيد إحدى اللغات الأجنبية.
- أنْ يجتاز إمتحان دورة الإرشاد السياحي بنجاح.

س5:- هل تقوم الوزارة بتقديم الحوافز والمكافآت التشجيعية للعاملين في مهنة الإرشاد السياحي بحيث تساعدهم على التقدم والرقي، والتطوير المستمر على المستوى المهني و الثقافي والمعلوماتي؟

- المرشد السياحي يعمل لحساب نفسه، ويتقاضى مرتَّبه من الشركات السياحية، نظير عمله ويقدم للسائح القادم الى ليبيا معلومات عنها، كما أنَّ الوزارة تقدِّم للمرشد حوافز في شكل دورات تدريبية مختلفة، ومجانية وكتب ومطبوعات وخرائط لغرض تطوير.

الخاتمة:

إنَّ نشاط الإرشاد السياحي من الركائز الأساسية التي تعتمد عليها الدول المستقبلة للسياحة، نظراً للدور البارز للمرشد السياحي في نجاح الجولات السياحية

وإعطائها طابعاً ثقافياً يرتكز على معرفة معلومات وحقائق تثري ذاكرة السائح وثقافته العامة؛ لتشكل بذلك صورة متكاملة تجمع بين المشاهد الحية والمعلومات الموثقة والصحيحة، لذا فمهنة المرشد لا تقتصر على مرافقة السياح وإرشادهم إلى الأماكن السياحية المهمة، والمعالم الأثرية والتاريخية والمتاحف وإعطائهم معلومات عنها فحسب، بل تسهم إلى درجة كبيرة في عكس صورة إيجابية أو سلبية عن بلاده. لذلك فالمرشد السياحي يعد واجهة للبلاد؛ نظراً لأنَّه يعد بمثابة الوسيلة الإعلامية المتحركة التي تساعد في الترويج غير المباشر للبلاد من خلال تعامله مع السياح والمعلومات التي ينقلها إليهم. وعلى هذا الأساس إمَّا أنْ يصل إلى هدفه المرجو، وبالتالي نجاح مهمته وكسب ثقة الزائرين الذين يبدون استعدادهم لمعاودة الزيارة، ويروجون للبلد المضيف، وإما أنْ تكون النتيجة سلبية ويفقد ثقة الزائرين. وعليه فمن خلال ماسبق نصل إلى النتائج الآتية:

1- إنَّ أغلب الوكالات السياحية الموجودة لا يوجد بها متخصص في الإرشاد السياحي. ومن شروط الوكالات أنَّ المرشد السياحي يمتلك العديد من اللغات فقط دون النظر إلي إدراكه ووعيه ودراساته للسياحة، أو تخصص الإرشاد، رغم أنَّ من المستندات المطلوبة من قبل وزارة السياحة لمنح ترخيص مزاوله مهنة الإرشاد السياحي وجود الكفاءات والمؤهلات المتخصصة في المجال السياحي وتنمية قطاع السياحة .

2- إهمال هذا الجانب من السياحة، والذي يعد الركيزة الأساسية في تنمية السياحة في ليبيا، والدليل ما توصل إليه البحث بأنْ لا يوجد مرشد متخصص في الإرشاد السياحي.

3- إنَّ الأخلاق هي الأساس لنهضة الأمم و تقدمها ورفعتها.

4- بيان مهنة الإرشاد السياحي تقوم على قواعد عامة تحددها لوائح وأنظمة وقوانين مزاولتها.

5- إنَّ المعنى المهم لصفات مهنة الإرشاد السياحي تقوم على مجموعة من المعايير التي يستخدمها المرشد السياحي لمرجع يرشد سلوكه أثناء أدائه الوظيفي.

6- إنَّ للإرشاد السياحي أنواع متعدِّدة، وذلك حسب طبيعة وهدف الرحلة.

وليبيا تمتلك مقومات طبيعية وبشرية يمكن أنْ توظَّف لجميع أنواع الإرشاد السياحي.

7- قلَّه نشر الوعي السياحي في جميع وسائل الاتصالات من تلفاز وإذاعة وصحافة؛ بهدف توجيه عناية المواطنين للمحافظة على البيئة، ومستوى النظافة في المناطق السياحية.

التوصيات:

1- تعزيز دور المرشد السياحي في ليبيا باعتباره إحدى الركائز الأساسية لنجاح قطاع السياحة، فالتزام المرشد السياحي بها دليل على قيمته في المجتمع.

2- مراعاة المرشد السياحي لآداب التعامل مع السياح، وذلك من خلال التحلِّي بخلق الذوق الحضاري في مهنته.

3- أمانة المرشد السياحي في عمله من خلال المحافظة على مستوى الأداء الجيد أثناء مزاولته لمهنة الإرشاد واحترامه للعادات والتقاليد الاجتماعية والخصوصية العائلية التي تميز المجتمع.

4- أهمية التزامه بخلق الصبر واعتباره من أهم السمات التي يتوجَّب على العاملين فيها مراعاتها وتعامل المرشد السياحي مع السياح بعدل ومساواة وعدم التمييز بينهم.

5- العمل على زيادة المعرفة لدى الأفراد و الجماعات والالتزام بالضوابط والقوانين التي تعرضها الدولة على القاصدين إليها.

6- ضرورة الاهتمام من قبل وزارة السياحة في ليبيا بهذا التخصص، ويجب المسارعة في تنمية المرشد السياحي في ليبيا.

7ـ علي وزارة السياحة في ليبيا الاهتمام الشديد بالسياحة، وذلك بإنشاء معاهد وكليات لتدريس مهنة الإرشاد السياحي الذي يعد الركيزة المهمة في التطوير والنهوض بالسياحة المتميزة.

هوامش البحث ومراجعه:

1-خالد مقابلة، فن الدلالة السياحية، دار وائل للنشر، عمان، 2000، ص 20.

2- أحمد الطاهر، تنظيم وإدارة المنشات السياحية، المكتبة العربية الحديثة، 1988، ص25.

3- عصام حسن العبيدي، الدلالة والإرشاد السياحي، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 15.
4-غسان برهان، الدلالة والإرشاد السياحي علم وفن، دار الزهران للنشر والتوزيع، عمان،2003، ص 30.
5-مثنى طه، الإرشاد السياحي، ط1، الوراق للنشر والتوزيع، عمان،2002، ص44 .
6-خالد مقابلة، فن الدلالة السياحية، ط2، دار وائل للنشر، عمان، 2003، ص21.
7- مثنى طه، الإرشاد السياحي، مرجع سابق، ص42.
8-غسان برهان، الدلالة والإرشاد السياحي علم وفن، مرجع سابق، ص75.
9-غسان برهان، الدلالة والإرشاد السياحي علم وفن، مرجع سابق، ص80.
10ـــ محمد حاقظ حجازي، إدارة المنظمات الفندقية، الدار الدولية للنشر، القاهرة، 2004، ص48.
11ـــ مثنى طه، الارشاد السياحي، مرجع سابق، ص 69.
12ـــ خالد مقابلة، فن الدلالة السياحية، ط2، مرجع سابق، ص70.
13ـــ أحمد الطاهر، تنظيم وإدارة المنشآت السياحية، مرجع سابق، ص50 .
14ـــ مثنى طه، الارشاد السياحي، ط1، مرجع سابق، ص90.
15ـــ خالد مقابلة، فن الدلالة السياحية، مرجع سابق، ص89.
16ـــ محمد حاقظ حجازي، إدارة المنظمات الفندقية، مرجع سابق، ص102.
17ـــ خالد وليد، المرشد في الأمن والسلامة، ط1، الوراق للنشر، عمان، 2004، ص 60.
18ـــ غسان برهان، الدلالة والإرشاد السياحي علم وفن، مرجع سابق، ص 90.
19ـــ عصام حسن العبيدي، الدلالة والإرشاد السياحي، مرجع سابق، ص80.
20ـــ خالد وليد، المرشد في الأمن والسلامة، مرجع سابق، ص66.

دور ثقافة الحوار في حل الأزمة الليبية
(تجربة جنوب أفريقيا أنموذجاً)

د. أمحمد الكوت
كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدمة:

يقول تعالى في كتابه العزيز:﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

فالله سبحانه وتعالى يحث المؤمنين على الجنوح إلى السلم، ويأمر المسلمين بأنَّ الجنوح إلى السلم هو الأسلوب الأمثل لاستمرار الحياة الإنسانية والمحافظة عليها؛ لأنّ حياة الإنسان مقدَّسة وهي أمانة في عنقه، حيث قال تعالى في كتابة العزيز :﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُم رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمّ إِنّ كَثِيرًا مِنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[2].

لقد حثنا الله تعالى على احترام حرمة الدم، والامتناع عن سفك الدماء البريئة الطاهرة، والمحافظة عليها هي من الضرورات الدينية، فالقتل لا يكون إلا وفق ضوابط وقيود شرعية أجازها الله، ومع ذلك فالعفو هو خير من القتل، وإطاعة الله والرسول من شروط تحقيقها عدم التنازع والتفرُّق؛ لأنَّ ذلك يؤدي بالضرورة إلى الفشل وذهاب قوة المؤمنين، وفتح الباب أمام العدو للتدخل والفتنة، والحوار هو أساس حل الأزمات والنزاعات وتفويت الفرص أمام التدخلات الأجنبية، والتجارب الإنسانية والتاريخية عديدة التي تحث على الحوار بدل الصراع والانتقام، وأجمل ما نستدل به هو أنَّ نبينا محمد (عليه الصلاة والسلام) عندما دخل مكة وهو قادر على الانتقام ممَّن ظلموه قال لهم: "ما تضنوني فاعلاً بكم قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قولته المشهورة :(اذهبوا فأنتم الطلقاء).

هكذا هو العفو عند المقدرة في شريعة الإسلام الدين السمح، ولنا في رسول الله أسوة حسنة في التطبيق والعفو وحقن الدماء؛ لأنَّنا أخوة مهما عصفت بنا رياح

الفرقة والفتنة، فالاستعمار يراقب وعينه على البلاد، ويتحيَّن الفرصة للانقضاض من جديد لنهب الخيرات، ومن مصلحته أنْ يستمر الصراع والقتل، ولكن على الليبيين أنْ يستيقظوا ويجلسوا قبل فوات الأوان.

يعد الصراع ظاهرة طبيعية في حياة البشر منذ أنْ خُلِقَ الإنسان على وجه الأرض، لقد اقترن وجوده بالصراع والعنف أحياناً؛ لتحقيق بعض الأهداف، حيث بدأت مع هابيل وقابيل حينما ثارت فيهما نزعة الصراع وحب التملُّك، والتاريخ القديم والحديث مليء بالأحداث والصراعات القبلية والأسرية، وكذلك الصراعات بين الدول، حيث أدَّى الصراع في كثير من الأحيان إلى إبادة آلاف الضحايا، وتشريد مئات ألآلاف في أصقاع العالم، وفي نهاية كل حدث تصل الأمور إلى التفاوض والجلوس على طاولة الحوار.

والأزمة الليبية هي جزء من هذا التاريخ، وقد حاول الباحث أن يسهم في حل هذا النزاع من خلال إعداد بحث علمي مسترشداً بالعديد من التجارب السابقة التي مرَّت بظروف مشابهة، ووصلت إلى النتائج نفسها، وحالة جنوب أفريقيا ليست ببعيدة عن الحالة الليبية مع اختلاف بعض الظروف، وقد حاول الباحث صياغة مشكلة بحثه وحصرها في ما مدى تشابه الأزمة الليبية مع أزمة جنوب أفريقيا من حيث الظروف والحلول؟

تكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

- معالجة أزمة سياسية واجتماعية تهم كل أبناء الوطن.
- فتح باب أمام الباحثين للمساهمة في وضع حلول واقتراحات لحل الأزمة الليبية.

يعتبر هذا الموضوع حديث له أبعاد ومختنقات يمكن معالجتها من تجارب شعوب أخرى.

ويمكن القول إنَّ أزمة بلادنا لها تساؤلات تطرح نفسها وهي كالآتي:

ـ ما هي الأسباب التي أدَّت إلى وقوع الأزمة الليبية؟

ـ ما هي المحاولات التي بذلت لحل الأزمة الليبية؟

ـ ما هي أسباب الصراع في جنوب أفريقيا؟

ـ ما هي سبل الحل للأزمة الليبية؟ مقارنة بسبل حل أزمة جنوب أفريقيا.

ومن خلال الإجابة عن تلك التساؤلات سيتضح لنا جلياً الهدف من إجراء هذا

البحث وهو تخطِّي الأزمة السياسية، وإيجاد الحلول اللازمة لها.

فالدراسة مقارنة بين الأزمة الليبية وأزمة جنوب أفريقيا، وإمكانية الاستفادة من التجربة الأخيرة وتطبيقها في حل الأزمة الليبية.

والمصالحة كونها اعتراف بالخطأ الواقع في حق المظلومين، ومعالجة أوضاعهم إنسانياً وضمان حقوقهم بالقانون.

ونظراً لأنَّ البحث يتناول قضية مهمة جداً، تخص كل أفراد المجتمع الليبي، وهى المصالحة الوطنية الحقيقية، حيث يستند الباحث إلى تجارب سابقة.

إنَّ مطلب السلم وتطبيقه أمره في غاية الأهمية لإحلال السلام في ليبيا، بل وفي كل العالم، ومسألة الوصول إلى السلم الاجتماعي في العالم قد تحدَّثت عنه العديد من النظريات، وكتب فيه العديد من الكُتاب والباحثين، حيث الكل يتفق بأنْ يكون العالم بعيداً عن الصراعات الطائفية والسياسية، وأنْ يحيا الجميع بسلام، فالتسامح والمودة هو مطلب يشرِّعه الدين الإسلامي، فإذا حلَّ السلام انتهت الحروب والأحقاد، قال تعالى في كتابه العزيز:﴿**وَتَعَاونُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاونُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنّ اللَّهَ شَدِيد الْعِقَابِ**﴾[3].

فالخطر الذي يهدِّد السلم الاجتماعي هو العصابات المذهبية والطائفية والقبلية، ممَّا ينتج عنه غياب العدالة، وسيطرة الظلم والشعور بالغبن وغياب الانتماء للوطن، وظهور التطرُّف والتشدُّد الذي ينعكس على السلوك الاجتماعي، كما يترتَّب عنه هجرة البعض، واللجوء إلى جغرافية أخرى تنصفه وتشعره بالاطمئنان والآمان، قال تعالى: ﴿**منَ الَّذِين فَرَّقُوا دينَهُم ْوَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بماديهم ْفَرِحُونَ**﴾[4]

إنَّ تحقيق السلم الاجتماعي عامل أساسي لتوفير الأمن والاستقرار في المجتمع، وإذا ما فقدت حالة السلم الاجتماعي فالنتيجة هي تدهور الأمن وزعزعة الاستقرار.

أولاً- تعريف الحوار.:

اهتم الفلاسفة والمفكرون الغربيون بالبحث في تاريخ الحضارات الإنسانية، والخصائص التي تميزت بها هذه الحضارة العظيمة التي ترتكز على قواعد ثابتة، وقد أشار إليها القرآن الكريم في كثير من المواضع الذي يعد دستوراً نزيهاً وخالياً من الانحياز لطبقة أو طائفة أو قبيلة، ولا يقصى أي أقلية عرقية أو لون، فالناس أمام

القانون الإلهي سواسية، والحضارة الغربية تخشى من الحضارة الإسلامية التمدُّد على حسابها؛ لأنَّ الدين الإسلامي يكفل حق الحوار، ويحترم وجهات النظر، فقال تعالى في كتابه العزيز:﴿**وَأَمْرُهُم شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾[5].

لقد اهتم الفيلسوف روجيه غارودي[6] في نظرية حوار الحضارات بدراسة الحضارة الإسلامية؛ لأنَّها خالية من الانحياز والتعقيد السياسي، وبالرغم من أنَّه من مفكِّري الغرب، إلاّ أنَّه اعترف بأنَّ الحضارة الإسلامية تستند إلى قواعد إنسانية تكفل الحرية والمساواة، ونحن العرب والمسلمون لنا من المقوِّمات الأخلاقية والإنسانية مالا تملكه أوربا من الإرث الحضاري العملاق، وما أحوجنا أنْ نتماسك في وجه الحملات التي تشق صفوفنا وتزرع فينا الأحقاد، فليبيا تحتاج منَّا جميعاً أنْ نرص الصفوف، وننسى الماضي حتى نتجاوز المحن.

الحوار لغة:

من حاور يحاور حواراً ومحاورة، وأصل الكلمة الحور وهو الرجوع، والحوار في اللغة المراجعة في الكلام، يقول ابن منظور: «والمحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب»[7]، وهو من ألفاظ القرآن الكريم قد ورد في أكثر من آية، ومنه قوله تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:1).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ (الكهف:34)

وأمَّا الحوار في الاصطلاح فله تعريفات كثيرة لعل من أهمها:

أنَّه «الحديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معيَّنة؛ الهدف منها الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصُّب، بل بطريقة علمية إقناعية، ولا يشترط فيه الحصول على نتائج فورية»[8].

وهنالك تعريفات أخرى للحوار وهي تدور على أنَّ الحوار هو المراجعة بين شخصين أو طرفين في الكلام، حول موضوع محدَّد؛ ليبيِّن كل منهما وجهة نظره فيه؛ لغرض الوصول إلى حقيقة معيَّنة.

ومن خلال ما سبق يمكن تعريف الحوار تعريفاً جامعاً مانعاً بأنَّه المراجعة بالكلام بين طرفين حول قضية معيَّنة

بأسلوب عملي هادئ، قائم على الحجة والإقناع بغرض الوصول فيها إلى الحق.

وبعد بيان معنى الحوار في اللغة والاصطلاح نأتي إلى بيان أهم الألفاظ المتقاربة في معانيها لفظ الحوار ومنها:

1 – **الجدل:** هو في اللغة بمعنى استحكام الشيء مع استرسال فيه، ومنه جدل الحبل أي فتله، يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: "الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام، وهو القياس الذي ذكرناه، والجدل هو اللدد في الخصومة[9].

2 – **المناظرة:** وهي في اللغة من النظر: وهو تأمل الشيء ومعاينته، يقول ابن فارس: "النون والظاء والراء أصل صحيح، يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه، وهي في الاصطلاح النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب، وهي أيضاً المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فكأنَّها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم وغلبة ظن ليظهر الصواب. والمناظرة والحوار يتفقان بكونهما مراجعة في الكلام، ولكن المناظرة تكون بين الضدين ليثبت كل واحد منهما صحة رأيه، وعلى هذا يكون بين المناظرة والحوار عموم وخصوص نسبي، فكل مناظرة هي محاورة وحوار، وليس كل حوار مناظرة[10].

ثانياً– أهمية الحوار:

الحوار له أهمية بالغة في إيضاح الصورة السيئة التي تقبع في فكر الطرف الآخر خاصة ذلك الحوار العلمي الهادف الذي يتجرَّد المحاورون فيه من التعصُّب والتشنُّج والعناد.

وقد جاء القرآن الكريم بأسلوب الحوار في قصص كثيرة جداً منها: ما دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبراهيم ﷺ في سؤاله عن كيفية إحياء الموتى في سورة البقرة، ومنها: قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف، ومنها قصة إبراهيم ﷺ في تحاوره مع ابنه حين أمر بذبحه، وذلك في سورة الصافات، وقصة ابني آدم في سورة المائدة وغيرها، وهي في الغالب تدل على وجود التحاور، وأنَّه سبيل لإقناع الطرف الآخر

بالموضوع المتحاور فيه.

وكذلك ورد في السُّنة عن النبي ﷺ نماذج كثيرة متنوِّعة للحوار، الذي يتمثَّل في أرقى أسلوب وانصع بيان، يستلهم منها آداب وضوابط الحوار، منها حوار النبي ﷺ مع الأنصار بعد غزوة حنين حين قسَّم النبي ﷺ الغنائم على قريش وبعض قبائل العرب، ولم يعط الأنصار منها شيئاً فوجدوا في أنفسهم شيئاً فجمعهم النبي ﷺ وحاورهم حتى رضوا بأنْ يكون النبي ﷺ هو قسمهم ونصيبهم.

وأسلوب الحوار له أهمية كبيرة كما سبق، وتتضح أهميته في أنَّه أفضل أسلوب في الدعوة إلى الله، والدلالة على السُّنة، ومحاولة هداية الناس وتبصرة بالدين، وكذلك في محاولة سد الفجوة بين أبناء الأمة الإسلامية، وحل الخلاف والنزاع، بل يكون بين قادة الأمة من العلماء والأمراء في حل الخلافات الدائرة بينهم؛ لدرء وحقن الدماء والأموال من الدخول في الحروب والنزاعات، كما أنَّه هو الأسلوب الأمثل في خطاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم.

ثالثاً– الأسباب الداعية للحوار:

لا يثور الحوار إلا من أجل سبب أدَّى لتبادل الحديث ووجهات النظر، والأسباب الداعية للحوار كثيرة منها:

1 – **الخلاف:**

والخلاف بين البشر من السنن التي سنَّها الخالق سبحانه في نفوس البشرية، فالبشر مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم ومُدركاتهم ومعارفهم وعقولهم وأهوائهم ورغباتهم، وكل ذلك آية من آيات الله، نبَّه عليه القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) (الروم:22).

والاختلاف الظاهر في أشكالهم وألوانهم وألسنتهم دال على اختلاف البشرية في آرائهم واتجاهاتهم وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ*إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:118، 119]، وعلى الرغم من وجود الاختلاف إلا أنَّ الله سبحانه جعل على الحق معالم يهتدي إليها –بتوفيق الله– المتجرِّد عن الأغراض والأهواء السيئة، كما نص على ذلك بقوله تعالى:﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:213)

2- الدعوة إلى الله.

هي النور الذي يهتدى به في ظلمات الجهل ودهاليز الضلال، والواجب على المسلمين اتخاذ جميع السبل التي يتوصَّل بها إلى قلوب البشرية جميعاً؛ لإيصال الهدى ودين الله للعالم وللناس كافة، والحوار من أهم طرق الدعوة إذا التزم فيه بالمنهج الصحيح، وعدم الخضوع للمخالف.

3 - توضيح الحق وبناء المفاهيم.

وهذا يجري في الأمور الشرعية والأمور الدنيوية والاجتماعية، وفي كل الأمور فقد يكون منشأ الحوار وسببه هو إيضاح حق التبس على الطرف الآخر، ممَّا يستلزم محاورته وسماع ما لديه عن هذا الأمر، وإيصال الحق إليه، وقد يكون من باب توضيح وبناء مفاهيم معيَّنة يحسن بالطرف الآخر معرفتها واستيعابها.

4 - **التعلم بطرق الحوار.**

وهذا من الأساليب التي كان الرسول ﷺ يسلكها؛ لأنَّها أقوى في ترسيخ المعلومة وتثبيتها لدى المتلقِّي، وقد وردت في القران قصص استخدم فيها أسلوب الحوار في التعليم، كما في قصة موسى عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف.

رابعاً- غايات الحوار:

الغاية من الحوار إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي، فهو تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتَّوصُّل إليها؛ ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، يقول الحافظ الذهبي: "إنَّما وضعت المناظرة لكشف الحق، وإفادة العالم الأذكى العلم لمن دونه، وتنبيه الأغفل الأضعف. هذه هي الغاية الأصلية، وهي جلية بينة، وثَمَّة غايات وأهداف فرعية، أو ممهِّدة لهذه الغاية منها:

أ - إيجاد حل وسط يرضي الأطراف.

ب - التعرُّف على وجهات نظر الطرف أو الأطراف الأخرى، وهو هدف تمهيدي هام.

ج - البحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنوُّع الرؤى والتصورات المتاحة.

د - الوصول إلى نتائج أفضل وأمكن، ولو في حوارات تالية[11].

خامساً- مشروعية الحوار:

الحوار الذي يهدف منه إحقاق الحق وإبطال الباطل مصطلح قرآني كريم مشروع بالكتاب والسُّنة وعمل الأمة، وهو من فروض الكفايات ويدل على ذلك ما يلي:

1ــ الأدلة من الكتاب على مجادلة المخالفين منها:

أ- منها: قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النحل:125)، حيث أمر الله -سبحانه وتعالى- نبيه ﷺ بدعوة الناس إلى الإسلام بأسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والمخاصمة بالخصومة الحسنة.

ب- منها قوله تعالى:﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت:46)

قال الشنقيطي -رحمه الله- في آداب البحث والمناظرة: "فأقل مراتب حكمها (يعني المناظرة) الجواز إنْ كانت على الوجه المطلوب، وقال بعضهم باستحبابها، وقيل إنَّ القدر الذي يلزم لإبطال شبه خصوم الحق فرض كفاية وليس ببعيد، والله أعلم، وحكم الحوار كحكم المناظرة(12).

2ــ الأحاديث الدالة على استخدام النبي ﷺ وقد سبقت الإشارة إلى بعض منها.

3ــ ما ورد عن بعض الصحابة من الخلفاء الراشدين وغيرهم، وكتب السيرة ومدوَّنات الحديث مليئة بمثل هذه المحاورات، منها محاورة ابن عباس -رضي الله عنهما- للخوارج حتى رجع كثير منهم عن قوله، والقصص في مثل هذا كثيرة جداً عن أصحاب رسول الله ﷺ.

4ــ من المعقول: فإذا كانت الدعوة إلى دين الله واجبة، وحل النزاعات والخلافات بين أفراد الأمة أمر مشروع، وكذا ما يجب على المسلمين من رد الشبه التي تناط بالإسلام وأهله من أعداء المسلمين، ولمَّا كان الحوار له من الأهمية ما يجعله سبيل صحيح يمكن به القيام بهذه الواجبات، بل يكون أحياناً هو السبيل الوحيد، فإذا كان الأمر كذلك فالحوار لا يكون مشروعاً لمشروعية ما هو وسيلة له، ومن المقرر عند العلماء: (أنَّ الوسائل لها حكم المقاصد)، ولم يوجد بالحوار المنضبط

بالضوابط الشرعية ما يخالف الشريعة.

سادساً: ضوابط الحوار:

للحوار ضوابط كثيرة يمكن إجمالها فيما يلي[13]:

أ ــ أنْ يكون الحوار مقصوداً به وجه الله تعالى، وبخاصة في الأمور الشرعية، وتكون نية المتحاورين خالصة له سبحانه؛ لأنَّ الأصل أنَّ الدعوة إلى الله وطلب العلم الشرعي والرد على شبه الكفار لا تكون إلا طلباً لما عند الله؛ لذا يجب على المسلم المحاور في هذه الأمور وفي المسائل التي يحتسب فيه الأجر أنْ يخلص لله النية؛ لأنَّ الأعمال بالنيات فلا يجوز أنْ يبتغي في شيء يراد به وجه الله عرضاً من أعراض الدنيا.

ب ــ أنْ يكون الحوار بين المسلمين في غير المسلَّمات المعروفة المعلومة من الدين بالضرورة، كوجوب الصلاة والصيام والحج، ووجوب الحجاب على المرأة، وتحريم الزنا والخمر والربا، إلا إذا كان القصد من الحوار في هذه الأمور هو إزالة شبهة أو رد بدعة، أو رد على مفاهيم خاطئة، أمَّا أصل حكم هذه الأشياء في فلا يجوز الحوار فيها بما يخالفها، بمعنى أنْ يكون الحوار في تحريم الخمر أو الزنا مثلاً.

ج ــ الاتفاق على أصل يتم الرجوع إليه، وذلك لئلا يضيع الوقت ويطول الحوار في أشياء ربما كانت متفقاً عليها، إذا ما توفر أصل يرجع إليه كالكتاب والسُّنة مثلاً.

د ــ أنْ يكون الهدف من الحوار الوصول إلى الحق، وهو الأصل في الحوارات سواء أكانت في الأمور الدينية، أو في الأمور الدنيوية أي غير الشرعية، وإذا لم يتوفر هذا الضابط أو القيد، وكان الهدف من الحوار هو الانتصار على الطرف الآخر، أو دحض حججه وبراهينه، ولو بالالتفاف والتحايل، فالحوار لن يحقِّق أي نتيجة، ويصبح وبالاً على من كانت هذه حاله، وفيه تضييع للوقت دون مقتضى شرعي. فالواجب أنْ يكون هدف المتحاورين الوصول للحق، وإنْ كان مع المخالف، فقد نقل عن حاتم الأصم قوله: "معي ثلاث خصال بها أظهر على خصمي، قالوا: أي شيء هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن له إذا أخطأ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه، فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فقال: سبحان الله ما أعقله من رجل".

ه ــ أنْ يكون الحوار في موضوع محدَّد

من الأمور الضابطة للحوار، وأنْ يقتصر الحوار بين الطرفين على موضوع أو مواضيع محدَّدة؛ حتى لا يتشعَّب الحوار، ويكون من الجدل العقيم، ولكي يصل الحوار إلى نتيجة لأنَّه إذا لم يكن ثمة موضوع محدَّد، بل صار الحديث يجر بعضها بعضا لربما طال الوقت في التحاور؛ حتى أنسى أوله آخره، وانتهى الحوار بلا فائدة.

لذا يجب على المتحاورين أنْ يبينوا الموضوع المتحاور فيه قبل بدء الحوار.

وـــ أنْ يكون الحوار علمياً هادفاً، وذلك بأنْ يكون وفق سلوك الطرق العلمية والتزامها، ومن هذه الطرق:

- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجِّحة للدعوى.
- صحة تقديم النقل في الأمور المنقولة.

وفي التنزيل جاء قوله سبحانه:) قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة: من الآية111) وفي أكثر من سورة :البقرة :111 ، والنمل 64 . ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(آل عمران: من الآية93).

زـــ أنْ يتفق المتحاورون على منطلقات ثابتة، قد يكون التسليم بهذه الأشياء عن طريق التسليم العقلي، بمعنى أنَّ مثل هذه الأمور لا يختلف فيها العقلاء، وقد تكون من باب المسلَّمات الدينية التي لا يختلف فيها أهل الإسلام، وقد تكون مسلَّمات علمية لا يختلف فيها أهل ذلك الفن(14).

سابعاً- آداب الحوار:

للحوار آداب بعضها يتعلق بالمحاورين وبعضها يكون أثناء الحوار، وبعضها يتعلق بما بعد الحوار، والآداب المتعلقة بالحوار كثيرة جداً، يمكننا في هذه العجالة أنْ نتطرَّق لبعض منها، ونشير لبعض منها، ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع إلى المؤلفات التي تحدثت عن هذا الموضوع وهي مؤلفات متعدِّدة(15).

1 – الاتفاق على المبادئ، من الآداب التي يحسن أنْ يتعلَّمها المحاور قبل البدء في الحوار، أنْ يتفق هو ومن يحاوره على النقاط والمبادئ في ذلك الأمر، فيبدأ بالمبادئ واحداً تلو الآخر، وفي كل مرة يأخذ من الطرف الآخر ما يدل على التسليم، ثم يصل إلى النقطة المختلف حولها، أو التي يراد إيضاحها، وبهذا الأدب يكون قد اختصر وقتاً وجهداً كبيرين، وحصر الحوار في نقاط معيَّنة.

2 – الحرية في طرح ألآراء والأفكار والحجج، على المتحاورين أنْ يراعوا كون الإنسان له الحرية المطلقة في طرح آرائه وأفكاره ما دامت في الحدود المقبولة شرعاً، ولم يتجاوز الحدود الشرعية، وتعد الأمور الشرعية خطوطاً حمراء لا يمكن تجاوزها، إلا إذا كانت هناك شبهة أو دفع إشكال.

3– الابتعاد عن الانفعال والتعصُّب، وقد أدّبنا الرسول ﷺ بذلك حينما قال للرجل الذي طلب منه الوصية:«لا تغضب»، فالغضب في الحوار يخرج المتحاورين من الحوار إلى الخصومة، وربما وصل إلى الاقتتال والتناحر، فالواجب على المحاور المسلم بشكل عام والداعية بشكل خاص، تمالك الأعصاب، ورباطة الجأش، وأنْ يكون حليماً حكيماً.

4– حسن المقصد. سبق في الضابط الأول أنْ يكون الحوار مقصوداً لله، وبخاصة في الحوار المتعلق بالأمور الشرعية والدعوة إلى الله، وهنا من الأدب أنْ يضاف إلى كون الحوار لله أنْ يكون المقصود من الحوار هو الوصول للحق والنتيجة الصحيحة، والتسليم بها متى ما ظهرت له.

5– التواضع بالقول والفعل. من آداب الحوار التواضع وتجنُّب العجب والغرور والكبرياء، ومن التواضع ترك استخدام الألفاظ والكلمات الدالة على التعالي والعجب من مثل (أنا) و(نحن) و(نرى) و(عندي) و(عندنا) وهذا (رأينا) وأمثالها.

6– حسن الاستماع والإصغاء الجيد. من الآداب التي يجب على المتحاورين أنْ يتحلوا بها الإصغاء لما يطرحه الطرف الآخر، وفهمه وإدعائه السمع، لأنَّ عدم فعل ذلك يحمل في طيه الاستهتار من المحاور، وربما ذكر المحاور أمراً يمكن إقناعه بخلافه إذا ما سمع المحاور الآخر بإصغاء وحسن الاستماع لحجه الطرف الآخر.

7– الإنصاف. وهو متضمِّن لما سبق في الضوابط، وذلك أنْ يكون الهدف من الحوار الوصول للحقيقة والحق حتى ولو علم خطأ نفسه، فعليه الرجوع للحق وهذا ما عنيت به الإنصاف، أي إنصاف الطرف الآخر من نفسك أيها المحاور، ومن الإنصاف الإعلان عن الحق والتصريح بحصوله متى حصل له ذلك، وهذا الأمر من الصعوبة بمكان على النفس البشرية، وعلى العلماء أو الأمراء وذوي الجاه والأذكياء أشد.

8- احترام الطرف الأخر. يجب على المتحاورين احترام بعضهم البعض، ولو كان بينهم من الخلاف في وجهات النظر الشيء الكثير، فيحسن بالمحاور الذكي أنْ يستخدم العبارات اللطيفة كقوله: يا شيخ أو يا أستاذ أو يا شيخي أو يا أستاذي، ومن الأمثلة على ذلك تلطُّف إبراهيم عليه السلام مع أبيه في الحوار كمثل قوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾، فهذا تلطُّف من إبراهيم عليه السلام مع أبيه وهو كافر فكيف بغيره المسلم.

9- الصبر والحلم. هاتان الصفتان وإنْ كانتا من الآداب التي يجب على المسلم التحلِّي بهما في جميع شؤونه إلا أنَّهما في الحوار يكون الالتزام بهما أشد، وذلك لداعي التحاور الذي قد يكون فيه ما يجعل الإنسان يتخلَّى عن الحلم إلى الجهل، ومن الصبر إلى الضجر والغضب، وربما زاد عن ذلك، والصبر في الحوار يأتي على أنواع منها: الصبر على مواصلة الحوار، والصبر والحلم على جهل الطرف الآخر، والصبر على شهوة النفس في الانتصار على الخصم. فالصبر هو مفتاح النصر والظفر.

10- أنْ يكون الحوار منصباً على الفكرة دون صاحبها، وهذا يعني أنْ يناقش الإنسان بأفكاره، دون أنْ يتشنَّج الحوار باللجوء إلى التجريح بالآخرين، والتعرُّض لذواتهم، فالمحاور الجيد هو من يهتم بالفكرة والرأي المتحاور فيه دون أنْ يسقط نفسه في ترَّهات الأمور بالتندُّر والتحقير للطرف الآخر.

11- ضبط النفس. وهو يتعلق بالآداب أثناء الحوار فقد يكون الحوار مشتداً، وربما احتدم النقاش وهذا من الأمور الطبيعية، فالمحاور الجيد هو من يتمالك نفسه ولا يتخبَّط برأيه من شدَّة ما يجده من الذي يحاوره، فلا يغضب ولا يشتم ولا يسب ولا يتلعثم برد الفكرة وطرح الرأي ونقض رأي المخالف.

هذا ما تيسَّر جمعه عن هذا الموضوع المهم، الذي يحتاج إلى وقت ومحاضرات كثيرة ودورات تدريبية للدعاة والعلماء وطلاب العلم والمعلم في فن الحوار والإقناع، والتعامل مع المخالف.

لقد ميَّز الله تعالى الإنسان عن بقية المخلوقات بالعقل واللغة منذ ولادته، وذلك ليكون قادراً على تأمين حاجاته البيولوجية النفسية، ومن خلال تفاعله وفهمه للغة الآخرين تكون الابتسامة أحد العوامل التي يعبِّر بها الإنسان منذُ صغره على الارتياح

والانسجام تجاه فعل معيَّن، ومن بعد تكون اللغة هي العامل الفاعل للتواصل والتحدُّث مع الآخرين لتكوين العلاقات بين الناس، إذن البشر محتاجون للحوار؛ لأنَّه لغة التفاهم فيما بينهم(16).

ويختلف الحوار باختلاف الثقافات بين الناس حيث تجعل كل شخص له أسلوب مختلف عن غيره من الفهم والتعبير، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

ولكي يكون الحوار هادفاً يجب أنْ تتوفَّر له عدَّة عناصر أهمها:

1- احترام الطرف المحاور للطرف الآخر.
2- الإنصات الفعَّال والاهتمام الجاد للحوار الذي يقدِّمه الطرف الآخر.
3- إدخال أسلوب المتعة أثناء الحوار، والابتعاد عن لغة التوتر والتهديد.
4- الانتباه للغة الجسد أثناء الحوار؛ لأنَّ لغة الجسد جزء مهم من فهم الطرف الآخر.
5- مناقشة كل ما يعرضه الطرف الآخر والاهتمام بوجهة نظره(17).

ثامناً- مفهوم النزاع والصراع:

يعد الصراع ظاهرة طبيعية في حياة كل الكائنات الحية المتحركة، الأفراد منها والجماعات على حد سواء، فالصراع في حياة الإنسان هو أحد الإفرازات الاعتيادية للتفاعل الاجتماعي القائم بين الأفراد كالتعاون والمنافسة والمهادنة والتقليد والمحاكاة، ونظراً لكون طبيعة الأفراد والمنظَّمات تستدعي التطور والتغير؛ لأنَّ الثبات والاستقرار حالة غير طبيعية، ولذا فالصراعات غالباً ما ترافق التغيرات الحاصلة في مجمل العلاقات السائدة.

ومصطلح الصراع مأخوذ من الكلمة اللاتينية (conflictus) التي تعني التضامن معاً باستخدام القوة، وهي تدل على عدم الاتفاق، أو التنافر، أو التعارض، أو الخلاف. وبهذا المعنى اللفظي يشير الصراع إلى التفاعل الذي تتعارض فيه الكلمات، والعواطف، والتصرُّفات مع بعضها بعضاً ممَّا يؤدي إلى إثارة تمزقية(18).

الصراع لغة: الصَرْعُ أو الطَّرْحُ بالأَرض أي هو النزاع والخصام، أو

الخلاف والشقاق، أمَّا كلمة (conflict) فتعني العراك أو الخصام والصدمة(19). أي أنَّ الصراع اشتقاقاً يعني التعارض بين المصالح والآراء أو الخلاف.

الصراع اصطلاحاً: لم يتفق العلماء على تعريف موحَّد له لتباين مدارسهم، فقد عرَّفه (baker) وزملاؤه أنَّ الصراع يحدث في المواقف التنظيمية، التي تتطلَّب أداء أنشطة غير متوافقة إلى تلك المواقف التي يمكن أنْ تؤدي إلى تصرُّف أحد الأفراد إلى الإضرار بالغير. وعرَّفه بولدنج (boulding) بأنَّه وضع تنافسي يكون فيه أطراف الصراع مدركين للتعارض في إمكانية الحصول على المراكز المستقبلية، ويرغب كل طرف في الحصول على المركز الذي يتعارض مع رغبة الطرف الآخر(20). لذلك فجميع الدول والمؤسسات أصبحت مقتنعة بأنَّ إعلان القتال واستمرار الحرب حتى النهاية لإزالة العدو كلية أمر غير مرغوب فيه، ولا يجب حتى التفكير فيه.

إنَّ الأمم المتحدة لم تفكِّر مطلقاً في إزالة ألمانيا النازية رغم الخطر الذي كانت تمثِّله وإزالتها من المسرح الدولي، كما أنَّ الروس والأمريكان لا يفكِّرون بالضرورة في الاقتناء المتبادل، ويكفي الواحد منهما أنْ يحدث تغييراً في نظام الآخر، فهناك من يخلط أحياناً بين مفهومي النزاع والصراع في كثير من الكتابات السياسية، وعند بعض المتخصصين في العلوم الاجتماعية والسياسية والقانونية، فالنزاع في أضيق معانيه يعني وجود خلاف بين طرفين أو أكثر حول موضوع ما، بحيث يقوم أحد الأطراف بتقديم إدعاء خاص يتهم الطرف الآخر بخرق القانون، وفي الوقت نفسه يرفض الطرف الآخر هذا الادعاء(21).

أمَّا النزاع في القانون الدولي فيعني "عدم الاتفاق أو الاختلاف بين مصالح الأطراف المتنازعة، وقد عرَّف بعض الباحثين النزاع الداخلي بأنَّه: التنازع بين مجموعات مختلفة (عرقية، سياسية، دينية) من خلال مخالفات غير منطقية لإغراق حياة المجتمع اليومية، إلاّ أنَّ ممارستها غير المنطقية لا تمنع وجود أسباب وأهداف منطقية تقف وراءها" (22) .

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن استنتاج بعض الخصائص المتعلِّقة بظاهرة الصراع.

1- الصراع ظاهرة سلوكية إنسانية في أي تنظيم.

2- تعارض أهداف الأفراد أو الجماعات ممَّا يؤدي إلى الصراع.

3- يتضمَّن موقف الصراع طرفين أو أكثر.

4- وعي كل طرف من أطراف الصراع، وإدراكه للطرف الآخر.

5- حرص كل طرف من أطراف الصراع على إلحاق الضرر بالآخر.

6- قدرة الأطراف المتصارعة على إلحاق الضرر ببعضهم بعضاً.

7- تظل نتائج الصراع غير معلومة لكافة الأطراف لحين انتهائه.

تاسعاً- مفهوم التسوية السلمية والمفاهيم المرتبطة به:

أصبح مفهوم التسوية السلمية للصراعات مفهوماً غير محدَّد بدقة وسط مجموعة المفاهيم، التي ظهرت في حقل دراسات الصراع، وبالذات مفاهيم منع الصراع، وإدارة وحل الصراع، فكل من المفاهيم الثلاثة تعبِّر عن مستوى معيَّن من مستويات التعامل مع الصراع، فمنع الصراع يهدف إلى الحيلولة دون اندلاع الصراع مثلاً أو الحيلولة دون تصاعده، أمَّا إدارة الصراع فهي تتمثَّل في احتواء الصراع والحيلولة دون تصاعده وأخيراً فحل الصراع ويعني معالجة الجذور العميقة والأسباب الهيكلية للصراع سعياً إلى خلق حالة من السلم الدائم بين أطراف الصراع.

ووفقاً لهذه المفاهيم فهناك عنصران بالغي الأهمية في إطار مفهوم منع الصراع يتمثلان في:

أولاً: البعد الزمني للصراع الذي يقوم على الإسراع بتنفيذ المبادرات الوقائية لاستباق اندلاع أعمال العنف، أو الحيلولة دون تصاعده .

ثانياً: ضرورة فهم ديناميكيات الصراع من القائمين على عملية المنع من أجل التعرُّف على نوعية الإجراءات الأكثر فاعلية، التي يمكن من خلالها تحقيق أهداف المنع.

وبناءً على ذلك فدراسة منع الصراع تتميَّز بثلاثة مراحل لمنع الصراع وهي(23).

1- منع الاندلاع، ويشتمل على الجهود الرامية لاحتواء صراع محتمل قبل اندلاع أعمال العنف، وتشتمل هذه الجهود على

إجراءات هيكلية طويلة المدى؛ لمعالجة الجذور المسبِّبة للصراع، وإجراءات قصيرة المدى تتعامل مع العوامل المباشرة التي قد تؤدي إلى اندلاع العنف.

2- منع التصعيد ويشتمل على الإجراءات الوقائية التالية لبدء أعمال العنف بين أطراف الصراع، وتهدف إلى منع التصعيد الرأسي والأفقي للعنف والحيلولة دون تحوُّله إلى مستويات أكثر تدميراً ، ومن الضروري التركيز على منع الصراع في مرحلة مبكِّرة قبل وصوله إلى ما يسمَّى بنقطة ألاّ عودة، التي يصعب بعدها احتواء التصعيد أو منعه.

3- منع العودة إلى العنف، وهي جهود تبدأ فور توقُّف أعمال العنف، وتهدف إلى منع العودة إلى العنف والصراع مجدداً.

عاشراً- نظرة الفكر الإسلامي للصراع:

ينظر الإسلام في الصراعات أو الخلافات التي تحدث نظرة طبيعية، ذلك لأنَّ الخلافات ظاهرة إنسانية مقبولة وطبيعية، وليست ظاهرة شاذة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّك لَجَعَل النَّاسَ أُمَّة وَاحِدَة وَلَا يَزَالُون مُخْتَلِفِينَ﴾(24).

والعيب ليس في وجود الخلاف، ولكن في تركه ليصبح ضاراً بالأفراد أو الجماعة، أو في عدم إدارته حسب المنهج الإسلامي الصحيح.

إنَّ المنهج الإسلامي لإدارة الصراع يتمثل في:

1ـ الوقاية من وقوع الخلافات من خلال معالجة الظواهر السلبية والسيئة في شخصية الأفراد وكذلك في تحسين الاتجاه نحو روح الألفة والمحبة والتعاون بين الأفراد، بدلاً من روح الشقاق والخلاف، وبذلك يمكن القضاء على الصراعات التي تنشأ نتيجة لأسباب شخصية لدى الأفراد.

2ـ تقديم طرق لمعالجة أسباب الخلاف، وتتمثَّل في الآتي:

ـ حل الخلاف بالرجوع إلى القرآن والسُّنة.

ـ المشورة "فآليات المواجهة" المصالحة وجبر الضرر.

ـ استخدام أهداف عُليا مشتركة تجمع المتخاصمين أو المختلفين.

ـ استخدام وسيط لتقريب وجهات النظر بين الأطراف المتخاصمة.

ـ طريقة تهدية المواقف باستخدام أساليب جامعة.

الحادي عشر- أسباب الأزمة في ليبيا:

إنَّ المتتبِّع للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية بليبيا يلحظ أنَّها دولة ضمن دول العالم الثالث التي مرَّت عبر قرون عدَّة بالعديد من الأزمات السياسية، التي كانت سبباً في خلق الأزمات العاصفة. حيث كانت مسرحاً للصراع الدائر بين العثمانيين والإيطاليين، فدفعت المطامع الإيطالية للاستيلاء على مدينة طرابلس كجزء من التوسُّع لايطاليا، وشكَّلت الحرب خطوة مهمة نحو الحرب العالمية الأولى، التي بدأت في 29 سبتمبر عام1911م، بضم إيطاليا لطرابلس والشرق الليبي دون مقاومة تذكر من القوات العثمانية، بل تركت الشعب الليبي وحده يواجه القوات الإيطالية، وهو أعزل من السلاح، وأمام ترسانة مجهَّزة بأحدث التجهيزات المتطورة عسكرياً، ممَّا جعل هذه القوات المستعمرة تسيطر على البلاد بشكل نهائي.

وفي سنة 1936م، ونتيجة للآثار التي تركتها الحرب والخلافات بين القبائل ورؤية كل قبيلة للظروف المحيطة، وقعت خلافات وصراعات كثيرة غذَّتها أطراف خارجية، ورغبة بعض الشخصيات في التحكُّم حيث سبَّبت فتن وصراعات وتقاتل واصطفاف بعض القبائل ضد بعض، وهو ما يعرف بالحرب الأهلية، وانتهت بتقسيم ليبيا إلى ثلاث ولايات، إذ كان للدول الاستعمارية الدور الشامل والبارز وراء تلك الحرب، فكانت تحرّض طرف ضد الآخر حتى يتسنَّى لها تمزيق اللحمة الوطنية، ونتجت عداوة بين الأشقاء في القبائل الليبية، وأصبحوا متربصين بعضهم ببعض لتصفية حساباتهم القديمة التي غذَّتها فتنة الاستعمار(25).

وفي 24 ديسمبر1951م تم الإعلان الدستوري واختيار الملك إدريس السنوسي ملكاً على ليبيا بنظام فيدرالي، يضم ثلاث ولايات، وهي: ولاية طرابلس، ولاية برقة، ولاية فزان، وبالرغم من محاولة الاستعمار تقسيم البلاد ألاّ أنَّ الشعب الليبي وعبر ممثليه المنتخبين قاموا بتعديل الإعلان الدستوري في 1963/4/26، وأسَّسوا دولة ليبيا الموحَّدة تحت اسم المملكة الليبية، وعاصمتها طرابلس، وبخطوة من الملك إدريس حاول أنْ يلغي مؤثرات التقسيم الجغرافي لليبيا حيث طالب جميع الليبيين بنسيان الماضي بما فيه من الألم حيث قال مقولته الشهيرة: (حتحات على ما فات).

كلام أجواد أي بمعنى الاتجاه نحو التآخي، وطي صفحة الماضي والتماسك الاجتماعي، وهذا يؤكد بأنَّ لليبيين القدرة على تجاوز المحن منذ القدم. وأنَّ الصلح هو مخرجهم الوحيد من كل الأزمات.

وفي سنة 1969م تم تغيير النظام السياسي، وشمل كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ليبيا حيث ألغيت الملكية، وتم تعطيل الدستور واستبدل بالإعلان الدستوري الصادر عن مجلس قيادة الثورة، حيث عُطلت بموجبه كل القوانين واللوائح المعمول بها، التي لا تتمشَّى مع التغيير السياسي الجديد، ودخلت ليبيا في فترة من التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية إلا أنَّ الظروف السياسية العالمية كانت في كل مرحلة من مراحل النمو معرقلة ومستهدفة من قبل السياسة الغربية والأوروبية، بالإضافة إلى أنَّ الشباب وهم عماد الوطن قد عانوا من التهميش، وعدم وجود فرص العمل بالرغم من أنَّ الإمكانيات الاقتصادية لليبيا متوفرة بشكل يكفل للجميع حياة كريمة، فالاستثمارات التي أقامتها ليبيا خارج الوطن كان من المفترض أنْ تقام داخله؛ حتى يستطيع الشباب أنْ يتحصَّلوا على فرص العمل، وكذلك الاهتمام بقطاع التعليم والصحة والبنية التحتية التي أهملت بسبب ألاّ مبالاة من القائمين على هذه القطاعات، فكان المطلب من الشعب وهو حق شرعي أنْ يكون التغيير من ضمن أولويات مطالبهم، وخرج الشعب عن صمته مطالباً بالتغير في 2011/02/17م(26).

في البداية كانت المظاهرات سلمية، ثم تدخَّلت أطراف خارجية، وتحوَّل الصراع إلى مواجهة مباشرة بالسلاح دعَّمت فيه الأجندة الخارجية الأطراف الليبية ضد بعضها البعض، ممَّا أدخل البلاد في تصفية حسابات وانتشر السلاح، وفتحت الحدود أمام المتشدِّدين القادمين من بؤر التوتر في العالم، الذين يعتنقون أيدلوجيات متطرِّفة، حيث عمَّ القتل والتعذيب والخطف من أجل المال، وانتشرت الجريمة، وتمزَّق النسيج الاجتماعي بين الأشقاء الليبيين، كل هذا حصل بتخطيط مدبّر لتعم الفتنة والكراهية.

ولكي تخرج ليبيا من هذا المأزق لابد من تحكيم لغة العقل والحوار المعتدل بين الأطراف الليبية المتصارعة، وهذا ليس بالمستحيل إذا ما صدقت النوايا بين الأشقاء، فالمصالحة الوطنية هي السبيل لإنهاء الأزمة الحالية، وعلينا أنْ نستفيد من

التجارب المماثلة التي مرَّت بظروف مماثلة مع مراعاة بعض الاختلافات التي تعطي ليبيا نقاطاً جامعة أكثر من غيرها.

الثاني عشر- محاولات الحوار في حل الأزمات السياسية:

ظلت الصراعات الداخلية مكوِّناً صغيراً في حقل دراسات تسوية الصراعات، إذ كان الاهتمام الرئيسي في الحقل يركِّز على تسوية الصراعات الدولية، في حين ظلت الصراعات الداخلية تفتقر إلى الاهتمام المماثل، رغم أنَّ الصراعات الداخلية ازدادت بشكل كبير، بحيث أصبحت تؤثر على السلم العالمي، وأنَّ عديد الصراعات والحروب الداخلية تتغذى من أطراف خارجية، ممَّا يجعل هذه الصراعات مرتبطة بشكل كبير بالصراعات الدولية.

كما ظلت آليات النظام الدولي لفترة طويلة لا توفر مجالاً كبيراً للاهتمام بتسوية الصراعات الداخلية، ولاسيما داخل الأمم المتحدة، إذ كان الاهتمام يتجه فقط نحو حالات الإخلال بالأمن والسلم الدوليين، وبالذات الحروب بين الدول في حين لم يكن نظام الأمن الدولي يعد الصراعات الداخلية تمثل تهديداً للأمن والسلم الدوليين، إلا في حالتين رئيستين هما: أنْ تتصاعد الحرب الأهلية لتصبح حرباً دولية، أو أنْ تتضمَّن هذه الحرب تهديداً بالإبادة الجماعية للسكَّان، وقد تسبَّب هذا المنهج في تجاهل هذه الصراعات وعدم الاكتراث بها(27).

الثالث عشر- المحاولات التي بذلت لحل الأزمة الليبية (الحوار الوطني):

لقد بذلت العديد من المحاولات لحل الأزمة الليبية بالطرق السلمية والحوارية حيث كانت البداية:

1- في سنة 2011م بعد تفجُّر الصراع داخل ليبيا، قامت الدولة بعدد من المحاولات التي تهدف إلى تضييق الخلاف وحصره، حيث عقدت العديد من الملتقيات القبلية والاجتماعات والمفاوضات في العديد من الدول. وكانت البداية بإرسال عدد من اللجان والشخصيات المؤثرة إلى المناطق التي شهدت احتجاجات، وتعهَّدت بالاستجابة لمعظم المطالب التي رأت أنَّها محقة. كما سارعت إلى تنظيم عدَّة محاولات لحل الأزمة، ومحاولة إبعاد شبح الصراع، ففي2011/5/5م عقد مؤتمر للقبائل والمدن الليبية بمدينة طرابلس،

ضم قرابة ألف قبيلة وشخصيات اجتماعية ذات ثقل اجتماعي من كافة المدن الليبية، بما فيها المنطقة الشرقية التي انطلقت منها المظاهرات، وصدر عن هذا الملتقى عدَّة قرارات تدعوا إلى الوحدة وحل الخلافات بالطرق السلمية، وتغليب لغة الحوار وعدم السماح لجر البلاد إلى صراعات الرابح فيها خاسر، إلا أنَّ الدول المغذِّية لهذا الصراع ومن أجل خدمة مصالحها دفعت الطرف الآخر إلى رفض الحوار، ورفض مخرجات هذا الملتقى ممَّا دفع بالبلاد إلى أتون حرب مدمِّرة استهدفت مقدرات البلاد(28).

كما تدخَّلت عدَّة منظَّمات وشخصيات دولية ورسمية كان أبرزها رئيس جنوب أفريقيا من أجل حل الأزمة الليبية، وتفاعلت معها القيادة الليبية بإيجابية إلاّ أنَّ الأطراف المغذِّية للصراع من أجل تحقيق مصالحها دفعت الطرف الآخر إلى رفض أي مبادرة تنهي الصراع، وتجنِّب البلاد مزيداً من الدماء.

كما تم إرسال عدَّة وفود من شخصيات اجتماعية وسياسية ومنظَّمات المجتمع المدني إلى عدَّة دول، وبخاصة دول الجوار الليبي لتوضيح الأزمة والطلب منها التدخُّل للضغط على بعض الدول للجلوس للحوار، إلا أنَّ هذه المبادرات قد فشلت بسبب إصرار إطراف معيَّنة على إخراج النظام من المشهد خدمة لمصالحها (29).

كما استمرت محاولات حل الأزمة الليبية بعد2011 حيث عقدت العديد من اللقاءات في المنطقة الشرقية بمدينة سلوق، وكذلك بمدينة سرت وبني وليد وغدامس والعزيزية، وكل هذه المحطات والحوارات ذات الطابع الاجتماعي، إلاَّ أنَّها لم تصل إلى توافق يرضى جميع الأطراف، وبخاصة أنَّ بعض المدن تمتلك من عناصر القوة ما يجعلها غير مقتنعة بالحلول الاجتماعية، وتسعى باستخدام موارد الدولة التي تسيطر عليها إلى فرض واقع معيَّن، يحقِّق لها مصالح على حساب باقي المكوِّنات الاجتماعية.

وعلى المستوى الرسمي جرت العديد من الحوارات بمشاركة الأطراف الرسمية، وعقدت عدَّة محطات بداية من الصخيرات بالمغرب وتونس وأبوظبي وصولاً إلي باريس وباليرموا بايطالية ووقعت عدَّة اتفاقات، إلا أنَّ تدخُّل العنصر الخارجي حال دون تنفيذ تلك الاتفاقات.

الرابع عشر- تجربة الحوار في جنوب أفريقيا:

عاشت جنوب أفريقيا حقبة مظلمة منذ الاحتلال البريطاني لجنوب القارة الأفريقية حيث استولى البريطانيون على كل المؤسسات المالية والصناعية، وكذلك الأراضي الزراعية وحوّلوا السكان الأفارقة أصحاب الأرض إلى عبيد من الدرجة الثانية، كما قام البيض بحجة تفوُّق الجنس الأبيض إلى تقسيم الجنوب إلى (كنتونات) مناطق فصل عنصري بين الأفارقة السود أصحاب الأرض الحقيقيين، والبيض الذين أصبحوا يسيطرون على كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية، وترك السود يعيشون ويلات الفقر والمرض والتخلُّف والجهل، ونتيجة لذلك تكوَّنت فروقات خطيرة بين السكان؛ ممَّا دفع الأفارقة أصحاب الأرض، الذين يمثِّلون الغالبية العظمى من السكان إلى اللجوء الى العنف والصراع المسلَّح، ممَّا أدخل جنوب أفريقيا في حروب أهلية بين السكان السود والبيض العنصريين، وتكوَّن حزب المؤتمر الوطني الإفريقي المناهض للعنصرية، وتزعَّم المحامي الشاب **نلسن مانديلا** هذا الحزب وجناحه العسكري، وأدَّت الصراعات بين السكان الأفارقة ونظام الحكم العنصري إلى زهق العديد من الأرواح، وتدمير العديد من البنى التحتية من خلال أساليب المقاومة التي انتهجها الجناح العسكري، وفي سنة 1962 تم القبض على زعيم الحزب ومجموعة من القادة للجناح العسكري، وتم الحكم عليهم بالإعدام، ثم وبضغوط سياسية تم تخفيف الحكم إلى المؤبد(30).

وبعد مضي أكثر من ربع قرن على الصراع، وفقدان الآلاف من الضحايا، وبفعل الضغوطات الدولية والمنظَّمات الإنسانية والحقوقية تم عزل نظام جنوب أفريقيا العنصري، ورضوخه إلى مطلب أصحاب الأرض، تم إطلاق الإيقونة النضالية **نلسن مانديلا** والجلوس إلى طاولة الحوار لإخراج جنوب أفريقيا من الصراع المدمِّر، بأنْ تم الاتفاق إلى اللجوء إلى صناديق الانتخابات وإغلاق وتدمير صناديق الذخيرة القاتلة، وتحوَّلت جنوب أفريقيا إلى دولة ديمقراطية تعدُّدية، تعيش وفاق اجتماعي وفتح باب العدالة الانتقالية لإنصاف المتضررين وفق القانون.

فمشكلة جنوب أفريقيا كانت تكمن في نظام الابرتهايد الذي في مجمله يرتكز على

مجموعة معطيات تكرِّس أسلوب الاستبداد والعنصرية، ويمكن إجازته في عدَّة نقاط:

أ- هو وجود استعماري ضمن مشروع أسَّسته الحكومة البريطانية، التي كانت محتلة البلاد وشرَّعت هذا النظام في الخفاء، وغضَّت عنه الطرف.

ب- تم تشكيل مجموعات من خلال الأقليات المستعمرة التي تؤكد على تميزها العرقي والأرقى والأحق برغم من أنَّهم أقلية إلا أنَّهم يتحكَّمون في مصير البلاد بالعنف.

ج- أعطت قوانين (الابرتهايد) الشرعية للبيض في فرض قوانين تمنع السود من التنقل دون حصولهم على تصاريح، فأبناء الوطن بالرغم من أنَّهم مواطنون إلا أنَّ المستعمرين هم من يعطون لهم الأوامر والتصاريح. كما سيطرت النخب العرقية البيضاء على ثروات البلاد وصنع القرار السياسي والاقتصادي.

د- فرض ثقافة دينية وسياسية ترتكز على نظريات عرقية تتبنَّاها الكنيسة. وصل بهم العنصرية والحقد حرمان السود حتى من ممارسة النشاط الزراعي، واستعمالهم كعمال دون حقوق مادية(31).

وهكذا فجنوب أفريقيا قد مرَّت بظروف سياسية في غاية من القمع والظلم أثناء فترة الميز العنصري، الذي حرم الشعب من خيرات بلاده، ومنعه حق التعبير السياسي، وسلبوا ثرواته الاقتصادية، وأمعنوا في إذلاله بشتَّى الوسائل، حتى بدأت تجربة العدالة الانتقالية في إطار التحضير لنهاية الميز العنصري التي بدأت في شكل محاكمات شعبية، أطلق عليها لجان الحقيقية والمصالحة التي عملت على أماطة اللثام عن التجاوزات والجرائم، وإنصاف الضحايا وصولاً إلى تسوية غير جزائية للملفات العالقة في البداية، ولقد نجحت التجربة وقدَّمت جنوب أفريقيا الحل السياسي الذي كان في حكم المستحيل، لكنَّه باعتراف العالم يعد معجزة، حيث حوَّلت بلداً تسوده العنصرية وثقافة العنف إلى بلد ديمقراطي، يتمتَّع فيه الجميع بالحقوق المتساوية، واستخدمت مناهج حل النزاعات وهو الحوار ومهارات التفاوض والاستماع الجيد، وإعادة بناء الثقة للقضاء على إرث الإقصاء والتهميش، حيث أتاح برنامج الأمم المتحدة الإنمائيundp بمشاركة المنظَّمات غير الحكومية في العراق ncc، فقد أتاحت لأحد عشر ناشطاً في المجتمع المدني

العراقي للاستفادة من هذه التجربة الفريدة حيث التحق الوفد بجمهورية جنوب أفريقيا، ومن ثم استقبالهم في منظَّمة المركز الأفريقي لحل النزاعات "Accopcl" استغرقت أسبوعاً تلقَّى فيها المشاركون دروساً مكثَّفة، تناولت في البدء موضوع الصراعات والنزاعات، ثم شرح التجربة بشكل مكثَّف ومحاولة تطبيقها(32).

لقد أخذت عدَّة دول بتجربة جنوب أفريقيا من خلال لجان المصالحة، بالرغم من أنَّ العنصريين البيض حاولوا إشعال الفتنة، حتى بعد إطلاق سراح الزعيم الأفريقي (نلسن مانديلا) حين أقدم أحد المتطرفين باغتيال الزعيم الشيوعي الجنوب أفريقي والشخصية الثانية بعد نلسن مانديلا المناضل (كريس هاني)، لكن حكمة الزعيم الأفريقي نلسن مانديلا مكَّنته من السيطرة على الغضب الجماهيري، وحافظ على النصر من الضياع، وعدم الانجرار وراء الحرب الأهلية، فمن هو نلسن مانديلا؟

نلسن مانديلا هو: سياسي مناهض لسياسة الفصل العنصري في جنوب أفريقيا ثوري من الطراز الأول، انتخب رئيساً لجنوب أفريقيا سنة1994 إلى1999م، وكان أول رئيس أسود يحكم جنوب أفريقيا، عمل على تفكيك الإرث العنصري في بلاده من خلال تصديه للعنصرية والفقر، وتعزيز المصالحة العرقية، تولَّى رئاسة المؤتمر الوطني من سنة1991 إلى1997م، ولد في قبيلة الهوسا، ودرس في جامعة فوت هير، وجامعة ويتواتر سرند، درس القانون، وعاش في مدينة جوهاسبورغ، انظم إلى حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، وأصبح عضواً مؤسساً لعصبة الشبيبة التابعة للحزب، برز على الساحة السياسية وفي عام 1952م في حملة تحد من حزب المؤتمر الوطني الأفريقي انتخب رئيساً لحزب المؤتمر الوطني، عمل محامٍ وأُلقى القبض عليه عدَّة مرات لأنشطة مثيرة سياسياً.

اتهم بالخيانة وحوكم مع قيادة حزب المؤتمر، ثم برئ فيما بعد، ثم ألقي القبض عليه وأتهم بالاعتداء على الحكومة، وفي سنة 1962 أدين بالتخريب والتآمر لقلب نظام الحكم، وصدر ضده حكم بالسجن مدى الحياة، مكث مانديلا في السجن 27سنة، وفي تلك الأثناء انتشرت حملة دولية للضغط على الحكومة لإطلاق سراحه، وتم الإفراج عنه سنة 1990م أثناء الحرب الأهلية، أصبح فيما بعد رئيساً لحزب

المؤتمر الوطني الأفريقي، ثم قاد المفاوضات مع الرئيس (دي كليرك)؛ لإلغاء الفصل العنصري وإقامة انتخابات متعدِّدة الأعراق، ثم انتخب فيما بعد رئيساً، وأسس دستور ولجنة للمصالحة كانت تعتمد أساساً في التحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان في الماضي، وتشجيع الإصلاح الزراعي ومكافحة الفقر، وتوسيع نطاق خدمات الرعاية الصحية أسس جمعية خيرية باسم جمعية نلسن مانديلا لمكافحة الإيدز.

حاز نلسن مانديلا على أكثر من 250 جائزة منها جائزة نوبل للسلام 1993م، وميدالية الرئاسة الأمريكية للحرية، ووسام لينين من النظام السوفيتي، ويتمتع مانديلا باحترام الجميع في العالم باعتباره بطلاً قومياً، ومؤسساً للسلام في العالم.

أسلوب نلسن مانديلا في حل الأزمة السياسية وإرساء المصالحة الوطنية في جنوب أفريقيا:

خوفاً من تجدُّد الصراعات العرقية ودخول جنوب أفريقيا في حقبة أخرى من الصراع، سعى نلسن مانديلا الى إيجاد استراتيجية جديدة، وهي فتح صفحة جديدة من خلال الحوار والتفاوض للوصول الى توافق للعيش المشترك، واستطاع بحكم تأثيره القوي ومكانه وأرثه النضالي جمع كل الاطراف على طاولة مستديرة، ووضع مصلحة جنوب أفريقيا فوق كل الجراحات(33).

تحدث السكرتير العام للأمم المتحدة د. بطرس غالي عن ذكرياته مع الزعيم الأفريقي نلسن مانديلا لصحيفة الأهرام قائلاً: "بأنَّني تربطني علاقة وطيدة مع الزعيم الأفريقي، وأنَّه مثالاً في التسامح والعفو وبخاصة مع الذين سجنوه، وأنَّه أبدى روح التسامح بشكل غير متوقع، حيث قال : بأنَّ أفريقيا تستحق منا جميعاً التضحية والخيار ما بين الانتقام والتسامح هو أنَّ جنوب أفريقيا لابد لنا جميعاً أنْ نفديها بكل ما نملك".

وخصوصاً أنَّ ليبيا –كما ذكر سابقا– هي الأوفر حظاً في المصالحة الوطنية، فكل مكوِّنات الشعب الليبي الاجتماعية هي واحدة، فالديانة عند الليبيين هي الإسلام، ولا وجود لجاليات أجنبية تعرقل المصالحة فالأرضية الاجتماعية تستطيع استيعاب كل الأشقاء الليبيين، فعلى مؤسسات المجتمع المدني والقبائل والشيوخ والأعيان أنْ يوظِّفوا كل إمكاناتهم لنجاح مشروع المصالحة الوطنية، وكذلك الإعلاميين

يوظفوا برامجهم وحواراتهم نحو هدف المصالحة والدعاية لها، وإجراء الحوارات الهادفة بأسلوب يدعوا كل الفرقاء إلى لمِّ الشمل والتهدئة، وكذلك يجب على شيوخ القبائل خلال مواقعهم الاجتماعية وخطباء المساجد وفي منابرهم الدينية أنْ يدعوا إلى كلمة سواء ونبذ الخلاف والجلوس من أجل الوطن ورفعته، وأنْ تقام ورش عمل في الجامعات، وأنْ يغلِّبوا لغة العقل والحوار في جميع لقاءاتهم، وأنَّ ليبيا للجميع دون إقصاء من أي طرف، إلا من تلطَّخت أيديهم بدماء الليبيين، وأنَّ القانون هو الفيصل بين كل الفرقاء.

نتائج الدراسة:

من خلال الدراسة والمقارنة توصَّل الباحث إلى النتائج الآتية:

1- إنَّ الأزمة الليبية تتشابه في بعض حيثياتها مع الأزمة في جنوب إفريقيا، وأنَّ آليات الحل قد تكون متشابهة.

2- المصالحة وجبر الضرر هو الخيار الأمثل في الأزمة الليبية.

3- الصراعات مهما كانت نتائجها، هي أسلوب مدمِّر للنسيج الاجتماعي.

4- الأزمة الليبية ليست معقَّدة، وقد تختلف من حيث البناء الاجتماعي والتركيبة الاجتماعية مع جنوب أفريقيا.

5- أظهرت معظم نتائج الاجتماعات، وبخاصة ذات الطابع الاجتماعي وجود قوة وإصرار على المصالحة ونبذ العنف.

6 – أظهرت معظم نتائج الاجتماعات الخارجية وجود تأثيرات العنصر الأجنبي، واستغلال بعض الأطراف لخدمة مصالحه.

7 – إنَّ الأخذ بالتجارب السابقة يعد منهجاً علمياً يمكن الاستفادة منه في حل المشكلات المشابهة.

هوامش البحث ومصادره ومراجعه.

---

1 – ،سورة المائدة الآية 32 .

2- الشورى الآية "40"

3- سورة المائدة الآية: 2.

4 – سورة الروم، الآية: 32.

5- سورة الشورى الآية "38

6- هو جان شارل جارودي، فيلسوف فرنسي، ولد 1913/7/17م اعتنق الإسلام عام 1982م وهو صاحب كتاب وعود الإسلام، ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1- 29 - (61 / 149) المكتبة

الشاملة.

7- القاموس المحيط، ص484، مقاييس اللغة لابن فارس 997.

8 - القاموس المحيط، ص484، مرجع سابق.

9 – لسان العرب لابن منظور، ص 135.

10- سورة البقرة (الآية 213).

11- خالد المغامسي، الحوار وآدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ط1، الرياض2005، ص22.

12- أحمد بن يوسف الدريويش، الحوار مفهومه وضوابطه وآدابه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لخدمة المجتمع و تقنية المعلومات، الرياض،2006.

13- صالح بن عبد الله بن حميد، رسائل في أدب الحوار وفقه الخلاف وفن الإنصات، الندوة العالمية للشباب الإسلامي،12/25/ 2005 .

14- خالد المغامسي، مرجع سابق ص37.

15- صالح بن عبد الله بن حميد، رسائل في أدب الحوار وفقه الخلاف وفن الإنصات، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق.

16- أحمد بن يوسف الدريويش، الحوار مفهومه وضوابطه وآدابه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لخدمة المجتمع و تقنية المعلومات، الرياض، مرجع سابق.

17- صالح بن عبد الله بن حميد، رسائل في أدب الحوار وفقه الخلاف وفن الإنصات، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق.

18- لطفي راشد محمد، مفهوم الصراع التنظيمي، المفاهيم والاستراتيجيات الإدارية، مجلة العلوم الإدارية، مجلد 9، جامعة الملك سعود، 1417 ه، ص6.

19- لسان العرب، ابن منظور، مادة ص ر ع .

20- صالح يحي الشاعري، تسوية المنازعات الدولية سلمياً، مكتبة مذبولي، القاهرة،2006 ص21.

21- جابر إبراهيم الراوي، المنازعات الدولية، مطبعة دار الإسلام، بغداد،1978، ص20.

22- بطرس بطرس غالي، الأمم المتحدة

واحتواء الصراعات العرقية (السياسية والدولية)، العدد 115 يناير 1994، ص14.

23- كارل دويتش، ترجمة شعبان محمد شعبان، تحليل العلاقات الدولية، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، ص23.

24- فتحي حسن عطوة، الاضطرابات الأخيرة في الصومال ومستقبل الاستقرار السياسي، مجلة السياسة الدولية، السنة الخامسة والعشرون، العدد 98 أكتوبر 1989، ص30.

25- وسام سالم أمحمد الفراح، الحدود الجيواستراتيجية ومستويات الحماية، رسالة ماجستير غير منشورة أكاديمية الدراسات العليا، جنزور،2006، ص112.

26- خالد ثروت عبد الهادي، إسماعيل أحمد هلال، قضية لوكربي بين الحقيقة والتضليل، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 2000، ص134.

27- ينظر صحيفة الفجر الجديد ملحق خاص العدد(3)،الصادر بتاريخ2011/5/7، ص2، 3.

28- نيلسون مانديلا، حواري مع نفسي(مذكرات)، ترجمة حنان محمد كسروان، شركة المطبوعات لنشر و التوزيع، القاهرة، 2010، ص54.

29- جوزيف فرانكل، ترجمة غازي عبد الرحمن القضيبي، العلاقات الدولية، ط2، جدة، 1984 ص90.

30- بطرس بطرس غالي، الأهرام المصرية العدد (بدون)، 1994، ص8.

31- نيلسون مانديلا، حواري مع نفسي(مذكرات)، ترجمة حنان محمد كسروان، مرجع سابق.

32- قناة الميادين، برنامج المشهدية، الذي أذيع بمناسبة ذكرى مولد نلسن مانديلا، 2019/7/20. الساعة منتصف الليل.

33 - بطرس بطرس غالي، مرجع سابق.

دراسة مدى انتشار داء المقوسة القندية عند مرضى الفشل الكلوي المترددين على مركز أمراض الكلى بمدينة الزاوية

أ.حنان محمد كشيم أ. مريم أبوبكر فنير
كلية العلوم - جامعة الزاوية كلية العلوم - جامعة الزنتان

ملخَّص البحث:

إنَّ هذه الدراسة توضح مدى انتشار داء المقوسة القُندية gondii Toxoplasmaعند مرضى الفشل الكلوي المترددين على مركز أمراض الكلى في مدينة الزاوية.

داء المقوسات هو مرض يسبِّبه طفيل المقوسة القُندية، الذي يعد أحد أهم الأمراض الطفيلية المشتركة بين الإنسان والحيوان، إجباري التطفُّل وضمن خلوي، ومن المشاكل الصحية التي يسببها للإنسان التشوهات الخُلقية للجنين والإجهاض، كما يصيب الجهاز العصبي فيؤثر على الوظائف الحيوية للمخ، إضافة إلى انخفاض معدَّل المناعة عند مرضى الفشل الكلوي.

لا توجد دراسة سابقة لنسبة الإصابة بداء المقوسات القُندية في مدينة الزاوية، لذا تهدف هذه الدراسة إلى تحديد مدى انتشاره بين مرضى الفشل الكلوي في المدينة.

لقد تم جمع عينات الدم من مرضى الفشل الكلوي المترددين على مركز أمراض الكلى بالزاوية بواقع 3 مل من الدم الوريدي لكل مريض لـــ 50 عينة عشوائية بعد تعبئة الاستبيان الخاص بكل مريض، وقد اعتمدنا الفحص المصلي(ElISA) فحص الامتزاز المناعي المرتبط بالإنزيم، بما أنَّ هذا الاختبار يكشف عن الاضداد المناعية IgG -IgM ، وهي عبارة عن أجسام مضادة تساعد على الحماية من الأجسام الغريبة.

وقد تبيَّن بعد إجراء الاختبار أنَّ هناك فرق بين العيِّنات حسب نوع الأضداد، بأنْ وجد الضد IgG سجل أعلى نسبة ظهور، والتي بلغت 32% مقارنة بالضد IgM والذي سجل نسبة 6% في حين كانت IgM-IgG غير موجودة في الفحوصات

التي تم إجراؤها لباقي المرضى، وشكَّلت ما نسبته 62% من الحالات السليمة.

من خلال الدراسة والنتائج الواردة في البحث تبيَّن تأثير الطفيل، وعلاقته بمرضى الكلى، فقد تبيَّن أنَّهم أثناء عملية الغسيل ينخفض معدَّل المناعة لديهم، فيصبحون عرضة للإصابة بالأمراض الطفيلية من بينها طفيل المقوسة القُندية T.gondii .

وقد لوحظ مؤخراً عند مرضى الفشل الكلوي الذين يخضعون للزراعة، وبعد تخفيض المناعة لديهم لإتمام عملية الزرع، يحدث لديهم نشاط للطور الساكن Bradyzoite داخل الأنسجة، حيث ينشط ويهاجم الأنسجة وبخاصة أنسجة الجهاز العصبي ممَّا يتسبَّب في الوفاة.

من ذلك نلحظ أنَّه ينخفض معدل الإصابة بداء المقوسة القُندية مع نشر التوعية الصحية، والتعريف بالمرض، وعلى مرضى الفشل الكلوي الذين هم عرضة للإصابة بداء المقوسات القُندية ينبغي أنْ يخضعوا لفحص هذا الطفيل قبل عملية الغسيل.

Abstract:
Toxoplasmosis is a disease caused by the parasite of the archer, which is a parasitic parasitism and within the cell that affects humans and animals. There is no previous study of the incidence of this disease in patients with renal failure who visit the Center for Nephrology in the city of Zawia. Therefore, the aim of this study was to determine the prevalence of measles among renal failure patients. In this study a total of 50 serum samples were randomly collected in Oct. 2018 and were tested by immunocompromised enzyme to determine the presence of antibodies of the arched curved antibodies using (ELISA). Taking into account the mobilization of a questionnaire form for all patients, The results indicated that there were % 0.6 , % 0.32 old injury and % 0.62 no injury. We noted that the curved rodent opportunistic baridizoite is still in the tissues and activates with the decline of immunity, which may happen during dialysis. Also, transplanting requires a reduction in the level of immunity for the body to accept the transplanted organ. The study conclude that patients with renal failure must be aware of this disease as well as undergo a pap smear examination prior to the dialysis periodically.

Keywords: Toxoplasmosis disease, Toxoplasma gondii, renal failure, haemodilysis, ELISA Abbreviations:

Introduction

Toxoplasmosis is a zoonotic disease caused by Toxoplasma gondii, an obligate intercellular protozoan parasite(1), this parasite is one of the most important protozoa of tissues and one of the most common parasitic infection of human by ingestion of Oocysts shed by cats in the environment (2), Toxoplasma gondii a worldwide distributed parasite (3).

Classification of Toxoplasma gondii as a following:

Phylum : Ampicomplexa
Class: Conoidasida
Subclass: Coccidiasina
Order: Eucocudnorida
Family: Sarcocystidae
Genus: Toxoplasma
Species : Toxoplasma gondii

This parasite typically through forms the tachyzoite tissue cysts and oocysis causes contamination, the life cycle of T.gondii in cluding domestic cats , all warm-blood vertebrates both

avian an mammalian serves intermediate host .T.gondii has three infections stage : Oocysts, Tachyzoites, and Bradyzoites. However the organism of txoplasmosis has two distinct life cycle the sexual cycle occurs only among definitive host intestine and the asexual cycle involves cats and other intermediate host (5).

Clinical symptoms of toxoplasmosis are not specific and distinct enough so the diagnosis of human injury is in several ways, the most important one is Enzym Linked Immuno Sorbent Assay (ELISA) (7). It is one of the most frequently used test that used to identify parasitic antibodies IgG-IgM. It's mainly based on the addition of soluble antigens and then add the serum sample where the antigen complex is formed in the presence of antibodies to the parasite in the serum and reveals the complex by the addition of antibodies associated with the enzyme (6). The acute infection can be investigated by detecting the immune antibody IgG, which appears as a result of the immune response to the disease to reach the highest rate within 3-5 weeks of infection. Then begins to decline until the lower level began from the third month to the year (6)

Materials and methods

The study was conducted on patients with renal failure who were in contact with the center for the treatment of kidney diseases in Al-Zawia city. In this study 50 random samples of patients were selected with a questionnaire for each patient . This questionnaire included some patients information such : Sex, age, social status, place of residence, occupation, the presence of chronic diseases, contact with cats and dogs, exposure to a previous blood transfusion, eat grilled meat that is not cooked well, sources of drinking water, number of dialysis, and prevalence of parasites.

Specimens collection

50 randomized blood samples were collected from patients with renal failure by taking 3ml of intravenous blood per person. After taking the special information in the questionnaire, the samples were placed in plastic tubes (plain tube) free of coagulants for the purpose of separation.

Blood serum separation

The tubes were transferred to the laboratory and inserted into the centrifuge and were at 2500 cycled\minute for 10 minutes for extraction.

Serology test

The serogical test performed in this case on blood samples taken from patients is: ELISA, this test was used to detect IgG – IgM antibodies, which are antibodies that help protect against foreign objects.

Testing principle

The serum – containing tubes were placed in the device used by Roch HI TACHI – Cobas e 411 Hormones and the ELISA test was used to detect specialized antibodies. After placing the samples and the test kit in the places assigned to it in the machine, the machine stats the analysis and reads the results automatically.

The samples were examined as following :

1- IgG positive: IgM positive: Infection is new.
2- IgG negative : IgM negative : Infection did not occur.
3- IgG positive : IgM negative : Infection in the past and no active disease.
4- IgG negative : IgM positive : Infection a few months ago.

Statistical analysis

Data analysis was performed with computer software (SPSS) the Statistical Package for Social Science. Version 15. SPSS Inc., Chicago, IL). Statistical significance was taken at P-of ≤ 0.05.

Results

The results of this study recorded 19 cases from 50 patients. the prevalence of T.gondii , both IgG and IgM.

Total tested samples	No. of IgG positive & IgM positive %	No. of IgG positive & IgM negative %	No. of IgG negative & IgM negative %
50	3 (6.0%)	16 (32.0 %)	31 (62.0%)

The seroprevalennce of toxoplasmosis in renal patients by the demographic characteristics

Characteristics	toxoplasmosis in renal patients		Old %	New%
	Old infection	New infection		
Age				
Range 20 – 89 years	16	3	32	0.6
Sex				
Male	10	3	0.20	0.6
Female	6	0	0.12	0.0
Social status				
Single	3	0	0.6	0.0
Married	12	3	0.24	0.6
Place of residence				
Flat	4	1	0.8	0.2
Farmer	12	2	0.24	0.4
Exposure to blood transfusion	8	1	0.16	0.2
Yes	8	2	0.16	0.4
No				
Chronic				
Blood Pressus	9	1	0.18	0.2
Diabetes	1	0	0.2	0.0
Both	3	1	0.6	0.2
Occupational injury	16	3	0.32	0.6
Eating grilled meat				
Yes	13	3	0.26	0.6
No	3	0	0.6	0.0
Drinking water sources				
Pipe/,tap	4	1	0.8	0.2
Boiled / Filter	12	2	0.24	0.4
Number of dialysis				
Once	1	0	0.2	0.0
Twins	1	0	0.2	0,0
3 times	14	3	0.28	0.6
Contact with cats				
Yes	13	1	0.26	0.2
No	3	2	0.6	0.4

Discussion

The disease is one of the most common parasitic diseases to human and animals, it has recently been noticed that there are wide-ranging medical concerns because of the serious effects on humans as well as the importance of the diseases in terms of public health and countries that concern sheep Barbie.

Toxoplasma gondii parasites characterized by opportunistic infection, especially for the immune system in patients with kidney failure. The study found that there is a clear impact on the immune system in patients included in the study. However; this study is the first of its kind in Al-Zawia city, specifically within the Center for Nephrology. This was clear when asked about the extent of their knowledge of this parasite. Therefore, according to the results of the analysis of ELISA, the type of antibody found has the highest incidence of 32 % compared to IgM antibody, which recorded a 6% incidence rate, while IgG and IgM were not presented when the tests were performed for the other patients with renal failure and accounted for 62%.. Also, the study showed that there's a relationship between the effect of the parasite and patients with renal failure. This is maybe due to the fact that the immune system functions are disturbed in patients with kidney failure specially during a dialysis and patients become more vulnerable than others to the disease parasitic. This finding is in line with a study conducted in Tunisia in 2006.

rate occur Bradyzoite activity within the tissues where it activates and attacks the tissues, especially the tissues of the nervous system, it has been observed that this causes a decrease in immunity and sometimes lead to death.

Conclusion

This study shows that patients with renal failure are less immune, especially during renal dialysis, and their bodies become more susceptible to parasitic and bacterial infection, hence the parasite takes advantage of reduced immunity and favors attacking the body of the patient with low immunity.

Patients with renal dialysis should therefore be screened for prevent the spread of infection during renal dialysis.

Acknowledgments

We would like to thank Dr. Amal Ehtaiwesh and Malak Mansor for helping us during working this paper.

References

1. Ebrahimzadeh A., Bamedi T.,Etemadi S., Shahrakipour M.,S aryazdipour Kh.(2013). Toxoplasmosis as a complication of transfusion in hemodialysis patients. Iranian Journal of Pediatric Hematology Oncology Vol4.No1.

2. Veeranoot, N., Teoh, H.L., Rogan, L., Init,I.(2011). Seroepidemiology of Toxoplasmosis in Renal patients.Vol 42 No. 2 March

3. Suleyman,Y.,Funda,d., Saban,y., Ozan y., Bulent, T., Cengiz,U.(2003) Anti-Toxoplasma gondii Antibodies in Haemodilysis Patients with Chronic Renal Failure. Yonsei Medical Journal. Vo1 44 No. 2, pp. 288-292.

4. Roberts, L.S.,Janovy,J.,Gerald, D.,Schmidt and Larry, S. (2005). Roberts foundation of parasitology. 7 ed. ISBN 0-07-234898-4.

5. Dudey, J.P.(2009). History of the discovery of the life cycle of Toxoplasma gondii, International Journal for Parasitology, 39:877-882.

6. Martin, V., Arcavi, M., Santillan, G., Amendoeira, M.R., Neves,E., Griemberg,G., Guarnera, E.Garberi,J.C. and Angel,S.O. (1998). Detection of human Toxoplasma-specific immunoglobulins A,M,G with a recombinant Toxoplasma gondii Rop2protein,Clinical and Diagnosis Laboratory Immunology, 5 (5): 627-631.

7. Lee,Y.H.Noh. Hwang, O.S. L ee,S.K. and Shin.D.W.(2000). Seroepidemiological study of Toxoplasma gondii infection in the rural area Okcheon-Gum, Korea, Korean Journal of Parasitology,38 (4): 251-256.